رِضا ربُّ العبَاد

الفاتح باب كنز الرشاد

وهو شرح ألفه العلامة الجليل القاضي

محمد بن مطهر الغشم

على (كنز الرشاد) لمولانا أمير المؤمنين عَلَم العترة الهادي الى الحق عز الدين بن الحسن بن الهادي بن علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد الكبير ابن ترجمان الدين المهدي شمس الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن أحمد الهادي الى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم اجمعين .

جميع حقوق الطبع محفوظة
للسيد محمد محب النبي السخاني

مكتبة اليمن الكبرى

الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ القاهرة
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ بيروت
الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا الكتاب في ثوبه
الفقير إلى ربه الراجي
رضاه وغفرانه
عبد القدوس محمد الحجازي وفقه الله

عبد القدوس محمد الحجازي

رضا رب العباد
الفاتح باب كنز الرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر واعن يا كريم وصلى الله وسلم على محمد وآله آمين

قال مولانا عليه السلام : (يقول العبد الفقير الى عفو الله الغني به عمن سواه عز الدين بن الحسن وفقه الله وسدده وعصمهوأرشده) هذا الامام هو الهادي الى الحق قال في المقصد الحسن مترجماً له ما لفظه : ثم الهادي الى الحق عز الدين بن الحسن بن الهادي بن علي بن المؤيد بالله بن جبريل بلغ في العلم الغاية القصوى في مدة عشر سنين ، مولده لعشر بقين من شوال سنة خمس وأربعين وثمانمائة . دعا يوم تاسع شهر شوال سنة ثمانين وثمانمائة فأجابه عليه السلام جميع الناس وأطاعه شيعة صعدة ، وبايعه جميع الشيعة وأعيان العلماء من الظواهر والمغارب وصنعا وذمار وبلاد خبان وما تخلف منهم إلا من لا يلتفت اليه ، ولما ظهرت دعوته في صنعا مشارقها ومغاربها وذمار وما حولها شرقاً وغرباً وحجة وبلادها وشظب وبلاد الأهنوم والشرفين الى حدود تهامة جازان وضمد وروشاع وحلي ومكة وتلك الجهات ولم يعارضه عارض . وبالجملة كانت واجبات بلاد الزيدية من ينبع والصفرا ومن أشراف مكة تصير اليه وشهروا موالاته وأحبه

من أحبه واستولى على البلاد الشامية إلا صعدة فتغلب عليها الأمراء بنو حمزة ولم يجيبوه ورجحوا للسيد العلامة محمد بن يوسف بن صلاح ابن المرتضى من آل المفضل الكبير البقاء على دعوته وخطبوا له بصعدة ثم مالت الشيعة من بعد الى الامام عز الدين عليه السلام وتركوا السيد المذكور .

وكانت وفاة الامام عز الدين عليه السلام يوم الجمعة ثاني عشر من شهر رجب سنة تسع مائة ومدته خمس وخمسون سنة وقبره بقبة جده الامام علي بن المؤيد . روي انه سمع الناعي بعد موته يقول : الامام المؤتمن المحيي لما مات من الفراض والسنن أبو الحسن عز الدين بن الحسن . وقد تبركت بنقل ترجمته في أول الكتاب ولما يحسن من ذكر ترجمة كل مؤلف في أول كتابه كما لا يخفى .

(أما بعد) قيل هي من أفصح كلمة قالتها العرب وأن أول من قالها داود صلوات الله وسلامه عليه وإنها المراد بقول الله تعالى ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ وقيل قس بن ساعدة وكان من فصحاء العرب ومن المبشرين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل أول من قالها أمير المؤمنين صلوات الله عليه وسلامه وقيل سحبان وائل والله أعلم . وفيها حسن الانتقال من نوع الى نوع من الكلام (حمداً لله) شرع الامام عليه السلام بالبسملة وثنى بالحمد له للوجوه الأربعة ، الأول : الاقتداء بكتاب الله العزيز الثاني : امتثالاً

لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر وقيل أقطع وقيل أجذم وقيل خداج » وفي رواية « كل كلام لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أبتر وقيل أجذم » وروي « كل امر ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله ـ وفي رواية ـ لم يثنى فيه بحمد الله فهو أبتر » والمعنى في هذا كله أنه ناقص منزوع البركة . الوجه الثالث : الاجماع من السلف الصالح الرابع التبرك بذلك ومعنى ذي بال أي خطر وشأن وحقيقة الحمد الثناء الحسن باللسان والوصف الجميل قصداً للتعظيم والمدح كما قيل مثله وهما يكونان على النعمة وغيرها فهما أعم متعلقاً من الشكر واخص مورداً حيث هما باللسان فقط فأما أعم الشكر فهو أعم مورداً إذ هو بالقلب واللسان والجوارح وأخص متعلقاً اذ لا يكون إلا على النعمة خاصة وسيأتي للامام أنه على النعمة وغيرها ذو البلوى سبب نعم الآخرة الباقية وهو رأي حسن . وقوله : (الموفق لاصابة الخلاص) أي الهادي والمسدد[1] الى الظفر بالنجاة من ورط المهالك والخلاص منها وفي هذا براعة الاستهلال بالاشارة الى ما سيأتي ان شاء الله من الحثّ على التخلص من المعاصي والموبقات وتجنب الخلائق الذميمة نعوذ بالله منها (المرشد الى منهج الاصابة والاخلاص) أي الذي أرشد عباده الى طريق الاصابة للحق والصواب أولاً بتركيب العقول الراجحة التي

(١) التسديد : التوفيق للسَّداد بالفتح وهو الصواب تمت ـ مختار .

يكون بها النظر في جلب ما ينفع وتجنب ما فيه ضرر ، ثم ارسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم مبشرين ومنذرين ثم انزال الكتب الموضحة لهم ما ينفعهم من طاعة الله تعالى فيما أمرهم به وما يضرهم من معصيته فيما نهاهم عنه والاخلاص ترك الرياء وتمحيض العمل حتى يكون لله تعالى خالصاً ولعله عليه السلام أراد في هذه الأشارة الى ما سيأتي من الاخلاص ولزوم محامد الخصال والمقابلة لما تقدم من أصابة الخلاص من موبقات[1] الافعال (والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله الموضح لمسالك الهدى) ثلث الامام عليه السلام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأربعة أمور ، الأول : قول الله تعالى ﴿ **ورفعنا لك ذكرك**﴾ يعني قرنت ذكرك بذكري وذلك في الشهادتين ، والأذان والاقامة والتشهد والخطب ونحو ذلك . الثاني منها : الامتثال فقد قال الله تعالى﴿ **يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾ وقال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا[2] تدعوني كقدح الراكب » فنهى عن التغافل عن ذكره لأن الراكب يؤخر تعليق قدحه الى بعد شد رحله . الثالث اجماع السلف الصالح على التبرك بذكره صلى الله عليه وآله وسلم لطلب النجاح فيما قصد وأريد . الرابع : افتتاح الدعاء بالصلاة

(١) وبق يبق بالكسر هلك تمت مختار .

(٢) القدح الذي يشرب فيه الماء وجمعه أقداح تمت مختار والحديث اخرجه عبد الرزاق والطبراني والبيهقي في الشعب وعبيد بن حميد عن جابر ابن النجار عن ابن مسعود ولفظه لا تجعلوني كقدح الراكب يجعل ماءه =

عليه صلى الله عليه وآله وسلم سبباً لاجابة الدعاء وحقيقة الصلاة في اللغة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن العباد الدعاء فنقلها الشرع الى ذات الاذكار ، والاركان فصارت حقيقة شرعية فيها فلا تطلق على غيرها إلا مجازاً بقرينة صارفة اليه اذ الحقيقة ما تسبق الى الذهن أولاً بلا قرينة والمجاز ما يحتاج الى قرينة والايضاح الزيادة في البيان ومسالك الهدى أي طرقه والهدى يأتي لسبعة عشر وجهاً : الثبات والبيان والدين والايمان والدعاء والرسل والكتب وبمعنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والتوراة والاسترجاع والحجة والسنة والتوحيد والاصلاح والتوبة والالهام والارشاد قاله في الاتقان فكانت ثمانية عشر كما ترى واستدل على كل وجه بآية من كتاب الله وقد أوضح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الهدى غاية الايضاح (المزحزح) أي المنقذ والمباعد (عن ورطات المهالك والردى) الورطات كل أمر يعسر النجاة منه وهي تطلق أيضاً على المهالك والردى لعله الوقوع فيها نعوذ بالله تعالى منها . قوله : (وعلى آله) وهم من ضمهم الكساء معه ومن تناسل منهم الى يوم القيامة على الصحيح (المقتفين لآثاره) أي المقتدين به في أقواله وأفعاله : (المستصبحين في أرجاء الظلمات بأنواره) شبه الشريعة

في قدحه فان احتاج إليه شربه وإلا صبه اجعلوني في اول كلامكم واوسطه وآخره انتهى

بالانوار وما خالفها بالظلمات والارجاء النواحي اضافها الى الظلمات من باب المجاز والاستعارة (وعلى أصحابه وأعوانه وأنصاره) الصحابي من طالت مجالسته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومات متبعاً لشرعه كما حققوه في أصول الفقه وقيل غير ذلك والاعوان هم الانصار (وبعد) أي وبعد ماتقدم من الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه قد تقدم أما بعد البسملة والحمدلة (فإني نظرت) أضَاف النظر الى نفسه وما سيأتي من الكلام مضافاً اليها من باب توبيخ النفس وهضمها كما هو دأب أهل التقوى والنظر هنا القصد به التفكر (في غفلتي) لعل القصد بالغفلة هنا عدم الاهتمام والجد في الاعمال النافعة في الآخرة لقوله (عن اكتساب) أي الطلب وتحصيل (الزاد) يقال للأعمال الصالحة والتقوى زاد الآخرة مجازاً كما قال تعالى ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾ تشبيهاً بما يحتاجه المسافر بل والحاضر من القوت الذي يسد به رمقه ويقيم به بدنه ولولا ذلك لتلف فلما كانت النجاة المفضية الى السعادة الابدية لا تكون إلا بالتقوى شبهت بالزاد وهيهات كم بين الزادين من بون اذ بالتقوى النجاة من أهوال الآخرة والجحيم والخلود أبداً في دار النعيم وهو معنى قوله (المبلغ الى دار المعاد) وهو المرجع الذي يكون فيه القرار ولأجله كانت الدنيا إذ هي مزرعة الآخرة قال الله تعالى ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من**

نصيب﴾ (وشغلي لأوقاتي بما لا ينفعني بعد وفاتي) هذا شأن كثير منا أهل الدنيا وأما هو سلام الله عليه فإنما هو من باب هضم النفس كما تقدم وكذا في قوله (وجموح نفسي) أي نفورها شبهها بالفرس الجموح (عما يؤنسني في رمسي) أي عن العمل الصالح اذ هو الانيس بعد الموت في الأرماس وهي القبور والنفس ان لم يقابلها العبد بالجهاد الأكبر أهلكته كما قال الله تعالى ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي من رحمة الله تعالى الهام عبده بما ركب فيه من العقل الفارق بين الحسن والقبيح والحجج الواضحة بالرسل والكتب وبتتبع ما جاؤوا به من جهاد النفس واصلاح الباطن تكون النجاة والفوز بالسعادة الابدية ولذا قال عليه السلام (ومن نظر) بعقله وهو ما أودع الله فيه من نور بصيرته (في عاجلة أمره) وهو ان الدنيا دار فناء وتصرم[1] وانقضاء فإن ما مضى من عمره كأن لم يكن وما بقي عن قريب يكون كالماضي ولم يعتد بشيء مما كان في العمر إلا بالأعمال فكيف يلهو عنها عاقل وهو مسؤول عن الصغير والكبير والنقير[2] والقطمير ومثاقيل الذر ثم (في عاقبة حاله) قال الله تعالى ﴿ **ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر[3] صغيرة ولا كبيرة إلا**

---

(١) صرم الشيء قطعه تمت . مختار .

(٢) النقرة التي في ظهر النواة والقطمير الفوفة التي في النواة وهي القشرة الرقيقة تمت مختار .

(٣) أي لا يترك انتهى .

أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ وقال تعالى ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ وقال تعالى ﴿ **أعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار**﴾ أي الزراع سموا بذلك لتغطيتهم على البذر في الأرض اذ الكفر في أصل اللغة التغطية لنقله الشرع الى من يجحد الشرائع ونحوها ويغطي الحق بالباطل فصار حقيقة فيه فلا يطلق على غيره إلا مجازاً بقرينة تدل علييه « نباته ثم يهيج فتراه مضفر بعد خضرته ثم يكون حطاماً [1] وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع[2] الغرور فكفى من نظر في هذا وتقلب الدنيا بأهلها وتفكر في نفسه وتغير أحواله وتقلباتها كما قيل شعراً :

ثمانية لا بد أن تدرك الفتى　　وكل فتى لا بد يدرك ثمانيه
سرور وحزن واجتماع وفرقة　　وعسر ويسر ثم سقم وعافية

هذا في الدنيا . وفي الآخرة مصارعة الموت أولاً ثم القبر ثم البعث والقيامة ومواقفها كما قال الله تعالى ﴿ **خمسين الف سنة مما تعدون**﴾ والحساب والأهوال الهائلة ثم الخلود

---

(١) اي يابساً بعد خضرته انتهى .

(٢) كمتاع البيت من القدر والقصعة وغيرهما انتهى .

الذي ليس له انقطاع البتة في النار أو الجنة نسأل الله الفوز برضاه في الدارين آمين فمن تأمل هذا بقلب حاضر (لم يقر به قرار ولا يؤويه دار) هذا من المبالغة فيما يجده من نظر بعين البصيرة فيما ذكرناه وحق لمن عقل أن يكون كذلك فيكون في غاية من قلق قلبه والتشمير في عبادة ربه والجد والاجتهاد فيما يوجب رضاه اذ هو أعني رضا الله غاية ما يتمناه أولوا الألباب ليس وراءه غاية ولا فوقه نهاية فإنه على كل اثير مؤثر كما قال تعالى ﴿ ورضوان من الله أكبر﴾ مع قول الحكيم العليم ﴿ ذلك هو الفوز العظيم﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو[1] لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً مع أن الكتاب والسنة مشحونان بالوعد والوعيد إرشاداً من الله تعالى بالحث على العمل ورحمة للعبيد (وما وجدت لداء هذه النفس دواء ولا لجريها فيما يوبقها انتهاء) شبه عليه السلام النفس وما هي عليه من الأمر بالسوء كالمريض الذي به داء يحتاج الى الى طلب الدواء النافع ان لم يبادر لها بذلك الدواء هلكت وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما[2] من داء إلا وله دواء وليس دواؤ ها سوى جهادها بالنظر فيما ورد في الشريعة من المواعظ

---

(١) اخرجه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أنس

(٢) اخرجه الامام زيد واحمد واهل السنن الأربع وابن حبان والحاكم في تاريخه عن اسامة بن شريك

الموقظة لمن تأملها المنجية لمن عمل بها (ورجوت ان يوقظها من نومتها) تشبيهاً للغفلة عن ما يجب من طلب النجاة والحذر من عقوبة الله تعالى بالنوم الذي به تفوت الأوقات والفرص المغتنمات الموجبة للفوز بالمطلوبات (ويكسر من أهوائها[1] وشهوتها) أي ما تهواه من الشهوات وتشتيه من اللذات (مطالعة الكتب) أي تأمل ما احتوت عليه من المواعظ بعين البصيرة الخالية عما يغيرها من المكدرات المانعة من منافع العظات (الزهدية) أي المزهدة عما يشغل عن طلب رضا الله تعالى وهو حقيقة الدنيا التي ذمها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على الصحيح بخلاف ما ابتغي به وجه الله تعالى خالصاً منها فلا يتم رضا الله تعالى إلا به (وملازمة النظر في مقالات أهل الطريقة المرضية) في تصفية القلب عن الرذائل المهلكة إذ بها حراسة الاعمال وخلوصها عما يحبطها وبعدم الالتفات اليها قد يكون العامل والعياذ بالله من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون[2] انهم يحسنون[3] صنعاً إذ لا يدري في أي وادٍ يهلك هل في وادي الريا أو الكبر أو العجب أو الحسد أو الحرص أو الطمع أو حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة أو

---

(١) هوى أحب انتهى . مختار .

(٢) أي يظنون

(٣) اي يعملون صالحاً .

في غير ذلك (ولم اجد من هذا القبيل إلا ما هو بسيط طويل أو سا النفع فيه لعدم استكماله قليل) أخبر عليه السلام أنه لم يجد من الكتب النافعة في علم اصلاح القلب مختصراً وجيزاً كاملاً نافعاً قال (فاستخرت الله وقصدت الى جمع نبذ (١) شافية ونكت بالمراد وافية) قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من (٢) سعادة ابن آدم استخارة الله ومن شقاوته تركه استخارة الله اذا هم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم (٣) اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم ان هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو عاجل أمري وآجله فأقدره (٤) لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو عاجل أمري وآجله فأصرفه عني وأصرفني عنه وأقدِرُ (٥) لي الخير حيث كان ورَضِّني به . هذه صلاة الخيرة المروية في

---

(١) النبذ الشيء اليسير انتهى

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك عن سعد ابن أبي وقاص .

(٣) اخرجه البخاري واهل السنن وصححه الترمذي وابن ابي حاتم انتهى

(٤) اي هيئة . ا . هـ .

(٥) اي أقض به وهيئه انتهى .

عدة الحصن الحصين وغيرها فلعل الامام عليه السلام أراد ذلك وقد استحسنت أن يقرأ المصلي بعد الفاتحة في الركعتين قوله تعالى : ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ الى قوله ﴿ واليه ترجعون﴾ ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً﴾ ﴿ وقل عسى أن يهديني ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ وبعدهن في الأولى سورة الضحى وفي الثانية سورة الشرح وقل يا أيها الكافرون والصمد والمعوذتين وقوله نبذ شافية أي قليل من الكلام مبلغ للمرام والنكتة النقطة عبارة عن القلة ولذا قال عليه السلام : (تتضمن قلة في اللفظ وسعة في المعنى) وهذا هو حقيقة الايجاز في الكلام (ليسهل عليَّ ملازمة مطالعته في أكثر أوقاتي واستصحابه في سفر وحضر وملأ وخلأ) ولما أراد الامام عليه السلام أن يكون كتابه لتذكير نفسه وأمثاله من أهل المعرفة جعله وجيزاً لاستغنائه وأمثاله عن زيادة الايضاح بالمعارف التي قد أحرزوها . وفيما ذكره عليه السلام دليل أنه لا يحسن لأحد من أهل المعرفة الغفلة عن النظر في هذه الكتب المصلحة للقلب في حال من الأحوال البتة بل ولا في يوم من الأيام كما اعتمده كثير من العلماء الاعلام اذ به طهارة القلوب عن ما يكدرها من رين الذنوب والفوز برضا علام الغيوب هذا لأهل المعرفة تذكيراً فأما غيرهم من سائر الناس فواجب متحتم على كل منا معاشر المقصرين أن يتلافى في بقية عمره نفسه وان يجهدها فيما ينجيها من ورطتها قبل أن يلقي رمسه

مع أن غير العارف يحتاج الى زيادة الايضاح ولهذا علقت هذا الشرح عليه راجياً من الله تعالى الفوز بالرضوان من لديه مع أني لم أكن من أهل هذا الشأن ولا من فرسان هذا الميدان بيقين ليس كما يفعله المصنفون من هضم النفس لأني في الحقيقة لا شيء لكني مملوء ذنوباً وعيوباً فجعلت هذا لي ولأمثالي متبركاً بالعترة النبوية مستمداً من أنوارهم البهية ولمثل ما قاله الامام عليه السلام هضماً وأقوله فيَّ حقاً (عساه أن يخفف عني من عيوبي وآفاتي) يعني ان ملازمة هذا الكتاب على كل خال وفي كل حال مما يخفف العيوب التي تكون في قلب كل انسان والآفات التي يأتي ذكرها ان شاالله تعالى في مواضعها وسميته تفاؤلاً «كتاب رضا رب العباد الفاتح باب كنز الرشاد» الذي قال فيه الامام عليه السلام: (وجعلته مشتملاً على مقدمة) هي بفتح الدال المهملة اسم مفعول ما يقدم أمام الشيء وبكسر الدال اسم فاعل ما يتقدم أيضاً أمامه (وفصلين وخاتمة) الفصل ما يكون بين كلامين متغايرين والخاتمة ما يختم به الشيء (فالمقدمة في ذكر سبب الغفلة عن الموت) مع أنه مشاهد ضرورة فكم من قريب أو صديق يموت بين يديك معاينة مع أنك قد قطعت أنت وإياه الأوقات وتعلم يقيناً أنك مثله في صفاتك كلها وجميع أحوالك فتعلم علماً يقيناً أن لا بد أن يكون لك ما كان له وأنك تصير الى ما صار اليه (و) ما سبب (عدم اختيار العقلاء مع كمال عقولهم ما يفضي بهم الى السعادة الطويلة) التي لا ينقضي

نعيمها أبداً الآبدين مع ان صبرهم على حسن أداء ما كلفوه وأنه ما يطيقون[١] مدة يسيرة جداً بل هي أقصر المدد بالنسبة الى الماضي والابد (وذكر السبب في غفلة العبد حال قيامه لمناجاة ملك السماوات والأرض) يعني في الصلوات والدعاء كيف لا يحضر قلبه ويعلم أنه يناجي من لا تحيط بعظمته الافهام والبصائر بل ولا بجميع مخلوقاته فإنه قد ورد ان الله سبعين الف عالم السماوات والأرض وما فيهما عالم واحد ومن وراء ذلك قوله تعالى ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون**﴾ (مع علمه أنه حاضر لديه ورقيب عليه) يعلم باطنه وظاهره وسره وعلانيته كما قال تعالى ﴿ **يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون**﴾ وقال تعالى ﴿ **انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون**﴾ وقال ﴿ **انه يعلم الجهر وما يخفى**﴾ (وأما الفصلان فالأول منهما في ما ينبغي للعبد تجنبه من الخلائق الذميمة) فمنه ما يجب تجنبه وجوباً متحتماً ومنه ما يندب (و) الفصل (الثاني فيما يليق به) أي بالعبد (ملازمته من الطرايق القويمة) فمنه ما يجب وجوباً متحتماً ومنه ما يندب كما يأتي ان شاء الله (وأما الخاتمة) يعني خاتمة الكتاب ان شاء الله تعالى (ففيها يصلح به الحال) للعبد العامل به (ويحصل به الفوز في المآل) ان شاء الله تعالى برضا ذي الجلال الذي هو غاية المطلوب دع عنك كل مرغوب ومرهوب (من ذكر

(١) كذا بالأصل

أمهات المعاملة) كالتوبة والزهد والاستقامة ونحو ذلك (وأنواعها) ما هي (وتعدادها) كم هي (وتفصيلها) كيف هي (ومن توظيف الوظايف الحسنة) أن يجعل لكل وقت عملاً من أعمال الطاعة (وتوزيع) أي تقسيم (الأوقات على المهمات) أي تقديم الاهم فالأهم من أعمال الطاعة (ومن امعان النظر) أي تحقيق النظر وتكريرة مرة بعد مرة (فيما ينجي عن الخطر) المخوف من الهلاك ان لم يتحقق فيه ويتثبت (الوارد في الخبر المشهور) الذي آخره (والمخلصون على خطر عظيم) ولفظه كما يأتي ان شاء الله في آخر الكتاب « الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم » وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى (والله سبحانه ولي التوفيق والهداية الى أوضح طريق) هذا الكلام من قوله عليه السلام وجعلته مشتملاً الى هنا جعله عليه السلام لفاً لما سيأتي في الكتاب ثم نشره بقوله .

المقـــدمـــة

وقد مر تفسيرها (وهي) أي المقدمة(قسمان) انما يجعل المؤلفون الابحاث أقساماً ونحوها لاختلاف أنواعها وأعانة للطالب على حفظها وضبطها في ذهنه وتأملها فتأمل تحفظ ان شاء الله تعالى وترشد فتفوز بعون الله تعالى (القسم الأول) في ذكر سبب الغفلة عن الموت (اعلم ان الذي يقضى منه العجب) حقيقة العجب انفعال في النفس يحصل عند حدوث أمر خفي سببه فلما خفي سبب (حال الانسان في غفلته عن الاهتمام بأمر الموت وعدم الروعة [1] منه مع تيقن انه لا بد له منه وأنه في حال السعي اليه لا يفتر عن ذلك لحظة) حصل العجب من تلك الغفلة اذ من شأن كل عاقل أن يستعد لكل ما يظن أن ينزل به من المخاوف حق الاستعداد ويتوقاه كل التوقي ويهيّىء له ما ينفعه عند نزوله هذا مع الظن أو الشك فكيف مع اليقين الصادق الذي لا ينتفي بشك ولا شبهة أن لا محيص له عنه وعدم الامان من هجومه في كل لحظة اذ لا يشعر متى يكون مع القدرة على الاهتمام بتحصيل محتاجه عند نزوله وتيسر ذلك على كل حال

(١) الروعة الفزعة انتهى . مختار .

ووجود الندم وما يحثه على ذلك من عقل وكتاب ورسول وشيب وعبر لا تحصى ، فكيف بعد هذا يكون الاعراض والتغافل والتسويف بالتوبة والتكاسل فهل من عجب اعجب من هذا حتى (قال بعض الأولياء ما رأيت يقيناً لا شك معه) يعني الموت فإنه معلوم ضرورة لا ينتفي بشك ولا شبهة عند جميع العباد لكن مع عدم الاهتمام به كان (أشبه بالشك الذي لا يقين معه) ثم فسر كلامه بقوله (مثل الموت) فإن من حقه ـ مع عظيم اليقين به وكيفيته بأنه مصيبة لا تدفع ونازل في كل لحظة متوقع ـ أن لا يغفل عنه المرء طرفة عين (وما هكذا) يعني الغفلة عن الموت (حال كامل العقل والتمييز) فإن العقل قاضٍ بالتيقظ له والاستعداد الكامل ، الذي يكون ان شاء الله تعالى بالنجاة والرضوان من الله تعالى كافل . فليحذر العاقل أن يكون ممن انهمك في الدنيا وانكب على غرورها ومال الى شهواتها فإن نفسه تميل الى ذلك ميلاً عظيماً حتى تعمى بصيرته فيحتاج لها الى الجهاد الاكبر بتحميلها المشاق في مدافعة هواها وإلا أهلكته وهو لا يشعر لتشميره الى موافقة هوى نفسه الأمارة بالسوء حتى انه يستثقل ذكر الموت الذي ليس له عنه محيص ويكرهه وان كان فيه نجاته ان تلافي نفسه بتكرير ذكره وجعله نصب عينيه بكل حال لئلا يصدق عليه قول الله تعالى ﴿ قل ان الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأنشد الله أمراً نظر بعقله الذي ركبه الله فيه

وجعله حجة عليه هل يعلم أن هذا حق فكيف لا يقبل على الله تعالى بالتوبة والتخلص عما له وعليه من حينه من دون أن تغره نفسه وشياطينه بالتسويف فيجد على نفسه ومناواتها بالجهاد ليظفر بالسعادة الابدية والرضوان عن ربه أبداً سرمداً (عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قرأ ﴿ **فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عداً** ﴾ بكى وقال : آخر العدد خروج نفسك ، آخر العدد فراق أهلك ، آخر العدد دخول قبرك) ذكره في الكشاف كما هنا . وقال في تفسير الآية : أيام محصورة وأنفاس معدودة كأنها في سرعة تقضيها الساعة التي تعد فيها لو عددت ونحوها قوله تعالى ﴿ **ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ** ﴾ (وعن ابن السماك وقد قرأها : اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد [1] فما أسرع ما تنفد) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اكثروا من ذكر هادم اللذات » [2] أي نغصوا به لذاتكم لتتركوها وتقبلوا على الله فتفلحوا (ويقال أن أنفاس ابن آدم ما بين اليوم والليلة) يعني فيهما (أربعة وعشرون الف نفس في اليوم اثنا عشر الفاً وفي الليلة اثنا عشر الفاً) وقالت عائشة : يا رسول الله ، هل

---

(١) مدّه فامتد من باب رد المادة الزيادة المتصلة انتهى المختار .

(٢) اخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابو نعيم في الحلية عن ابن عمر والحاكم في المستدرك والبيهقي عن أبي هريرة والطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي عن أنس .

يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال : نعم ، من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم [1] « لو ان البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً » . وسيأتي فضل ذكر الموت (وقريب من هذا الغفلة عن ما بعد الموت) من القبر وأهواله والبعث والحشر والنشر يوم القيامة وطوله كما قال الله تعالى ﴿ خمسين ألف سنة﴾ ومواقفه كذلك خمسون الفاً في الحساب الشديد . قلت : وأعظم غفلة عدم تأمل الفرق بين سرعة زوال الدنيا والخلود في الآخرة الدائم الابدي السرمدي وقد ضرب في ذلك مثل لو أن الله تعالى خلق ملء الأرض الى السماء خردلاً وخلق طائراً يلتقط في كل مائة الف سنة حبة ثم كذلك لافنى ذلك كذلك وأهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، وهذا مثل في الشاهد لينظر المطلع ما نسبة عمره من الخلود فهلا عمل في الاقصر للأطول وهذا معنى قوله عليه السلام (وعدم اختيار العقلاء مع كمال عقولهم ما يفضي بهم الى السعادة الطويلة) مع أنهم لم يكلفوا إلا ما يطيقونه مع أن الله سبحانه قد سهل لهم الطريق اليها وتفضل بأن جعل الحسنة بعشر أمثالها وقد تزيد الى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء والسيئة بمثلها وقد يعفو وفتح لهم باب التوبة ودعاهم اليها

---

(١) اخرجه البيهقي في الشعب عن أم حبيبة ولفظه لو تعلم البهايم من الموت ما يعلم بنو آدم الخبر بلفظه .

مرارا وكررها في كتابه العزيز كقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً [١] عسى ربكم ان يكفّر عنكم سيئآتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار﴾ الآية وغيرها من الآيات من الكتاب والسنة النبوية (قيل ان الكنز المراد في قوله تعالى ﴿ وكان تحته كنز لهما﴾ لوح من ذهب مكتوب فيه : عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن) يعني والله أعلم أن ما قدره الله تعالى لا بد منه مع أنه لا يقدر إلا الخير (وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب) لأن ما قد قسمه الله له من الأرزاق فإنه يأتيه لا ينقص منه شيء وهذا لا يناقض ما ورد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يعدو أمرؤ ما كتب له فأجملوا في الطلب » ولا ما ورد من الحث على طلب الحلال اذا كان بإجمال إنما المذموم الحرص ونحوه (وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح) لأنه لا يزال متوقعاً له في كل حال إذ لا يأمن هجومه عليه في كل لحظة و طرفة (وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل)وهو محاسب على الصغير والكبير والنقير والقطمير وهما النقرة في ظاهر النواة والقشرة التي عليها تسمى قطمير بل ومثاقيل الذر قال تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة﴾ الخ (وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها) مع أن كل عاقل قد تيقن غرورها وخدعها ومكرها فمن أغتر بها صرعته ومن ركن

(١) خالصاً صادقاً من قلوبكم وهو الندم بالقلب والاستغفار باللسان والعزم على ان لا يعود اليه ابداً .

اليها أسلمته الى المهالك ومن وثق بها صار هالكاً . وسيأتي ان شاء الله في ذم حب الدنيا وهذا موجود عند كل عاقل بالضرورة يرى تقلب الدنيا بأهلها وفي نفسه أيضاً بينما هو مسرور اذ هو حزين وكذلك في الصحة والسقم والغنى والفقر والعسر واليسر والشدة والرخاء والحر والبرد والغضب والرضا وكل ما يجده عند نفسه وغيره من تقلب الأحوال في هذه الدنيا دار البلوى واللاواء [1] (والسبب في جميع ذلك) يعني عدم الاهتمام بشأن الموت وما بعده والغفلة عنه مع أن الحال هكذا هو (حب الهوى وطول الأمل) فإن هذين الأمرين مما يحذر منهما لاهلاكهما كثيراً من الناس فأما الهوى فكم ورد فيه من أحاديث نبوية بعد قوله تعالى ﴿ **فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى**﴾ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « صنم يعبد أهون عند الله من هوى متبع » الى غير ذلك .

وأما الأمل فسيأتي قريباً ما ورد فيه (وقيل السبب) تركيب الانسان (تركيباً يحتاج فيه الى دفع المضار العاجلة قبل حضور وقت المضار الآجلة) ومن شأن الانسان الاشتغال بالعاجل وان قل عن الآجل وان عظم (فهو في المضار العاجلة مستغرق بدفع مضار الجوع والعطش والبرد والحر و الخوف والسقم والغم والقهر والاهانة والاستخفاف والشماتة) من الاعداء (ونحوها من الاحوال التي يرى أن تجرعه

---

(١) الشدة انتهى مختار .

غصص [1] الموت أهون من تجرعها) كما ترى كثيراً من الناس يتمنى نزول الموت عليه مما يلاقي من شدة ما هو فيه (فيهون الاهتمام به بالنظر الى الاهتمام بها) حيث هي عاجلة ، وهو آجل ثم لا يزال كل انسان على هذا مهتماً بالعاجل حتى يأخذه الموت (وقد أثر عنه صلى الله عليه وآله وسلم « أن أشق من الموت ما يتمنى الموت من أجله ») . فلينظر العبد في نفسه اذا كان في شدة من وجع أو أي خصلة مما تقدم وطال ذلك عليه مع الشدة كيف يتمنى الخلاص منه ولو بالموت (فلذلك هان في قلبه هم ما يعلمه مما هو صائر اليه في المستقبل من ضرر الموت) وما بعده والأمر جلي (والأقرب ـ والله اعلم ـ ان السبب الحقيقي هو سلب الله تعالى للخواطر المنصرفة الى ذكر الموت) المعلوم بالضرورة (وتصور حقيقة أمره) وكذلك أيضاً (سلب الدواعي الى) الغفلة عن (الاشتغال به) كما يليق به (لما في ذلك من اعتمار الدنيا وانتظام أمرها الذي هو مقصود للحكيم) تعالى في خلقها وخلق ما فيها اذ لولا ذلك ما عمر شيء منها كما أثر عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه أن الله سبحانه خلق في كل انسان حمقة فيها يميل الى الدنيا من أكلٍ وشرب ونكاح وعمارة وغير ذلك . هذا معنى الرواية لا لفظها والحمقة هي النقص في كمال العقل (ولو أن الناس نزّلوا أمر الموت منزلته

---

(١) الغصة الشجي والشجي ما ينشب في الحلق من عظم وغيره انتهى مختار .

اللائقة به) وهي التي يقضي بها العقل الكامل (اقتضى ذلك أن تخرب الدنيا ولا تعمر ولكان المرء جديراً بأن لا يعمل) من أعمالها شيئاً (فإنه لا يثق بالحياة لحظة كيف يتعب نفسه ويسهر ليله) وقد يخاطر[١] بنفسه في المتالف المتلفة في طلب شيء يسير من الدنيا لا قيمة له كشيء من علف أو حطب (وفي محاولة أمور انما يفتقر اليها من شأنه أن يخلد والله أعلم) فهذا مما تحار فيه العقول (ومثال حال الانسان في تيقنه أنه يسعى في كل يوم وليلة مرجلتين الى الموت مع غفلته عن الاهتمام به والانزعاج لأجله بحال رجل) في الشاهد (أذنب الى ملك ذنباً عظيماً يقتضي قتله فأمر الملك بأحضاره من مسافة بعيدة وقد رأى السيف مصلتاً وشاهد من تأهب لضرب عنقه فسار به المأمورون باحضاره وهم يطعنونه) في طريقه (في جوانبه) كلها (بأشظة)[٢] أي أشافي وحربات ونحوها (حادة) مؤلمة له (لا يسلم منها إلا اذا اتقاها بحجفة) يعني درقة (في يده فما اتقاه من ذلك) بدرقته (سلم) من (مضرته وقطعه لجسمه وما لم يتقه آلمه فصار مستغرقاً بأتقاء تلك المطاعن) المؤلمة له عن اهتمامه بما هو ساع اليه من ضرب عنقه وإزهاق روحه حتى هان عليه ما هو ذاهب اليه في جنب ما صار فيه) أراد عليه السلام التمثيل

(١) الخطر بفتحتين الاشراف على الهلاك يقال خاطر بنفس انتهى مختار.

(٢) الشظاظ بالكسر العود الذي يدخل في عروة الحوالق انتهى مختار.

بالشاهد ليكون أوقع في ذهن المطلع لما شرع الله تعالى من الامثال بقوله ﴿ **وتلك الأمثالُ نضربها للناس**﴾ الخ فأراد بطلب الملك لضرب العنق ما قضاه الله عز وجل على عباده من الموت لتيقن ضرورة وبالمطاعن التي تكون فيه حال حياته في الدنيا ما ينوبه فيها وكل ما يكابده كما قال تعالى ﴿ **لقد خلقنا الانسان في كبد**﴾ من جوع وعطش وحر وبرد وخوف وسقم وغم وقهر وإهانة واستخفاف وجهادِ نفس وشيطان من جن وانس وهوى ونحو ذلك حتى ذهل عن ذكر الموت وهان عليه الموت (نعم فلو أن الانسان) جعل همه [1] واحداً و (قطع مواد ما يشغله عن الاهتمام) بالأمر الأعظم الأجل وشغل به أي (بالموت عن تلك الأمور المذكورة الممثلة) سابقاً (بما يلحق المقدم للقتل في طريقه) المشبه بها الحياة في الدنيا (لتفرغ قلبه لادراك هم الموت) الذي هو الاهم الأعظم (و) أعظـم منه (ما بعده) من القبر وسؤال منكر ونكير والقيامة وأهوالها والخلود بعد ذلك (ولاشتغل به واستغرق في ذلك وسعه وجهده) حتى ينال السعادة الأبدية والنعمة السرمدية [2] والرضوان الأكبر ذلك هو الفوز العظيم (فليستعن العبد على ذلك بما ورد في الحث على ذكر الموت) حتى يجعله نصب عينيه لا يغفل عنه لحظة (وقصر الأمل مما لا يكاد ينحصر) وقد تقدم طرف من ذلك (كقوله صلى الله

---

(١) الهم الحزن انتهى مختار .

(٢) السرمد الدائم انتهى مختار

عليه وآله وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات) أي الموت (فإنه ما كان في كثير إلا قلَّله) يعني ما كان ذكره من أحد وله أموال كثيرة إلا قللها في عينه حيث يتحقق في باله أنه مفارقها لا محالة وأنها تصير لغيره وليس له منها إلا الحساب والعقاب (ولا قليل إلا جزاه [1] أي كفاه) يعني اذا ذكره وله اموال قليلة ألا قنع بها فكفته حيث يتحقق في باله أن مدة لبثه في الدنيا يسيرة يكفيه منها اليسير كما نبه عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث عدة مثل قوله « لا يعدو أمرو ما كتب له ، فأجملوا في الطلب » وقوله انه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب رواه سلمان رضي الله عنه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم لثوبان حين سأله ما يكفيه من الدنيا قال « ما سد جوعتك ووارى عورتك وإن كان لك بيت يظلك فذاك وإن كانت لك دابة فبخ » وقوله[2] صلى الله عليه وآله وسلم « ليس لابن آدم حق في سوي هذه الخصال : بيت يكنه وثوب يواري عورته وجِلْف[3] الخبز يعني كسر الخبز أو كما قال عليه السلام (وزد هذا الحديث بهذا اللفظ وبما في معناه في عدة كتب من عدة طرق تنتهي الى عدة من الصحابة كابن عمر وأنس وأبي هريرة وفي بعض طرقه فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه) يعني لعلمه بسرعة

---

(١) اخرجه البيهقي عن ابن عمر بلفظه وحسنه السيوطي

(٢) اخرجه الترمذي والحاكم وصححاه عن عثمان .

(٣) الجلف بالكسر وسكون اللام بعدهما فاء هو غليظ الخبز انتهى منذري .

انقضاء مدته ولأن انتظار الفرج خير من انتظار الشدة والموت للمؤمن أعظم الفرج وكل آتٍ قريب (ولا في سعة إلا ضيقه عليه) يعني لتيقنه أنه عن قريب يفارق تلك السعة مع أنه كاره لفراقه فيكون في ضيق لذلك . وعن ابن عمر قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاشر عشرة فقام رجل من الانصار فقال يا نبي الله من أكيس الناس وأحزم(١) الناس؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت وأكثرهم استعداداً للموت أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة . رواه الطبراني في الصغير بأسناد حسن وغيره ذكره المنذري في كتابه وفيه(٢) أيضاً أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أي المؤمنين أفضل؟ قال : أحسنهم خلقاً . قال : فأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً اولئك الأكياس . وفيه أيضاً أنه مات(٣) رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوا يثنون عليه ويذكرون من عبادته ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت . فلما سكتوا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل كان يكثر ذكر الموت؟ قالوا : لا . قال : فهل كان يدع كثيراً مما يشتهي؟ قالوا : لا قال : ما بلغ صاحبكم كثيراً مما تذهبون اليه ، وفي رواية البزار من

(١) الحزم ايضاً ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة انتهى مختار .
(٢) اخرجه البيهقي عن أنس .
(٣) اخرجه الطبراني عن سهيل بن سعد الساعدي وحسنه المنذري .

حديث انس ذكر رجل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعبادة واجتهاد فقال كيف ذكر صاحبكم الموت ؟ قالوا : ما نسمعه يذكره . قال : ليس صاحبكم هناك ، ولعله أراد بقوله هناك يعني كما تأملون يعني من استحقاق الثناء والرفعة . وروي عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر والناس حوله : « أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء فقال رجل يا رسول الله انا لنستحيي من الله . فقال : من كان منكم مستحيياً فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما وعى والرأس وما حوى وليذكر الموت والبلا وليترك زينة الدنيا » رواه الطبراني في الأوساط وعن (١) الضحاك قال : أتى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال : يا رسول الله من أزهد الناس ؟ فقال « من لم ينس القبر والبلا وترك أفضل زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعدَّ غداً من أيامه وعد نفسه في الموتى » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى (٢) عن البراء قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال : « يا إخواني لمثل هذا فأعدوا » .

---

(١) اخرجه ابن ابي الدنيا .

(٢) اخرجه ابن ماجة عنه وحسنه المنذري .

فصـــل

في الحث على تقصير الأمل وصورته كما حكاه عبد العظيم المنذري في كتابه قال روي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اربعة من الشقاء : جمود العين ، وقسوة القلب ، وطول الأمل ، والحرص على الدنيا » رواه البزار وعن عبد الله بن عمر لا اعلمه إلا رفعه قال « صلاح اول هذه الأمة بالزهادة واليقين وهلاك آخرها بالبخل والامل » رواه الطبراني وروي عن ام الوليد بنت عمر قالت : اطلع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات عشية فقال : « يا ايها الناس ألا تستحيون ؟ قالوا : مما ذاك يا رسول الله ؟ قال : تجمعون مالا تأكلون وتبنون ما لا تعمرون ، وتؤملون ما لا تدركون ألا تستحيون من ذلك » رواه الطبراني . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان أسامة لطويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت قدحاً الى فيّ فظننت أني

واضعه حتى أقبض ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت والذي نفسي بيده انما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين » رواه ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل وأبو نعيم في الحلية والبيهقي والاصبهاني . وعن عبد الله بن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ببعض جسدي فقال « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في اصحاب القبور » وقال لي « يا ابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فإنك لا تدري يا عبد الله ما اسمك غداً » رواه البخاري والترمذي وعن معاذ قال قلت يا رسول الله أوصني قال : « اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى واذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر ، واذا عملت سيئة فأعمل بجنبها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية» رواه الطبراني بأسناد جيد وعن عبد الله بن عمر قال مر بي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أطين حائطاً أنا وأمي فقال ما هذا يا عبد الله فقلت يا رسول الله وهَى فنحن نصلحه فقال الأمر أسرع من ذلك وفي رواية ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك . رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان في صحيحه . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « خط النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطاً مربعاً وخط خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خطوطاً صغاراً الى هذا الذي

في الوسط فقال هذا الانسان وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي هو خارج امله وهذه الخطط الصغار الاعراض فإن اخطأه هذا نهشه هذا ، وأن أخطأه هذا نهشه هذا » رواه البخاري والترمذي والنسائي . وهذه صورة ما خط صلى الله عليه وآله وسلم :

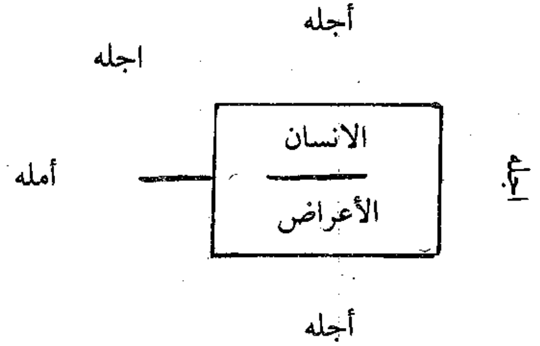

وعن أنس قال « خط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطاً وقال هذا الانسان وخط الى جنبه خطاً وقال هذا اجله وخط آخر بعيداً منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك اذ جاءه الأقرب » رواه البخاري واللفظ له والنسائي نحوه . وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « هذا ابن آدم وهذا أجله ووضع يده عند قفاه ثم بسطها وقال وثمة أمله وثمة أمله » رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه ورواه

النسائي أيضاً وابن ماجه بنحوه . وعن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « هل تدرون ما مثل هذه وهذه ورمى بحصاتين قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا الامل وذاك الأجل » رواه الترمذي . وعن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « الجنة أقرب الى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك » رواه البخاري وغيره وعن أبي الدرداء حين حضرته الوفاة قال أحدثكم حديثاً سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعته يقول أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك واعدد نفسك في الموتى وإياك ودعوة المظلوم فإنها تستجاب » الحديث وعن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « بادروا بالاعمال سبعاً (أي احذروا سبعاً) هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مُفنِداً[1] أو موتاً مجهزاً أو الدجال فشرٌّ غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر » رواه الترمذي وروي عن جابر رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « يا أيها الناس توبوا قبل أن تموتوا وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » رواه ابن ماجة وعن شداد بن أوس

---

(١) ضعف الرأي من الهرم انتهى مختار

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله رواه ابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن . وفي كتاب التصفية للامام يحيى بن حمزة رضوان الله عليه : وروى أمير المؤمنين رضوان الله عليه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان أشد ما أخاف عليكم خصلتان أتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فإنه يعدل عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال ألا وان الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض واذا أحب عبداً أعطاه الايمان ألا وان للدنيا أبناء و للدين ابناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ألا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وانكم في يوم ليس فيه حساب ويوشك ان تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل . وعن ابن عباس رضي الله عنه انّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يخرج يهريق الماء فيمسح بالتراب فأقول يا رسول الله ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا أبلغه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « يكبر ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص وطول الأمل » وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كلكم يحب ان يدخل الجنة ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال قصروا من الامل وثبتوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله حق الحياء » وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه « اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع

خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من إمل يمنع خير الأمل » وقال بعض الحكماء : انما عمرت الدنيا بقلة عقول أهلها . وقال آخر : لو علمت متى اجلي لخشيت ذهاب عقلي .

فصـــل

قال الامام عليه السلام : (ولا ينبغي لمؤمن ان يكره الموت) ، اذ لا فرج للمؤمن من الكبد في الدنيا وشدة محنتها وكربها سواء فلينظر المؤمن ما يكابد[1] فيها وما يقاسي واذا كان الله تعالى راضياً عنه فما مثل الموت له فرج (لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « تحفة المؤمن الموت ونحوه ») قوله « من احب لقاء الله احب الله لقاءه » . الخبر . وفي الحديث القدسي « **أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**» . وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لما حضرته الوفاة : حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم . وفي هامش الشفا نسبه الى الثمرات : وعن أبي هريرة « والذي نفس محمد بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب الى العلماء من الذهب الأحمر حتى يأتي الرجل قبر أخيه فيقول يا ليتني مكانك » وعن النووي كنت أرى مشايخنا يحبون الموت فكنت أعجب منهم

(١) الكبد بفتحتين الشدة انتهى مختار .

حتى صرت الآن أعجب ممن لا يحب الموت . وفيه ايضاً في تفسير « من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قالت عائشة اكراهية الموت فكلنا نكره الموت ؟ قال : « ليس كذلك ولكن المؤمن اذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وان الكافر اذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه » وعن أنس مثله إلا أنه قال « ولكن المؤمن اذا احتضر جاءه البشير من الله فليس شيء أحب اليه من ان يكون قد لقي الله ، وان الفاجر أو الكافر اذا احتضر جاءه ما هو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » رواه احمد . قلت : ولا ينبغي تمني الموت لما رواه في الشفا خبر وعن[1] أنس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يتمنى احدكم الموت لضيق ما نزل به ؛ فإن كان ولا بد متمنياً فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيراً لي » وفي رواية « لا يتمنى أحدكم الموت لضر ما نزل به » دل على انه لا ينبغي ذلك لضيق أو ضر أو مرض بل يقابل المؤمن ذلك بالصبر الجميل والرضى بالقضاء قال الله تعالى ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من ابتلى فصبر لقي الله ولا حساب عليه » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « لن تعطوا

---

(١) اخرجه احمد والشيخان وابن داوود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن انس

عطاءً خيراً أوسع من الصبر » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « الصبر ضياء » وعنه « اذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتباه وان رضي اصطفاه » . وسيأتي ان شاء الله تعالى ما ورد في الصبر في موضعه .

(القسم الثاني) في ذكر السبب في غفلة العبد عند قيامه لمناجاة ربه في الصلاة مع انه حاضر لديه ورقيب عليه عالم بضميره وما توسوس به نفسه وما يكنه في صدره ويخفيه سره ، كيف لا يستحي منه مع أنه في قبضته يتصرف به كيف يشاء فكيف لا يخاف سطوته[1] به حيث لا يتذلل له ولا يعظمه حق تعظيمه مع أنه المنعم عليه بكل النعم التي لا تحصى والحافظ له في كل حال فكيف يعصى (ان من المعلوم ان المنتصب لخطاب ملك من ملوك الدنيا) وإن كان في الحقيقة مثله ضعيف حقير محتاج في كل لحظة الى الملك الاعلى إلا أن هذا من التمثيل بالمشاهد ليكون له موقع في نفس المخاطب رجاء أن ينتبه من غفلته ويصحو من سكرته فكيف (يجمع قلبه للاقبال عليه) أي على ذلك الملك الضعيف المحتاج (ويحسن التودد اليه) لرجاء شيء حقير دنيوي فإنْ إن قدر ذلك الملك على أن يوصله اليه وأذن له مالك الجميع بذلك مع أن راجيه لا يعلم هل ذلك الشيء خير له أم شر اذ لا يعلم بمصالحه غير خالقه ومع ذلك فإن هذا المنتصب بين

---

(١) اي قهره وبطشه

يدي الملك الدنيوي (يتحرز التحرز الكلي عن أن تفرط منه كلمة مستهجنة)[1] عند ذلك الملك (أو التفاتة غير مستحسنة) عند ذلك الملك (أو ذهول عما يخاطبه به أو يتلقاه من خطابه) هذا وان كان في الحقيقة (لا يخاف نقمته) التي هي كأنتقام خالقه مع أنه وأن أراد الاضرار به الزائل فإنه لا يقدر عليه ان يدفعه الله تعالى عنه (ولا يرجو نعمته) وان رجا فكما تقدم من حقارة ما يرجوه وانه بمشيئة الله تعالى العالم بمصالحه (فيا عجباه) وانه لجدير بالعجب (من منتصب) في عبادته (لمناجاة ملك السماوات والأرض) مع أنهما عالم من سبعين الف عالم كما ورد ومن وراء ذلك قوله تعالى ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون**﴾ فإن عظمة الله وقدرته وملكه وجبروتيته وكبرياءه وسعة رحمته وجوده وجميع صفاته الحميدة التي وصف بها نفسه في كتابه لا تقاس على صفات مخلوقاته ولا يحيط بها الأوهام ولا تبلغ كنهها الافهام ومع هذه العظمة العظماء (وهو) أي المنتصب (يعلم) علماً يقيناً (أنه) أي الملك الأعظم الذي لا تساوي عظمته عظمة (حاضر لديه) لا يغيب عالم بضمائره واسراره وبكل ما يأتي وما يذر وبما مضى من أعماله وما تأخر وما كان وما سيكون وأين مصيره ومستقره فهو أعلم به وبجميع مصالحه من نفسه حافظ له في جميع احواله (ورقيب عليه) في جميع أقواله وأفعاله واخفائه

(١) أي قبيحة

واظهاره (وانه) يعني هذا العبد الذليل المنتصب لعبادة الملك الجليل (محتاج في كل لحظة اليه) فهو فقير اليه في كل حين (غير مستغنٍ عنه) في كل حال من الاحوال طرفة عين كما قال بعض العارفين فإن قيل لك ما دليلك عليه فقل حاجتي اليه . هذا (وان احسانه اليه فوق كل احسان) لكن ظلمات ذنوبه وغفلته والشيطان وحب الدنيا والحرص عليها واتباع الهوى والطغيان غطى ذلك فلم يلتفت أوان (و) ان (عاقبة عصيانه) وغفلته عما يجب عليه (الخلود في قعر النيران) وهيهات هيهات فإن ها هنا تسكب العبرات وتعلو الزفرات(١) ويعظم خطر الخطيئآت عند كل ذي عقل فضلاً عن ذوي النهي والألباب أما تتفكر أيها المطلع ما معنى الخلود وتمعن نظرك فيه وتعمل فكرك مرة بعد مرة اذ كل ما كان فانٍ مُنْقَضٍ فأنه كأن لم يكن فلا اعتداد إلا بما كان للخلود وقد ضرب مثل في الشاهد لما شرع من ضرب الامثال ليتعقله المشاهد مثاله لو أن الله تعالى ملأ الأرض خردلاً وقد تقدم فتأمله . هذا مع أن الانسان ما يعرف الا ما قد عرفه من حقارة الدنيا وما عليها فإنه يستعظمها لأنه لا يعرف إلا هي وإلا ففي علم الله وقدرته ما تكون السموات والأرض وما فيهن بالنسبة اليه كحلقة ملقاة في فلاة كما حكاه في تفسير الكرسي في مجموع الهادي يحيى بن الحسين رضوان الله عليه

---

(١) اي الاصوات انتهى مختار .

قلت : ولا يستبعد كل ما ورد من عظيم صنع الله تعالى وقدرته وسعة ملكه كما ورد في سعة الجنة وما يعطي أهلها فيها والدليل على ذلك عقلاً وسمعاً فالعقل ما ضربه بعض العلماء الثقات وهو أنه لو خلق الله تعالى عقلاً للصبي وهو في بطن امه مثلاً فقيل له ان هذا الموضع الذي أنت فيه حقير وان ثمة مكاناً أوسع منه ألف مرة يملكه الفقير من الناس لاستعظم ذلك وقد يستبعده اذ لا يعرف إلا ما هو فيه فاذا خرج مثلاً الى مكان مغلق وقيل له ما هذا بالنسبة الى ما كنت فيه ظن أن لا أوسع من ذلك المكان ، ثم قيل له ان هذا بالنسبة الى الأرض والسماء ضيق صغير أستبعد اذ لا يعرف غير ما هو فيه فلما رأى الأرض والسماء ظن أن لا أوسع منهما فاذا قيل له هما بالنسبة الى ما في علم الله شيء حقير وفي الجنة كذا وفي علم الله كذا مما هو بالنسبة الى قدرة الله وعظمته حقير ، فقد يستعظم ذلك . وسبب جميع ما ذكر أن الانسان يقيس ما لا يعرف على ما يعرف من هذه الدنيا مع أنها دار البلوى والامتحان والاختبار لا دار التفضل والانعام وأما السمع فكم وكم ورد في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من عظم صنع الله وقدرته وأعظم ذلك قوله ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين** ﴾ وقول(١) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان في الجنة ما لا عين

---

(١) اخرجه الطبراني في الكبير عن سهل بن سعد وضعفه السيوطي .

رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » فأنظر ايها المطلع بقلب صاح عن سكرة الغفلات ما اعظم هذا الرب وأجله (وأن عظمته لا تدانيها عظمة سلطان) بل ما أذل وأحقر وأصغر كل عظمة بالنسبة الى عظمته فكل عزيز بالنسبة الى عزته لا شيء (ومع ذلك) فكيف (يترك) المنتصب لعبادته (الاقبال عليه) بقلبه وقالبه والتذلل لهٌ في عبادته مع أن الصلاة وكل عبادة انما شرعت لذلك الشأن فكيف يلهو عنه العبد (ويعرض له الذهول[1] عنه لخواطر دنيوية) زائلة وبية (ووساوس غير نافعة ولا مرضية) بل تضره في الحال بنقص ثواب عبادته (حتى لا يشعر بمعاني ما يتلوه في صلاته) بل يكون في تلك الحال غافلاً (ولا يعقل ما المطلوب بها) من تذلل المخلوق لخالقه وأداء ما أوجب عليه من عبادته فكيف لا يأتي بها على أحسن الوجوه مع علمه بأنه ما خلق إلا لها بل يقوم ببدنه ولا يحضر قلبه (ويسهو عن أركانها) الفعلية (وأذكارها) فما يدري ما يقول (هذا مما تحار فيه العقول) حيث يفعل العاقل المختار ما يخالف المعقول والمنقول فأن العقل يقضي بأن العبد الذليل المحتاج في كل لحظة الى خالقه الملك الجليل من حقه أن يحضر قلبه ويخشع ويستكين ويخضع في عبادة ربه غاية الخشوع والخضوع وأن يدع كل وسواس ويجرد قلبه عن كل غفلة وأما المنقول فكم

(١) اي الغفلة انتهى مصباح .

ورد في ذلك من كتاب وسنة قال الله تعالى ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة﴾ الى آخر الآية وكل ما ورد في كتاب الله من أقامة الصلاة فإنه يتضمن ذلك وقال تعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقال تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ بعد قوله ﴿ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه﴾ وبعدها قوله تعالى ﴿ الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ﴾ وقال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ الى غيرك من الآيات القرآنية .

فصـــل

وأما السنة فقال في كتاب المنذري عن ابن عباس رضي الله عنه عن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل : ﴿ **إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي وقطع نهاره في ذكري ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلأه بعزتي واستحفظه ملائكتي اجعل له في الظلمات نوراً وفي الجهالة حلماً ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة** ﴾ رواه البزار وروى ايضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ان العبد اذا صلى فلم صلاته : خشوعها ولا ركوعها واكثر التفات لم تقبل منه ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه وإن كان على الله كريماً » رواه الطبراني . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعاً » رواه الطبراني بأسناد حسن وعن ابن عباس مرفوعاً قال : « مثل الصلاة المكتوبة مثل الميزان من أوفى أستوفى » رواه البيهقي . وعن مطرف عن أبيه قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلى وفي صدره أزيز

كأزيز الرحى من البكاء رواه أبو داود والنسائي ولفظه رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وبجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني يبكي . الرحى المطحن والمرجل بكسر الميم وفتح الجيم هو القدر يعني غليانه وعن عقبة ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول إلا انفتل وهو كيوم ولدته امه » رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد وهو في مسلم وغيره . وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ان الرجل لينصرف من صلاته وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها » رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه بنحوه . وعن ابي اليسر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس حتى بلغ العشر » رواه النسائي بأسناد حسن .

فصــــل

في الأركان الفعلية في كتاب المنذري في حديث عن رفاعة ابن رافع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله ويغسل وجهه ويديه الى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه الى الكعبين ثم يكبر الله ويحمده ويمجده ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسر ثم يكبر ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه ويقيم صلبه ثم يكبر فيسجد ويمكن جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يكبر فيسجد ويمكن جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يكبر فيرفع رأسه فيستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ ثم قال : « لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك » رواه النسائي وهذا لفظه والترمذي وقال حديث حسن قوله لا تتم أي أجرها كما تقدم وعن عثمان بن دهرش عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه » رواه المروزي ووصله أبو منصور الديلمي الى ابي بن

كعب (ومن أمعن النظر في ذلك) أي في عدم احضار القلب حال العبادة (وجد سببه ما تقدم ذكره) سابقاً (وهو سبب الغفلة عن هم الموت مع تيقن السعي اليه وعن هم ما بعده مما يدهش الالباب ويوجب مداومة الانتخاب) قوله يدهش الالباب أي يذهل العقول والانتحاب شدة البكاء وكيف لا يوجبه ممن لا يعلم متى يهجم عليه هادم لذاته ثم يصير الى بيت الظلمة والدود والاهوال في اللحود ولا يعلم ما يلقاه يوم الطامة المفضية الى دار الخلود (ولعل السبيل الى التحفظ عن تلك الشواغل) الصارفة لاحضار القلب (في حال الصلاة التي هي عماد الدين) قال في الشفاء للأمير الحسين رضوان الله عليه ومما ذكره في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « الصلاة مرضاة للرب وحب للملائكة وسنة الانبياء ونور للمعرفة وأصل للايمان واجابة الدعاء وقبول الاعمال وبركات في الرزق وراحة في البدن وسلاح على الاعداء وكراهية للشيطان هذه في الدنيا وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره وفراش تحت جنبه وجواب على منكر ونكير ومؤنس وزائر معه الى يوم القيامة هذه بعد الموت وقبل القيامة فاذا كان يوم القيامة كانت ظلا فوقه وتاجاً على رأسه ولباساً على بدنه ونوراً يسعى بين يديه وستراً بينه وبين النار وحجة للمؤمن بين يدي الله تعالى وثقلاً في الميزان وجوازاً على الصراط ومفتاحاً الى الجنة لأن الصلاة تسبيح وتهليل وتحميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء وتمجيد لأن

أفضل الأعمال الصلاة لوقتها وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « الصلاة[1] عماد الدين » وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أول ما افترض الله على أمتي الصلوات الخمس وأول ما يوضع في الميزان الصلوات الخمس » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من لقي الله تعالى وهو مضيع للصلوات لم يعبأ الله بشيء من حسناته » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أول ما أوجب الله من أحكام الشرائع على عبده الصلاة وأول ما يحاسب به العبد الصلاة وأول ما يثاب عليه الصلاة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن » (والفارقة بين الكفرة والمؤمنين) فهي واجبة وأخذ الدليل عليه كتاباً وسنة وإجماعاً قال الله تعالى ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة**﴾ وقال تعالى ﴿ **أقيموا الصلاة**﴾ وقال تعالى ﴿ **ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر**﴾ الى غير ذلك من الآيات . ومن السنة قال في الشفاء خبر وروي عن زيد بن علي عن ابائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « صلوا الصلاة لوقتها فمن ترك الصلاة عن وقتها كفر » وفي حواشيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم « بين[2] وبين الشرك والكفر الصلاة » قال صلى الله

---

(١) اخرجه البيهقي في شعب الايمان وضعفه السيوطي
(٢) اخرجه مسلم وأبو داوود والترمذي وابن ماجة عن جابر بلفظه .

عليه وآله وسلم « أربع [1] فرضهن الله في الاسلام فمن جاء بثلاث لم يغنين عنه شيئاً حتى يأتي بهن جميعاً الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت» قال في الشفاء وأما الاجماع يعني على وجوبها فالاجماع المعلوم بين كافة علماء الاسلام والمتلزمين به من كافة الانام منعقد على وجوبها على المكلفين وهي من أركان الاسلام التي يفسق تاركها تمرداً ويكفر تاركها مستحلاً لغير عذر شرعي ويكفر من استخف بها لأنها (التي فرضها الله تعالى ليطهر بها عباده عما اقترفوه فيما بين أقواتها من الذنوب) في الترغيب والترهيب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » رواه مسلم والترمذي وغيرهما وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « الصلوات الخمس كفارات لما بينها » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أرأيت لو أن رجلاً كان يعتمل وكان بين منزله ومعتمله خمسة أنهار فإذا أتى معتمله عمل فيه ما شاء الله فأصابه الوسخ والعرق فكلما مر بنهر اغتسل ما كان ذلك يبقى من درنه فكذلك الصلاة كلما عمل خطيئة فدعا واستغفر غفر له ما كان قبلها » رواه البزار والطبراني في الاوسط والكبير ولذا قال الامام عليه السلام

(١)اخرجه احمد عن زياد بن نعيم الحضري بلفظه مرسلاً .

(ويغسلوا أبدانهم عن درن الحوب[1] كما يشعر بأن قوله صلى الله عليه وآله وسلم « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ يمرّ على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم وليلة خمس مرات » وفي رواية « فما ذا ترون أيبقى عليه من الدرن بعد ذلك ») روى نحو هذا الحديث البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة وفي حياة القلوب وقد نبه الله تعالى على معنى الحديث حيث قال : ﴿ **ان الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ وذكر محققوا المفسرين أنها المقصودة بقوله تعالى ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾ وقد تتبعنا ما تضمنت الفرائض الخمس ورواتبها من الحسنات فوجدناها في كل يوم وليلة خمسمائة حسنة وأربعاً وتسعين حسنة ذكره في حياة القلوب وفي أمالي الامام احمد بن عيسى عليه السلام عن عبادة[2] بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان العبد اذا توضأ فأبلغ في الوضوء ثم قام الى الصلاة فأحسن القراءة فيها وأتم ركوعها وسجودها حتى يتصرف منها قالت له الصلاة حفظك الله كما حفظتني وصعد بها الملك الى الرب تبارك وتعالى ولهاضوء فتشفع لصاحبها واذا أساء وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني وصعد بها الملك الى الرب تبارك وتعالى وعليها ظلم

---

(١) الحوب بالضم الاثم انتهى مختار .

(٢) اخرجه ابو داود والبيهقي في سننهما عن عبادة بن الصامت.

تغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها » انتهى وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « خمس صلوات افترضهن الله من احسن وضوءهن وصلاهن بوقتهن وأتم زكوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد ان يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « مفتاح[1] الجنة الصلاة » (هو) هذا جواب لقوله لعل السبيل الى التحفظ عن تلك الشواغل (ان يصرف العبد ذهنه الى ان قيامه للوضوء والصلاة انما هو لخطاب ملك الملوك والاعتذار اليه من التقصير وفي الحياء منه في أحواله السابقة) والتذلل له والتخشع والتضرع وجلب ما يجلب الخوف منه جل وعلا حتى يَصْلِيّ القلب بنيران الخوف الصادق فتتبادر من العيون دموع اللجا من شدة الخوف والرجاء فيغتذي من أنهاره العذبة المقرونة باليقين بالوعد الرغيد أي الواسع ما يعدل به نار الوعيد والشديد فيحثه ذلك على التشمير في الجد في الأعمال المرضية التي هي مراد باري البرية كما قيل شعراً :

وإذا حلت الهداية قلباً   نشطت للعبادة الاعضـاء

(وليطلب) العبد المقصر فيما مضى من الازمان (منه) أي من ربه (العفو والمسامحة والاحسان) وينوي بفعله ذلك

---

(١) اخرجه احمد وابن حيان بلفظه عن جابر مع زيادة في آخره . وهي مفتاح الصلوة الطهور .

(لأداء ما كلفه من العبادة) وتفضل عليه بها لينال بثوابها منه الحسنى وزيادة (عن الحسن السبط عليه السلام أنه كان اذا قام للوضوء اصفر لونه وانتقع) من خوف ربه (وقال اني علمت أني قمت للتهيىء لخطاب ملك الملوك فأرتعدت لهيبته) هذا وهو وأخوه عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة قد بشرهما سيد الخلق بذلك وهما سبطا رسول رب العالمين فكيف بنا أيها الحثالة[1] العصاة المقصرون الغافلون عما نحن اليه صائرون (وانما يتم ثواب الصلاة وفضلها بالخشوع ألا ترى الى قوله تعالى ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون**﴾) وقد تقدم شيء مما ورد في الخشوع (وهذا تفصيل ما ينبغي للمصلي استحضاره منذ الشروع في الوضوء الى الفراغ من الصلاة) من ذلك ما يجب ومنه ما يندب وهو انه (اذا شرع في وضوء) ندب له ان يستحضر (في ذهنه ما استحضره الحسن عليه السلام حتى يفرغ منه) ويجب عليه ان يسمي وينوي عند أول عضو من اعضاء الوضوء والاولى ان يقول « بسم الله الرحمن الرحيم . نويت بوضوئي هذا لكل صلاة » لأجل يصلي به ما شاء ويكفيه ان ينوي بقلبه ذلك (ولا يخلي وضوء ولا شيئاً منه من ذكر الله تعالى لما ورد في الخبر واستحسنه الفضلاء وهو مذكور في مواضعه) . ومما يسن مؤكداً قبل الوضوء السواك ، قيل انه

---

(١) الحثالة بالضم ما يسقط من قشر الشعير والارز والتمر وكل ذي قشاة اذا نقي وحثالة الدهن ثفله فكانه الرديء من كل شيء انتهى مختار .

ورد فيه مائة حديث . من ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما زال جبريل يوصيني بالسواك حتى خشيت (١) على أضراسي » أو كما قال وقوله : « لولا (٢) أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء » ذكرهما المنذري في كتابه . وفي الشفا للامير الحسين عليه السلام عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر في السواك اثني عشر خصلة هو من السنة وهو مطهرة للفم ويرضي الرحمن ويبيض الأسنان ويذهب بالحفر ـ بالحاء مهملة ـ تأكل الاسنان ويشد اللثة ويشهي الطعام ويذهب بالبلغم ويزيد في الحفظ ويضاعف الحسنات وتفرح به الملائكة ويقرب الملائكة .

فصـــل

في هامش الشفا في فضيلة الوضوء عن (٣) عبد الله الضباعي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « اذا توضأ العبد فمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنشق خرجت

---

(١) اخرجه الطبراني عن أم سلمي بلفظه إلا انه قال خفت .

(٢) اخرجه البزار والطبراني في الكبير عن العباس ابن عبد المطلب .

(٣) اخرجه مالك والنسائي وابن ماجة والحاكم وقال صحيح الاستناد على شرطهما ولا علة وهو صحابي مشهور اسهى منذري قلت فلعل قوله عن عبد الله الضباعي تصحيف والله اعلم .

الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج مُن تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفارا فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فاذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه .

فصـــل

في كيفيته وأذكاره (أولاً) المضمضة والاستنشاق وقد تقدم كيفيةَالبسملة والنية وجوباً روي عن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه أنه كان يقول عند القعود للوضوء: اللهم[٢]اني

(١) دعاء الوضوء اخرجه ابو حاتم عن انس قال دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه اناء من الماء فقال يا انس ادن اعلمك مقادير الوضوء فدنوت منه فلما ان غسل يديه قال بسم الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلما استنجى قال اللهم حصن فرجي وبشرني امري فلما تمضمض واستنشق قال اللهم لقني حجتي ولا تحرمني رايحة الجنة فلما ان اغتسل وجهه قال اللهم بيض وجهي يوم تبيض الوجوه فلما ان غسل ذراعيه قال اللهم اعطني كتابي بيميني فلما ان مسح يده على رأسه قال اللهم غشنا برحمتك وجنبنا عذابك فلما أن قال اللهم ثبت قدمي يوم تزول فيه الاقدام فلما فرغ من وضوءه قال والذي بعثني بالحق نبياً ما من عبد قالها عند وضوئه لم يقطر من خلالها بعد قطرة إلا خلق الله ملكاً يسبح الله بسبعين لساناً يكون ثواب ذلك التسبيح له الى يوم القيمة انتهى اعتصام .

أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من السوء والهلكة . وعند ستر العورة : اللهم حصن فرجي واستر عورتي ولا تشمت بي الاعداء . وعند المضمضة والاستنشاق : اللهم لقني حجتي وأذقني عفوك ولا تحرمني رائحة جنتك (الثاني) غسل الوجه كاملاً ويقول : اللهم بيض وجهي يوم تسود الوجوه ولا تسود وجهي يوم تبيض الوجوه (الثالث) غسل اليدين ويقول عند اليمنى اللهم اعطني كتابي بيميني والخلد بشمالي ، وعند الشمال اللهم لا تؤتني كتابي بشمالي ولا تجعلها مغلولة الى عنقي (الرابع) التغشي مسح الرأس مستكملاً مع الاذنين ويقول : اللهم غشني برحمتك إني أخشى عذابك ، اللهم لا تقرن[1] ناصيتي الى قدمي واجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . ويندب مسح الرقبة والسالفتين والقفا ويقول : اللهم اعتق رقبتي الضعيفة من النار والسلاسل والاغلال . (الخامس) غسل الرجلين الى الكعبين مستكملاً ويقول : اللهم ثبتي قدمي وأقدام والدي على صراطك المستقيم الخ . ويجب ترتيب الاعضاء في الوضوء كما ذكرنا وتخليل الشعر والاصابع والاظفار والاسنان . والواجب غسل كل عضو مرة والسنّة الثلاث وندب الغرة وهي أن يأخذ شيئاً من الماء ويشنه على جبينه والتحجيل أثر الوضوء الى نصف الساق والعضد فيكون

---

(١) أي : تجمع

نوراً يوم القيامة ، ويقول عند فراغه ما رواه في الشفاء عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا انت أستغفرك وأتوب اليهك اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واغفر لي ولوالدي انك على كل شيء قدير » ويقرأ سورة إنا انزلناه في ليلة القدر وهذا ما أراده الامام عليه السلام (فاذا فرغ دعا بدعاء الفراغ المأثور عنه صلى الله عليه وآله وسلم) فاذا خرج الى المسجد فليدع بما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « من خرج من بيته الى الصلاة فقال : اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فإني لم اخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله بوجهه واستغفر له سبعون الف ملك » قوله : أقبل الله بوجهه أي برحمته وفضله . قال الامام عليه السلام (ثم استقبل القبلة للصلاة وجدد العزم على أنه لا ينطق بشيء من ألفاظ ذكرها ألا وهو متذكر معناه قاصد لأداء ذلك المعنى) مخلصاً لله تعالى قوله (فاذا شرع في الأذان فقال الله ذكر) في قلبه (أن معناه الإله الذي تحق له العبادة والخضوع) الذي لا تحيط بعظمته العقول والافهام اذ هو الخالق لكل شيء والقادر على كل شيء والمحيط بكل شيء علماً (فاذا قال أكبر ذكر) في قلبه وقرر (أن معناه اكبر من

كل كبير في النفوس) وفي الشفاء قوله : الله أكبر مما أنتم فيه من أمور الدنيا يا مشاغيل وقيل اجيبوا فالله أعظم من أن يغفل عن اجابته (ثم يقصد بتكراره أن يتمكن في نفسه ونفس من سمعه) ذلك المعنى (وفي قوله أشهد أن لا إله) يوصلكم الى جميع بغيتكم (ألا الله) يريد بقله خالصاً (أنه يخبر عن يقين) صادق (أن لا أله تحق له العبادة) حقاً والخضوع والتذلل البالغ صدقاً (إلا ملك السماوات والأرض) المحتاج اليه كل مخلوق والمتصرف بخلقه كيف يشاء حسب مصالحهم على ما يوافق الحكمة التي يعلمها (ثم يقصد بتكراره ما سبق) أن يتمكن في نفسه ونفس السامع تلك المعاني العظيمة وفي قوله (أشهد أن محمداً) بلغ ما أمره ربه بتبليغه وقيل يا أهل الجحود اشهدوا كما شهدنا تفوزوا كما فزنا (رسول الله يستحضر ما علم به من نبوته) ونزول الوحي اليه من الله تعالى بالرسالة و (من أتيانه بالمعجزة الباقية) الى القيمة الباهرة العظمى (وهي القرآن) الذي تحدى الله فيه أفصح الفصحاء أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك كله (وغيرها) قيل ان له صلى الله عليه وآله وسلم الف معجزة وقد افردتُ فيها وفي شمائله وغزواته مجلداً كاملًا نافعاً وسميته الرياض الزاهرة اذ الميل هنا الى الاختصار فخذ ذلك من هنالك فإنه حسن (فاذا فرغ من الشهادتين نوى الدعاء الى العبادة العظمى) وهي الصلاة التي بها الفوز في الدارين (فقال حي

على الصلاة أي هلم الى الصلاة قاصداً نفسه وسامعه) ومعناه (اي احضروا الى هذه العبادة التي افترضها علينا ربنا) وحتمها نعمة منه ، لما نناله من الثواب الاعظم الباقي في الآخرة بلا نفاد وبالعمل السهل اليسير مع ان لنا فيها منافع دنيوية عظيمة فقد قال تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ وفي كتاب البركات عن أبي هريرة قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسكنْدُرْدم قلت نعم قال قم فصل ان الصلاة شفاؤه قال في حواشي الازهار ففي هذا فائدتان تكلمه صلى الله عليه وآله وسلم بالفارسية ومعناه أتوجعك بطنك والثانية ان الصلاة شفاء وهي تبرىء من ألم الفؤاد والمعدة والامعاء وكثير من الآلام ، وكثرة الصلاة والتهجد تحفظ الصحة لأنها تشتمل على انتصاب وركوع وسجود وغير ذلك فتتحرك معها اكثر الاعضاء لا سيما المعدة والامعاء قال عليه السلام (ويكرره ليتمكن في النفوس ثم يقصد توكيد ذلك الدعاء) الاعظم (بأن يقول حي على الفلاح أي هلم الى ما يحصل به فلاحنا وهو الفوز بجزيل الثواب والسلامة من وبيل العقاب) بسبب المشي الى الصلاة وسيأتي ما ورد فيه وفي الشفاء تفسير حي على الصلاة أي هلم اليها ودعوا ما أنتم فيه فهو دعاء كقوله تعالى ﴿ **سارعوا الى مغفرة من ربكم**﴾ وقيل آذَنَ لَكم في عبادِة ربكم فبادروا . حي على الفلاح ، دعاء الى الزكاة أي هلم الى ما تزكون به أنفسكم وقيل خوضوا في رحمة الله

وخذوا سهمكم منها (ويكرره لما سبق ثم يقصد توكيد الدعاء بذكر انها خير الاعمال الجالبة للنفع الدافعة للضرر فيقول حي على خير العمل أي أفضله) وفي الشفاء أي هلم الى الجهاد وهو جهاد النفس وهو الجهاد الاكبر والمقصود في هذي الكتاب قيل هلم الى الصلاة ، وقد ورد في الحديث « اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة (ويكرره لما سبق ثم يقصد توكيد الدعاء بأن الله أمر بها وهو أكبر من يجب امتثال أمره فيعيد لفظ التكبير) قال في الشفاء : وقوله الله أكبر في آخر الآذان يقول حرمت عليكم الأعمال قبل الصلاة روي ذلك مرفوعاً (ويكرره كما مر ثم يقصد تأكيد الاهتمام بما دعا اليه بأن يخبر بأنفراد الله سبحانه باستحقاق العبادة وان غيره لا يشاركه في ذلك فيقول لا إله إلا الله) وفي الشفاء: فاذا قال لا إله إلا الله يقول أمانة سبع سماوات وسبع أرضين فإن شئتم فأقبلوا وان شئتم فأدبروا . روى ذلك مرفوعاً ، ويجب ان يكون المؤذن مكلفاً عدلاً طاهراً من الجنابة ويندب ان يكون متوضئاً مستقبل القبلة في مكان عال قائماً وان يجعل مسبّحتيه في صماخيه[١] وان يلتفت جهة اليمين عند قوله حي على الصلاة وجهة اليسار عند قوله حي على الفلاح وان يرتل الآذان مجتهداً في رفع صوته لما رواه في هامش الشفاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم « يغفر[٢] للمؤذن مدى صوته

(١) الصماخ بالكسر خرق الاذن وقيل هو الاذن نفسها والسين لغة فيه انتهى مختار .
(٢) اخرجه احمد عن ابي هريرة .

ويصدقه كل رطب ويابس » قال الخطابي : مدى الشيء غايته والمعنى انه يستكمل المغفرة من الله تعالى اذا استوفى وسعه في رفع الصوت فيبلغ الغاية منها وعن البرآء[١] بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله وملائكته يصلون على الصف المقدم والمؤذن يغفر له مدى صوته وصدّقه من سمعه من رطب ويابس وله أجر من صلى معه » ذكره عبد العظيم المنذري في كتابه وفيه أيضاً عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لو[٢] أقسمت لبررت ان احب عباد الله الى الله لرعاة الشمس والقمر - يعني المؤذنين - وانهم ليعرفون يوم القيامة بطول أعناقهم[٣] وعن[٤] ابن عباس رضي الله عنه من اذن محتسباً سبع سنين كتب له براءة من النار وفي حواشي الشفاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم يا ابا[٥] ذر اذا كان الرجل في أرض فتوضأ أو تيمم ثم أذن ثم أقام صم صلى أمر الله الملائكة وصفوا خلفه صفاً لا يرى طرفاه ويركعون بركوعه ويسجدون بسجوده ويؤمنون على دعائه ومن أقام ولم يؤذن لم يصل معه أحد إلا ملكاه وقد ذكرت كثيراً مما ور في فضل الآذان في كتاب الرضوان فخذه منه أن شئت .

(١) اخرجه احمد والنسائي قال المنذري بأستناد جيد .

(٢) اخرجه الطبراني في الاوسط

(٣) قيل يكونون رؤساء . والله اعلم .

(٤) اخرجه الترمذي وقال غريب وابن ماجة عن ابن عباس

(٥) اخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن سلمان

فصـــل

في اجابة المؤذن وماذا يقول بعد الأذان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الجفا[1] كل الجفا والكفر والنفاق من سمع منادي الله فلم يجبه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من سمع النداء فلم يجبة فلا صلاة له إلا من عذر » قلت يعني أنه لا صلاة له كاملة الثواب كمن أجاب وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول المؤذن » رواه الستة وعن أبي هريرة قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام بلال ينادي فلما سكت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قال مثل هذا يقيناً دخل الجنة رواه النسائي . وندب ان يقول السامع عند ابتدائه مرحباً[2] بالصلاة وأهلاً كبرت كبيراً وعظمت عظيماً رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً » ذكره في ضياء ذوي الأبصار وندب أن يقطع السامع ما هو فيه ما لم يكن

(١) الجفا ممدود ضد النبي انتهى . مختار .

(٢) اخرج الخطيب عن موسى بن جعفر عن ابيه عن جده مرفوعاً من قال حين سمع المؤذن مرحباً بالقائلين عدلاً مرحباً بالصلوة واهلاً كتب الله له الفي الف حسّنه ومما عنه الفي الف سيئة ورفع له الفي الف درجه واخرجه البيهقي في الدعوات بة ته مع طول فيه .

صلاة ويتابع المؤذن . وفي الشفاء عن[1] جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشراً وعن انس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الدعاء بين الأذان والاقامة لا يرد » وفي رواية فماذا نقول يا رسول الله ـ قال « سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة » (فاذا شرع في الاقامة استحضر تلك المعاني) المتقدمة في تفسير الأذان (وأراد بقوله قد قامت الصلاة التنبيه على حضور وقتها وأوان القيام لها والدخول فيها فاذا فرع منها أحضر في ذهنه أنه خارج من خطاب نفسه وجنسه الى مخاطبة ملك الملوك) العالم بسره وعلانيته وما توسوس به نفسه وما يكنه فؤاده (فيبدأ بالاستعاذة طالباً من الله أن يطرد عنه الشيطان الذي يدعوه إلى ما يغفله عن استحضار عظمة الله تعالى في قلبه) في هامش الشفاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر المصلي فيها قلبه مع بدنه » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « كم من مصل قائم حظه من صلاته التعب والنصب » قلت وما ذاك إلا لعدم حضور القلب فينبغي للعبد أن يقبل بجميع خواطر باطنه ولا تشتت به

(١) اخرجه احمد في البخاري واهل السنن الأربع عن جابر بلفظه .

الوساوس بل يستحي من خالقه ويعلم انه بين يدي من هو عالم سره ونجواه وبيده ضره وكل ما يهواه مع أنه في قبضته وتحت تصرفه لا ينفك عنه طرفة عين فإن أعرض عنه بَلَّغه اعراضه الدرك الأسفل من النار وأن أقبل عليه بقلبه وأحسن عمله فاز بالفردوس الأعلى من الجنة والنعيم الدائم (ورد في الخبر ان العبد اذا توجه مصلياً قام الى يمينه ملك والى شماله شيطان يقول له) الشيطان (اذكر كذا اذكر كذا واعزم على كذا) يعني ان الشيطان لعنه الله وقد قيل ان اسم شيطان الصلاة خنزب يذكر المصلي حاجاته من أمور دنياه ليشتت عليه الوساوس لئلا يقبل بقلبه على ربه فيستكمل ثواب صلاته ويفوز برضا ربه ولذا قيل من أراد أن يذكر حوائجه فليصل لكنه ينبغي للعبد مجاهدة نفسه بالجد عليها في الاقبال على الله بكليته ولذا قال عليه السلام ، (والملك يقول أقبل بقلبك الى ربك فيكتب له من صلاته ما حضر قلبه فيه فقد ينصرف وله من صلاته : نصفها ثلثها ربعها الى عشرها) من الأجر بقدر ما احضر قلبه فيها (فاذا انصرف) من صلاته التي لم يحضر قلبه فيها (قال له الملك لو أطعتني) يعني بأقبال القلب على الله في حال الصلاة وترك جميع الوساوس الدنيوية (كان لك كذا وكذا) يعني لاستكملت أجرك الكامل على صلاتك (هذا معنى الخبر لا لفظه) ولفظ المنذري عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها ، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها » . رواه أبو داود

والنسائي وابن حبان في صحيحه بنحوه وعن ابي اليسر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس حتى بلغ العشر رواه النسائي بأسناد حسن . قلت : وهذا كله القصد به ان يأتي العبد بالصلاة ويحضر قلبه فيها ملازماً على الخشوع حتى يستكملها على هذه الحالة فيكتب له اجرها كاملاً فإن قصر كتب له بقدر ما أحضر قلبه وخشع فيها وأما نفس الاجزاء اذا أتى بها كاملة الاركان والاذكار خالية عن وجوه الفساد فقد أجزأته وهذا من رحمة الله تعالى وتيسيره لعبده الضعيف لكنه قد قال الله تعالى ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون** ﴾ أي يتيقنون ﴿ **انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون** ﴾ وحقيقة الخشوع هو الخوف الدائم وسكون البدن وفي المنذري عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصراً على معصيتي وقطع النهار في ذكري ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلأه بعزتي واستحفظه ملائكتي اجعل له في الظلمة نوراً وفي الجهالة حلماً ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة » رواه البزار . وعن ابي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا يرى فيها خاشعاً رواه الطبراني بأسناد حسن . وعن ابن

عباس رضي الله عنه مرفوعاً قال : « مثل هذه الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى » وعن مطرف عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي وفي صدره ازيز كأزيز الرحا من البكاء وفي رواية ابي داود والنسائي ولجوفه ازيز كأزيز المرجل وهو القدر حين يغلي ما فيه يعني يبكي وقال صلى الله عليه وآله وسلم لرجل « انه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى ويغسل وجهه ويديه الى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه الى الكعبين ثم يكبر الله ويحمده ويمجده ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسر ثم يكبر ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يقول سمع الله لمن حمده ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه ويقيم صلبه ثم يكبر فيسجد ويمكن جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ثم يكبر فيرفع رأسه ويستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل كذلك » رواه النسائي وهذا لفظه والترمذي وقال حديث حسن (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم لا ينظر الله الى صلاة لا يحضرها العبد قلبه) وفي المنذري عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لا يقبل الله من عبد عملاً حتى يشهد قلبه مع بدنه » قلت وهذا دليل لوجوب النية في كل عبادة وفيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا ينظر الله الى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » رواه احمد بأسناد جيد وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الرجل ليصلي ستين سنة

وما تقبل له صلاة لعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع » رواه ابو القسم الأصبهاني وروى عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان للصلاة المكتوبة عند الله وزناً من انتقص منها شيئاً . حوسب به فيها على ما انتقص » رواه الاصبهاني . وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ان العبد اذا صلى فلم يتم في صلاته خشوعهاولا ركوعهاواكثرالألتفات لم تقبل منه، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه وان كان على الله كريما » يعني وان كان له درجة عند الله تعالى فإن الله يكره أن يجر ثوبه يعني يسبله على الأرض خيلاء . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ما من مسلم يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقوم في صلاته فيعلم ما يقول أي يحضر قلبه إلاّ انفتل وهو كيوم ولدته امه » يعني يغفر له ذنوبه (فينبغي اذا قام) المصلي (للتوجه أن يستفتحه بالتعوذ من) الشيطان (الذي يتسلط عليه حال الصلاة كما ذكرنا) في الحديث السابق في قوله والى يساره شيطان (ثم يقدم على نية الصلاة ايقاظ نفسه) مثلها عليه السلام بالنائم لغفولها في الغرور بالدنيا وعدم الانتباه لما خلق العبد له من العبادة والخضوع والتذلل) ولعظمة من يريد مناجاته والتقرّب اليه) والتضرع له والمسكنة بين يديه (ليدخل بخاطر حاضر فيقول) متوجهاً (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض) أي قصدت بعبادتي . قال في الكشاف : للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدئها ومبتدعها (أي صرفت وجهي الى الجهة التي امرت باستقبالها)

وهي جهة الكعبة المشرفة لقول الله تعالى ﴿ **فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا جوهكم شطره**﴾ (تعبداً لخالق السماوات ورافع سمكها) وممسكها بلا عمد سقفاً محفوظاً ، قال تعالى : ﴿ **الذي خلق سبع سماوات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت**﴾[١] فأرجع البصر هل ترى من فطور[٢] ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً[٣] وهو حسير[٤] لكثرة اجالته فيها ولا يجد شيئاً من الخلل هذا مع أن لونها أعون لون على تقوية البصر لئلا يضر البصر المنقلب فيها للتفكر (و) خالق (الأرض وساطحها قراراً للورى) مكاناً ومستقراً لا بد لهم منه قال شارح الأساس : واذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعتد فيه جميع عتاده[٥] فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم منظومة معلقة كالقناديل والجواهر مخزونة في معادنها والانسان كالملك المخول لجميع ما في البيت من ضروب النبات والحيوانات وهي مهيئة كلها مصروفة في مصالحه . قلت ففي التفكر في هذا واختلاف الليل والنهار ما يضطر ذوي العقول على عظمة خالقها واستحقاقه للتوجيه بالعبادة اليه والتذلل والخضوع بين يديه (حال كوني حنيفاً أي مائلاً بنفسي عن كل دين غير هذا الدين) أي دين محمد صلى الله

---

(١) اي اعوجاج اي رد

(٢) اي شقوق وصدوع وخلل

(٣) اي صاغراً ذليلاً .

(٤) اي كليل منقطع .

(٥) العتيد الحاضر ، المهيأ انتهى مختار

عليه وآله وسلم (مسلماً أي مستسلماً منقاداً لأمر ربي) مخلصاً له ديني (وما أنا من المشركين لغيره في عبادتي له) كما يفعله المشركون (ان صلاتي أي عبادتي هذه) التي توجهت بها (ونسكي) أي وكل ما أتقرب به في حج وغيره (ومحياي أي وحدوث محياي بخروجي الى الحيوانية من الجمادية) أي في ابتداء خلقي (ومماتي أي خروجي الى الموت بعد الحياة) وفي الكشاف : وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين أي حصلاً بأقداره) وفي الكشاف : خالصة لوجهه (لا شريك له أي في عبادتي له واقتداره على محياي ومماتي وبذلك) من الاخلاص له (أمرت أي بأعتقاد عدم الشريك والعلم بأختصاصه بذلك) دون غيره (وأنامن المسلمين أي المنقادين لأمر الله) المخلصين له عبادتهم (ثم يحمد الله الذي هداه وأقدره على ذلك)اذ هما نعمتان عظيمتان الهدايةوالتمكين بما يكون به الفوز الأكبر (ونزهة عن مقالة المشركين) قلت وهذه والله اكبر النعم على الاطلاق اذ ما سواها بالنسبة اليها لا شيء (فيقول الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) أي لم يكن له ولد كما زعمته النصارى واليهود (ولم يكن له شريك في الملك) أي في الألوهية كما زعمه المشركون (ولم يكن له ولي) ينصره (من) أجل (الذل) أي لم يذل فيحتاج الى ناصر (بل هو القاهر لكل قاهر) والقادر على كل قادر فما سواه معه كلا شيء اذ هو موجد الاشياء من العدم والمتصرف فيها كيف يشاء جل جلاله في حال وآت وقدم . فينبغي للمصلي أن (يحضر قلبه لقصد هذه المعاني)

السابق ذكرها (عند النطق بذلك) اذ كل لفظ منها يتضمن معناه (فإنه ما أمر بها إلا ليستحضر معانيها ويعرف مبانيها) لأن القصد بكل لفظ منطوق به معناه الذي يجده العاقل العارف بقلبه ان كان حاضراً عند النطق به (ثم ينوي الصلاة التي يريدها) وينوجه لها (بقلبه ويقصد بفعلها تعظيم الله تعالى والتقرب اليه) والتذلل بأستحضار الخشوع له والمسكنة والخضوع بين يديه لمعرفة العبد بضعفه البالغ في الضعف كل غاية ومعرفته بعظمة من قام لمناجاته وتفرده بالكمال الكلي والكبرياء والعلو في كل شيء من المحامد الى ما لا غاية له حتى انه لا يعلم بقدره إلا هو ولا يحيط الواصفون صفته ذلك (امتثالاً لأمره) بقوله عز وجل ﴿ **أقيموا الصلاة**﴾ ﴿ **حافظوا على الصلوات**﴾ وكم تكرر الأمر بها في كتاب الله تعالى(واتباعاً لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم) فأنها معلومة من دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضرورة فعلاً وقولاً ، وكم وكم ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الحث على الصلاة كقوله : « أول ما افترض الله على امتي الصلوات الخمس وأول ما يوضع في الميزان الصلوات الخمس » وفي الشفاء للامير الحسين عليه السلام خبر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين » خبر وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « من تهاون بالصلاة من الرجال والنساء عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة ست في الدنيا وثلاث عند الموت وثلاث في القبر وثلاث في القيامة ، فأما الست اللواتي في الدنيا فأحداهن

أن يرفع الله من حياته البركة والثانية أن يرفع الله من وجهه سيماء الصالحين ، والثالثة لا يأجره الله تعالى على شيء من طاعته والرابعة لا يجعل الله له نصيباً في دعاء الصالحين ، والخامسة لا يسمع الله له دعاء ، والسادسة لا يمنع الله منه البلاء والمهالك وأما التي عند الموت : فأحداهن أن يقع عليه داء وشدة حتى كأنه وضع على صدره السموات والأرض والثانية لو سقي ماء البحر لمات عطشاناً ، والثالثة لو اطعم ما في الأرض مات جائعاً . وأما التي في القبر فأحداهن أن يقع في غم طويل والثانية أن يخرج من قبره ويمشي في ظلمات لا يبصر والثالثة يضيق عليه لحده حتى تختلف أضلاعه والتي في القيامة شدة الحساب وغضب الجبار والخلود في النار » هكذا في الشفاء في تفسير كلمات الأذان والوارد في الحث على الصلاة كثير والميل هنا الى الاختصار (فاذا نوى ذلك افتتح الصلاة بالاحرام) أي بتكبيرة الاحرام وانما سميت كذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « تحريمها التكبير وتحليلها التسليم » ذكره في الشفاء (فيقول الله اكبر) وجوباً لفعله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن علمه « قل الله اكبر » بالسكون على الراء لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « التكبير جزم والتسليم جزم » أي سكون الراء وسكون الهاء من قوله ورحمة الله في التسليم ذكره في هامش الشفاء (وتفسيره ما مر) قال في هامش الشفاء : وإنما شرع الابتداء في الصلاة باسم الله لأنه اجل أسماء الله بل هو اسم الله الأعظم فلما كانت الصلاة أعظم العبادات بدأ فيها بأعظم أسماء الله ، وقول

المصلي الله اكبر يريد بالكبر عظم الشأن والجلال لأعظم الجرم لأنه تعالى غير جسم ولا عرض ومعنى التكبير أنه تعالى اجل وأعظم من أن يعبد غيره أو يستحق العبادة سواه .

فصل

(ويستحضر نية الاحرام وهو تحريم كل فعل وقول بعد التكبير سوى تأدية ما أمر به من الأذكار والاركان) وهي عشرة فروض جمعتها في هذه الأبيات :

فرض الصلاة عشرة فهاكها منتشرة
أولها نيتها احرامها فكبره
ثالثها قيامها وفيه فأقرأ ما تره
أم الكتاب تلوها ثلاث منه منزله
خامسها ركوعها ثم اعتدل متم له
واسجد على سبعة آرا[1] ب تكن معتدله
شهادتين بعدها صلاتين المعتبرة
ثم السلام تلوها تمت فروض عشرة

وان شئت حصراً آخر :

فروض صلاتنا عشر فخذها
حفظ العلم بالنظم اغتناما

(١) الآرب بالكسر العضو وجمعه اراب انتهى مختار .

بقلب خالص فإنوِ وكبر
لاحرام وقم وأقرأ تماما
بفاتحة الكتاب وزد ثلاثاً
من الآيات واركع لا ملاما
وقم للاعتدال كذا سجود
له في الاعتدال التزاما
وفرض شهادتين مع صلاة
كذا الملكين فأقصدهم سلاما

فهذه فروض الصلاة فينوي كما تقدم ويكبر للاحرام قائماً ثم يقرأ الفاتحة وثلاث آيات معها يجمع القيام والقراءة في كل ركعة أو يفرقها في الركعات ثم يركع ويطمئن قدر تسبيحه في كل ركن ثم يعتدل قائماً ثم يسجد ثم يعتدل قاعداً ناصباً للقدم اليمنى فارشاً اليسرى وجوباً بين السجدتين وندباً حال التشهد والواجب من التشهد الاخير أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ويكون معرباً لأنه اذا لحن عمداً أو سهواً ولم يعده صحيحاً فسدت الصلاة (ويوطن[1] نفسه بعزيمة صادقة على استيفاء الاذكار والأركان على الوجه الذي أمر به من وجوب) كما تقدم (وندب) كما

(١) وطن نفسه على الامر توطيناً سهلها لفعلة وذللها انتهى مصباح .

سيأتي ولعله أراد المسنون والهيئة . ولقد جمعت المسنونات في هذه الأبيات ليسهل حفظها لقارئها :

مسنونها ثلاثة وعشرة تعوذ توجه معتبره
كمال حمد وكمال السورة عصرين سرا غيرها مجهوره
مرتب بينهما موالي أول قيام وكذا في التالي
قراءة الحمد أو التسبيح في الآخرين ليس بالفصيح[1]
تكبير نقل مع كل ركن والاعتدال من ركوع يحني
فذكره التسميع من منفرد ومن أمام بعده بالحمد
حال الركوع والسجود سبح لله وتراً واطمئن واصلح
تشهد الأوسط بعد الثانية وطرفا الأخير متوالية
ثم القنوت في صلاة الفجر والوتر فأحفظ ما أتى في الذكر

(قاصداً معاني الالفاظ على استكمال الاركان وتأدية اذكارها وعدم الانتقال من شيء منها قبل تمامه) فاذا قام الى صلاته قال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وقد تقدم معاني ذلك كله وينوي ويقول : الله

١) من الافصاح لا من الفصاحة .

اكبر ويقرأ الفاتحة (ومعاني الفاتحة) التي ينبغي له استحضارها ما (نذكره الآن بسم الله الرحمن الرحيم أي أشرع في القراءة المشروعة) مستفتحاً (مستعيناً باسم الله رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الحمد لله رب العالمين أي الثناء الحسن والوصف الجميل يختص به ملك العالمين) أي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم وقد قيل أن لله سبعين ألف عالم السموات والأرض وما فيهما عالم واحد وقيل سبعين عالماً قلت: ومن وراء[1] ذلك كله قوله تعالى ﴿ ويخلق ما لا تعلمون﴾ فسبحان من لا يحيط بعلم مخلوقاته العالمون فضلاً عن وصف الواصفين، هذا في مخلوقاته تعالى فكيف في عظمته وجميع صفاته؟ فليتنبه الغافل من هو يعبد وبين يدي من يركع ويسجد وقيل ان العالم كل ما علم به الخالق من الاجسام والأعراض كما في الكشاف (الرحمن الرحيم أي المحسن الى عباده بنعيم الدنيا والآخرة) قال في الكشاف ما معناه: وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم وهو يختص بالله تعالى ولما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه بالرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف والرحمة هي أرادة الخير لأهله (ملك يوم الدين أي مالك الأمر يوم الجزاء) أي يوم القيامة وفي قراءة مالك قال

---

(١) ووراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام انتهى مختار.

في الكشاف : ملك هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولأن الملك يعم والملك يخص ثم قال هذه الأوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه رباً مالكاً للعالمين لا يخرج شيء منهم من ملكوتيته وربوبيته ومن كونه منعماً بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكاً للأمر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله (إياك نعبد أي لا نعبد غيرك) والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ولا تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أي مالك اعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع ذكره في الكشاف ثم قال فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان وذلك لأن الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان احسن تضرية[1] لنشاط السامع وايقاظاً للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد يختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع له والاستعانة به في المهمات فخوطب ذلك المعلوم

---

(١) أي تعويدا أنتهى مختار معنى .

المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له بذلك التمييز الذي لا تحق العبادة إلا له . قلت وأعظم فائدة من فوائد هذا الالتفات إيقاظ المصلي أن الموصوف بهذه الصفات العظيمة حاضر ليوجب احضار قلبه لتعظيم ربه اذ هو المراد . فإن قلت لم قرنت الاستعانة بالعبادة . قلت ليجمع بين مايتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته . فإن قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة . قلت لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها . فإن قلت لم أطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل مستعان فيه والأحسن أن مراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة (وإياك نستعين على تأدية عبادتك لا نستعين عليها إلا بك) قال في الكشاف ويكون إهدنا بياناً للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا (اهدنا الصراط المستقيم) أي (أرشدنا بالطافك الى طريق رضاك عنا) ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى ﴿ **والذين اهتدوا زادهم هدى** ﴾ ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا** ﴾ وعن علي وأبي رضي الله عنهما ثبتنا ، وقرأ عبد الله بن مسعود أرشدنا ومعنى الصراط الجادة وهي الطريق الواسعة من سرط فقلبت السين صاداً لأنها تبتلع المار كما تسمى لَقَماً أو المراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام

(صراط الذين انعمت عليهم وهم المتبعون ملة ابراهيم عليه السلام ورحمة الله وبركاته) وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده والذين انعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الانعام ليشمل كل انعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة إلا أصابته واشتملت عليه (غير المغضوب عليهم وهم اليهود) لقوله تعالى ﴿ من لعنه الله وغضب عليه ﴾ (ولا الضالين وهم النصارى) لقوله ﴿ قد ضلوا من قبل ﴾ فالمنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال ومعنى غضب الله هو أرادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته آمين (ثم ينوي) المصلي (تلاوة الآيات المفروضة بعد الفاتحة) فإن قرأ سورة كاملة من المفصل فإنه أفضل (فاذا فرغ من قراءة الفاتحة والسورة) متدبراً لمعانيها (نوى بركوعه أن يطأطيء عنقه خضوعاً لخالقه) المنعم عليه بكل نعمة والحافظ له من كل نقمة والموفق له الى طاعته التي بها سعادة الدارين (فيكبّر منتقلاً اليه مخطراً بباله حال التكبيرة ان الذي أريد الخضوع له) والتذلل والتمسكن والخشوع (أكبر من كل كبير في النفوس) وأعظم من كل عظيم وأجل من كل جليل وذلك في شأنه وسلطانه وجميع صفاته المحمودة اللائقة به فلا يشبه شيئاً من الاجسام اذ هي كلها مخلوقة وهو خالقها فتعالى أن يشبهه شيء من مخلوقاته فمن تصور له جسم فإنه غير الله

فمتى قرر العبد بباله هذا فليس عليه إلا ذلك وان الله سبحانه وتعالى لا يشبهه شيء في جميع صفاته اذ العبد حقير لا يعرف إلا ما يعرف والله تعالى جل أن تحيط بعظمته أو تكيفه مخلوقاته فلا يعلم بقدره إلا هو ولا يحيط الواصفون بصفته (ثم يأتي بالتسبيح والتعظيم فيقول : سبحان الله العظيم وبحمده) ومعنى ذلك (أي خضعت لله خضوعي بتنزيهه وتعظيمه وتحميده) اذ معنى التسبيح هو التنزيه والتقديس عن كل ما لا يليق به من الصفات (ثم يعمد الى الاعتدال) من الركوع قائماً حتى يعود كل مفصل الى موضعه (ناوياً امتثال أمر الله تعالى فاذا أكمل اعتداله دعا له بتقبل حمده في ركوعه بأن يقول : سمع الله لمن حمده قاصداً أداء ما شرع عليه في صلاته من التسميع) لأنه فعله نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال « صلوا كما رأيتموني أصلي » (ثم يقصد الانتقال الى اعظم التذلل) والخضوع والاطراح بغير ذلك (بأن يضع وجهه أشرف جسده) وأعز ما عنده (على الأرض) ويمكنه فيها (اهانة له) أي لأشرف جسده (في طلب رضا مولاه) عليه (فاذا استحضر ذلك كاملاً) مطمئناً في سجوده مسترخية مفاصله خاشعة لخالقها (كبرونوى) يقوله : الله اكبر (الأله الأعظم من كل) عظيم و (كبير نحق اهانة أشرف جسدي) وأعزه لديّ (تلك الاهانة) طلباً لرضاه عني وعفوه عن عظيم تقصيري في اداء ما يستحقه من التعظيم اذ لا يقدر على ذلك أحد من خلقه (فاذا استكمل

قصد ذلك) معتدلاً من سجوده قاعداً حتى يعود كل مفصل في موضعه مطمئناً خاشعاً (هوى الى ان يصير ممكناً جبهته وأنفه على الأرض) ساجداً مطمئناً خائفاً راجياً لاجياً منقطعاً الى ربه مسبحاً له (ثم يقصد تسبيحه ما مر في الركوع إلا أنه يقول هنا الأعلى أي الذي لا انخفاض لعظمته) فيقول : سبحان الله الأعلى وبحمده أي أنزهه وأعترف بعلوه على كل ما يخطر في النفوس علوه ومعنى وبحمده هنا وفي الركوع أي نسبحه بتعظيمه وعلوه ونحمده بهما (ثم ينوي بالاعتدال ما مر) وهو امتثال امر الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (ثم ينوي بتكرار ذلك الخضوع) في سجدته الثانية (فيثني السجود ناوياً ما مر ثم ينوي القيام لرب العالمين فيكبر) للنقل حال انتقاله الى القيام فيقول : الله اكبر (أي هو أكبر من كل كبير فيحق له القيام لعبادته) ولا يحق لغيره العبادة اذ كل شيء سواه مخلوق له محتاج له مفتقر اليه بكل حال لا يستغني عنه طرفة عين وهو عز وجل الغني المغني لمن سواه فلا رب إلا إياه (ثم يفعل في الركعة الثانية) من صلاته (كالركعة الاولى) حتى يتم الركعة الثانية فيتشهد الاوسط فيقول : بسم الله وبالله والحمد الله والاسماء الحسنى كلها لله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثم يقوم مكبراً منتقلاً الى الركعة الثالثة في الثلاثية والرباعية فيقرأ الفاتحة فقط أو يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ثلاث مرات واختلف في

الأفضل فمذهب الهادي والقاسم أن التسبيح أفضل ومذهب المؤيد بالله والناصر وصى بالله وزيد ابن علي أن القراءة أفضل وفيه الأخذ بالاجماع لقول الشافعي : ان الفاتحة تجب في كل ركعة ثم يكبر للنقل الى الركوع ثم يقول في حال ركوعه : سبحان الله العظيم وبحمده ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً أو تسعاً وهو أعلى الكمال وأدنى الكمال ثلاث ثم يقول : سمع الله لمن حمده معتدلاً ان كان منفرداً أو أماماً . فإن كان مؤتماً قال : ربنا لك الحمد ثم يكبر للسجود ثم يقول ساجداً : سبحان الله الاعلى وبحمده وعدده كما في الركوع وكذا في السجدة الثانية فاذا اعتدل من السجدة الاخيرة قاعداً للتشهد الاخير قال : بسم الله وبالله والحمد لله والاسماء الحسنى كلها لله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمداً عبده ورسوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد[1] وستأتي معانيه قال الامام عليه السلام : (وليحذر أن تعجله نفسه وشيطانه) بتذكيره الحاجات والوساوس التي هي لا شيء بالنسبة الى ما هو فيه من عبادة ربه التي ما خلق إلا لها فيشغله ذلك (فلا يستكمل الاركان والاذكار) بأعضائه ولسانه فيخل بالاركان بعدم الطمأنينة في كل ركن والاذكار

(١) هذا مع انه قد ورد في التشهد روايات صحيحة فأيها تشهد به المتشهد اجزاه وانما هذه رواية الهادي رضوان الله عليه .

بعدم تثبته فيها وترتيله (على الوجه المذكور) المشروع (فيفوته) بسبب تلك العجلة التي من جهة النفس والشيطان قال الله تعالى ﴿ **ان النفس لامارة بالسوء**﴾ وقال تعالى ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً**﴾ وهو (الفضل المبرور) الذي يناله اذا اتى بصلاته كاملة كما ذكرنا فإن العبد اذا اجهد نفسه في استكمال ما خلق له وأمر به فالله سبحانه أجل وأكرم وافضل فإنه يعطيه فوق ما يؤمله من الجزاء الأكبر والحظ الأوفر وما جعل التكليف بطاعته على عبده إلا سبباً الى عظيم تفضله عليه وإلا فهو عز وجل غني عن العالمين (فإذا أراد القعود للتشهدين) يعني الاوسط والاخير وهذه معاني التشهدين التي ينبغي ان يستحضرها المصلي حالهما (نوى امتثال ما شرع من النطق بهما وأراد بقوله) متشهداً (بسم الله وبالله) تفسيره (أي أن ما آتي به من افعال الصلاة افعله مستعيناً بذكر اسم الله وأنه باعانته والحمد لله على ذلك) الإلهام والتمكن من الاستعانة بذكر اسمه تعالى اذ بها يحصل المراد مما يوافق رضي رب العباد (والاسماء الحسنى الجامعة لصفات الكمال) لأن هذا الجمع بالحسنى جمع الاحسن لا جمع الحسن كما لا يخفى (ويريد بها التسعة والتسعين وغيرها من صفات التعظيم وذلك تتمة للحمد فيقصد بقوله والحمد لله والاسماءالحسنى كلها لله أي الثناء الحسن والوصف الجميل الذي تضمنته الاسماء الحسنى مختصة بمن أديت له هذه العبادة) أي الصلاة

التي هو فيها (ثم يختم هذا التعظيم بأن يمتثل ما أمر به من اثبات التحية لله والصلاة فيقول التحيات لله أي منه التحية وهي السلامة فهو السلام ومنه السلام) وقيل التحيات المعظمة لله والصلوات أي الصلوات الخمس قال الامام عليه السلام (والصلوات وهي الرحمة والاحسان والطيبات من النعم الدينية والدنيوية له تعالى حاصلة من تفضله) وقيل الطيبات أي الطاعات والصلوات والعبادات والأعمال الصالحات قلت وكلها معانٍ متقاربة لأنها في الحقيقة نعم من الله تعالى لما تؤول اليه من الجزاء الأعظم في الدارين (ثم يأتي بالشهادتين متدبراً لمعانيهما كما مر) فيقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يريد أن يخبر عن يقين أن لا إله تحق له العبادة إلا ملك السماوات والأرض واشهد أن محمداً عبده ورسوله يستحضر ما علم به من نبوته من اتيانه بالمعجزة الباقية وهي القرآن وغيرها قيل إن له صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الف معجزة منها عشر في بدنه صلى الله عليه وآله وسلم احداها تكفي في الدلالة على نبوته منها انه يرى من ورائه كما يرى من أمامه ومنها أنها كانت تنام عينه ولا ينام قلبه ومنها أن ظله لا يقع على الأرض قط أي لم يكن له فيء، ومنها أن الذباب لا يقع عليه، ومنها أن الأرض كانت تبتلع بوله وغائطه فكان لا يرى ومنها أنه لا يطول عليه أحد وأن كان طويلاً فيطول عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ومنها أنه كان بين كتفيه خاتم النبوة وقدره كأثر المحجم فيه

شعرات سود وقيل كالتفاحة ، ومنها انه كان اذا مر بموضع علم انه قد مر منه لطيب ذلك الموضع بمروره ، ومنها انه كان يسطع نوره من جبينه في الليلة الظلماء حتى روي أن عائشة كانت تخيط على نوره ، ومنها أنه ولد مختوناً فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله . وقد تبركت بذكر ذلك وإلا فالميل الى الاختصار وهذا مشهور في صفاته صلى الله عليه وآله وسلم (ثم ينتقل الى الصلاة المشروعة مكافأة له صلى الله عليه وآله وسلم على احسانه بإرشاده للعباد) وهي من أذكار الصلاة الواجبة فيها التي لا تصح الصلاة إلا بها . وصفتها (اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد) الواجب الى هنا لا غير وما بعده مسنون (أي أكرمهم بأفضل ما تكرم به أولياءك وبارك على محمد وعلى آل محمد أي أبق تكرمتك لهم تامة مستمرة كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم حيث جعلت لهم لسان صدق في الآخرين إنك حميد أي محمود على نعم الدنيا والآخرة مجيد أي فاعل ما يوجب لك الحمد والوصف بالمجد وهو العز والسلطان) وقيل معنى الصلاة من الله الرحمة وهي المقصود هنا ومن الملائكة الاستغفار ومنا الدعاء في أصل اللغة ثم نقلها الشرع الى ذات الاذكار والأركان حتى صارت

حقيقة فيها (ثم يريد الخروج من تلك العبادة بالتسليم فيقول) وجوباً ناوياً للملكين فقط ان كان منفرداً (السلام عليكم ورحمة الله) عن يمينه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلتفت

عند التسليم حتى يرى من خلفه بياض خده[1] وكذا على الشمال فيقول السلام عليكم ورحمة الله (ناوياً من أمر التسليم عليه من الملائكة) في الجانبين (والمؤمنين الداخلين معه في صلاة الجماعة ان كانت) يعني الجماعة وبهذا يخرج من صلاته (.فيؤدي المصلي صلاته على هذه الكيفية) التي تقدم ذكرها (من احضار قلبه) حال صلاته (وقصد تلك المعاني) السابقة (يرجى له قبول صلاته) التي صلاها على هذه الصفة (ومن قبلت صلاته فقد فاز فوزاً عظيماً وعظم الاثابة عليها) الكاملة وذلك مراد الله تعالى اذ ما كلف العبد الا ليثيبه الثواب الجزيل الذي تلك العبادة بالنظر اليه لا شيء لانقضائها وبقائه وعظمه وقال الله تعالى ﴿ **فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزءاً بما كانوا يعملون**﴾ وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (و) بهذه الصلاة (يتعقب الانزجار عن المعاصي المحيط لها) لقوله تعالى ﴿ **ان الصلاة تنهى عن الفشحاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر**﴾ قال في حياة القلوب : وهي هذه الصلاة المؤداة على هذا الوجه أكبر في الزجر عن الفحشاء من نهي الناهين وزجر الزاجرين أي أكبر تأثيراً في الانزجار عن المعاصي قلت : ولما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قيل له ما معناه أن فلاناً يفعل كذا وكذا من المعاصي إلا أنه يصلي . فقال : إن

---

(١) الخد والخدتان بالضم ما جاور مؤخر العينين أو اللذان يكتنفان الأنف عن يمين وشمال انتهى قاموس .

صلاته ستنهاه أو كما قال . قلت : ومن علامات الخشوع ما قاله الله تعالى ﴿ **الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدي الله يهدي به من يشاء (والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

وبهذا والحمد لله تم المراد من المقدمة الموعود بها في أول الكتاب . ويتلوها الفصلان والخاتمة ان شاء الله تعالى وبه الاستعانة وعليه التكلان .

قال الامام عليه السلام :

الفصـــل الأول

في تعداد الخلائق[1] المذمومة المهلكة التي يجب تجنبها والذي نذكره منها ثمانية عشر نوعاً) أولها وهو من أعظمها وأقبحها وأرذلها (الكبر) نعوذ بالله منه (و) حقيقته (هو اعتقاد أن النفس تستحق من التعظيم فوق ما يستحقه غيرها) يعني من المؤمنين غير الفساق والكفار وأن يكون (اعتقاداً من غير علم فيخرج اعتقاد الانبياء والملائكة) عليهم السلام (لذلك) لما كان علماً صادقاً (في حقهم فإنه ليس بكبر) قال الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عادت بركاته في تصفيته : الكبر خلق في الانسان دال على الاسترواح والركون الى رتبة فوق المتكبر عليه فهو يستدعي الى وجود غيره معه وبهذا ينفصل عن العجب ثم قال : فاذا حصلت هذه العقيدة انتفخ سحره[2] أى الرئة[3] - وكان في قلبه

---

(١) اي الخصال .

(٢) السحر الرئة وقيل ما لصق بالحلقوم والمريء من اعلا البطن وقيل هو كل ما تعلق بالحلقوم من كبد ورئة وفيه ثلاث لغات ، وزان فلس وسبب وقفل وكل ذي سحر مفتقر الى الطعام وجمع الأور سحور وجمع الثاني والثالثة السحار انتهى - مصباح بلفظه .

(٣) الرئة بالهمز مجرى النفس والجمع رئات ورئون انتهى مصباح بلفظه .

اعتزاز وهزة[١] وفرح وركون الى ما اعتقده ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أعوذ بك من نفخة الكبرياء » قال وهذه هي خلق الكبر الباطنة وأما الأعمال الظاهرة فالترفع على غيره في المجالسة والمؤاكلة وان من حقه ان يخدمه غيره ويقوم بين يديه واذا وعظ استنكف عن قبول الوعظ وان رد عليه احد كلامه غضب وأن علّم لم يرفق بمن علّمه بل يشتد عليهم وينظر الى العامة كما ينظر الى الحمير استخفافاً واستحقاراً لأحوالهم وقد قيل فيه حقيقة نبوية : ان الكبر غمص الناس وبطر الحق فهذا هو الكبر وآفته عظيمة فقلّ من ينجو منه من الخواص كالعلماء والزهاد والعباد فضلاً عن غيرهم .

(تنبيه) في ما ورد في الكبر من كلام الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ﴿ **وكذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار**﴾[٢] وقال تعالى ﴿**سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير[٣] الحق**﴾ وقال تعالى ﴿ **واستفتحوا[٤] وخاب[٥] كل جبار عنيد**﴾ وقال ﴿ **فأدخلوا**

(١) الهزة بالكسر النشاط والارتياح . انتهى . مختار .
(٢) عن قبول الحق والهدى انتهى مقياس
(٣) عن الاقواد بآياتي انتهى مقباش .
(٤) اي استنصروا انتهى مقباس .
(٥) اي خسر عند الدعا من النصيرة انتهى مقباس .

أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى[1] المتكبرين » وقال ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[2] وقال ﴿ ان في صدورهم الاكبر ما هم ببالغيه﴾[3] وقال ﴿ قلوبهم منكرة[4] وهم مستكبرون﴾ وقال ﴿ واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق ﴾ .، وأما الاخبار فقال الامام المؤيد بالله في التصفية روى أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يقول الله تبارك وتعالى: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني احدهما القيته في النار » وعن عبد الله بن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كبه الله في النار على وجهه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من[5] فارق روحه جسده و هو بريء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والدين والغلول » (والتكبر مما ينضم الى هذا الاعتقاد مما ينبيء عنه من قول أو فعل أو ترك) . وذلك كترك أبليس

---

(١) أي منزل انتهى مقباس .

(٢) اي صاغرين انتهى مقباس .

(٣) ببالغي ما في صدورهم من الكبر وما يريدون من رجوع الملك اليهم خروج الدجال انتهى مقباس .

(٤) بالتوحيد انتهى مقباس .

(٥) اخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم في المستدرك عن ثوبان .

السجود روى المؤيد بالله عليه السلام في تصفيته عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله » وفيه أيضاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم « ان في جهنم وادياً يقال له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار[1] » وقال « ان في النار قصراً يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقادير والبلا بئس العبد عبد عتى وبغى ونسى المبدأ والمنتهى[2] » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أهل[3] النار كل جَعظري جَوّاظ متكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء » الجعظري المتكلم فيما لا يعني . وقيل الفظ الغليظ قيل المفتخر بما ليس عنده والجواظ كثير اللحم المختال في مشيته وقيل الأكول وقيل الفاجر وفيه أحاديث اخر منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم « يحشر[4] المتكبرون يوم القيامة درا في صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى شجر في جهنم يقال له

(١) اخرجه ابو يعلي والطبراني والحاكم وقال صحيح الاسناد .

(٣) اخرجه الترمذي عن اسماء بنت عميس وقال حديث غريب .

(٢) اخرجه ابن قانع والحاكم في المستدرك عن سراقة بن مالك .

(٤) اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والنسائي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده .

بولس[1] تعلوهم نار الانيار ثم يسقون من طينة الخبال [2] وهي عصارة أهل النار (وأما الكبرياء فهو) أن يعتقد لنفسه (استحقاق أعلى مراتب التجليل فلا يوصف بها غيره) أي الله (تعالى) وقد تقدم ما ورد فيه (والكبر من القبائح الموبقة) أي المعاصي المهلكة (لما في القرآن والسنة والزجر عنه و كفى بالخبر المشهور «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» رواه مسلم والترمذي وفي هذا الحديث أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الرجل يجب ان يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال صلى الله عليه وآله وسلم «ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس») قلت فتقدم هذه الحقيقة على غيرها لأنها من كلام من لا ينطق عن الهوى فتحفظ (بطر الحق دفعة ورده) يعني عدم قبوله (وغمط الناس وغمصهم احتقارهم وازدراؤهم) ومن أدوية الكبر مجاهدة النفس بالتواضع (قال صلى الله عليه وآله وسلم «من تواضع لله درجة رفعة الله درجة حتى يجعله في اعلى عليين، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة حتى يجعله في اسفل سافلين، ولو أن احدكم يعمل في صخرة صماء ليس عليها باب ولا كوة لخرج ما غيبه للناس كائناً ما كان» رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه) وعن

---

(١) بولس بضم البا الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة

(٢) والخبال بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة. انتهى منذري.

عمر : ايها الناس تواضعوا فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من تواضع لله رفعه الله . وقال : انتعش[1] نعشك الله فهو في أعين الناس عظيم وفي نفسه صغير ومن تكبر قصمه الله . وقال « أخسأ[2] فهو في عين الناس صغير وفي عينه كبير . » رواه الطبراني وهو في الترغيب والترهيب . وفيه ايضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من تواضع لأخيه المسلم رفعه الله ومن ارتفع عليه وضعه الله » . رواه الطبراني في الأوسط وفي التصفية للامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة رضوان الله عليه قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد إلا رفعه الله . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما[3] من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة[4] ، يعني كاللجام للدابة يمسكانه فإن هو رفع نفسه جذباها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسا قالا اللهم ارفعه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « طوبى[5] لمن تواضع من غير مسكنة .

(١) نشعه الله رفعه انتهى مختار والمعنى ارتفع عن الكبر يرفعك الله .
(٢) يعني : اخضع .
(٣) اخرجه الطبراني والبزار عن ابن عباس
(٤) الحكمة ما يعل في رأس الدابة كاللجام ونحوه وهي بفتح الحاء المهملة والكاف انتهى منذري .
(٥) اخرجه البخاري في تاريخه والبغوي والباوردي وابي قانع والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه عن ركب المصري مع زيادة في آخره وهي طوبى لمن ذل نفسه وطاب كسبه وحسنت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله انتهى .

يعني وهو غني وانفق مالاً جمعه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : الكرم[1] التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اذا هدى الله عبداً للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له ورزقه مع ذلك التواضع فذلك من صفوة الله . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أربع لا يعطيهن الله إلا من يحب الصمت وهو أول العبادة والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا . وقال صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لأصحابه « ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة . قالوا : وما حلاوة العبادة ؟ قال : « التواضع » وروى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يطعم مرة فجاء رجل أسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد إلا قام من جنبه فأجلسه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وآله وسلم « انه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده ويكون مُهَنِّئَةً لأهله يدفع به الكبر عن نفسه » (ومن التكبر الاستخفاف بمن لا يعلم فسقه والترفع عن شيء مما يستحقه الوالد أو الامام أو العالم أو الزوج من التعظيم كتردد ابليس عما يستحقه آدم ، قال الله تعالى : ﴿ فما يكون لك ان تتكبر فيها﴾) وقد جمعت ما يلزم الولد لوالده والوالد لولده والزوج لزوجته

---

(١) اخرجه ابن ابي الدنيا في اليقين عن يحيى بن ابي كثير مرسلا بلفظه .

والزوجة لزوجها في كتاب النكاح في كتاب الرضوان وفي أوله ايضاً آداب العالم والمتعلم وفضل العلم فأبحث له هناك فإنه نفيس لأن الميل هنا الى الاختصار واعلم ان ترك ما يجب على الانسان فعله واعتقاده من معاشرة[1] العباد كل بما يليق به كما وردت به الشريعة الغراء يعد من التكبر الممقوت عند الله تعالى فمع هذا يجب على المرء معرفة ما يجب عليه من المعاشرات وآدابها ليخرج عن ما يجب عليه من ذلك . (تنبيه كَل مرتبة في التعظيم يستحقها هؤلاء) يعني الوالد والامام والعالم والزوج (مع صلاحهم) وهذا عام في كل مرتبة يكون تعظيماً (الا ما يختص به الله تعالى كالسجود) على الأرض بوضع الوجه عليها فلا يكون إلا لله عز وجل خاصة ولا يجوز لأحد أن يفعله لغيره تعالى وقد أولَ العلماء رحمهم الله تعالى ما كان ليوسف وآدم وغيرهما بأنه انحناء لا غير أو كان جائزاً في غير هذه الشريعة والله أعلم (لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها ») نبه صلى الله عليه وآله وسلم على استحقاق الزوج على الزوجة ما دون السجود من أنواع التعظيم) فعليها طاعة الزوج مطلقاً في كل ما طلبه منها في نفسها مما لا معصية فيه وعليها القعود في بيتها لازمة لمغزلها ولا تكثر صعودها واطلاعها ولا تتفاخر على الزوج بجمالها ومالها ولا

(١) المعاشرة والتعاشر المخالطة والاسم العشرة بالكسر انتهى مختار

تزدري[1] زوجها لقبحه أو لفقره وعليها ملازمة الصلاح في الغيبة لزوجها والرجوع الى اللعب والانبساط وأسباب اللذة في حضور ازوجها فلا ينبغي أن تؤذي زوجها بشيء وأنه ورد في طاعة الزوج أخبار كثيرة منها : عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحل لأمرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كاره ولا تطيع فيه احداً ولا تعزل فراشه ولا تربه فإن كان هو أظلم فلتأته حتى ترضيه فإن قبلمنها فيها ونعمت ونعمت وقبل الله عذرها وأفلج[2] حجتها ولا أثم عليها وان هو لم يرض فقد أبلغت عند الله عذرها وعلى الزوج ما قاله الله تعالى ﴿ وعاشرونهن بالمعروف﴾ ومما يطيب قلوب النساء المداعبة[3] واظهار المزاح لكن لا ينبسط في ذلك الى حد يفسد خلقها عليه وتسقط هيبته ولا يساعدها في شيء من المنكرات بل يغضب الله تعالى ولا يبالغ في اساءة الظن بها ويعتدل في النفقة ويعلمها ما يجب عليها من علم الحيض وأحكام الصلاة والعبادات واذا كان له زوجات وجب التسوية فيما يجب عليه التسوية فيه (والامام أجدر[4] بذلك للأمر بطاعته

---

(١) اي : تحقر

(٢) الفلج بوزن الفلس الظفر والفوز انتهى مختار .

(٣) الممازحة . انتهى مختار .

(٤) وهو جدير بكذا أي خليق به انتهى مختار .

وخلافته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ وهم أئمة الحق وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « حق على الامام أن يحكم بما أنزل الله عز وجل ويعدل في الرعية فاذا فعل ذلك فحق عليهم أن يسمعوا وأن يطيعوا وأن يجيبوا اذا دعا » الخبر رواه في الشفا عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي رضوان الله عليهم وفيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « تمسكوا بطاعة أئمتكم لا تخالفوهم فإن طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله » وفيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم وروي عن محمد بن الهادي الى الحق عليه السلام ان الواعية هو الامام الداعي الى الله عز وجل وفي هامش الشفاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من[1] اطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من أهان السلطان أهانه الله » . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من[2] أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله ومن أكرم سلطان الله في الأرض أكرمه الله » وفي الشفاء خبر

---

(١) اخرجه احمد والشيخان والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة بلفظه .

(٢) اخرجه الترمذي عن ابي بكرة من دون قوله ومن اكرم الخ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « إلا ان الدين النصيحة إلا ان الدين النصيحة إلا أن[1] الدين النصيحة ، قيل : لمن يا رسول الله قال : « لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم » خبر وروي الهادي الى الحق عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « الوالي[2] العادل المتواضع في ظل الله وذمته فمن نصحه في نفسه وفي عباد الله وحشره الله في وفده يوم لا ظل إلا ظله ومن غشه في نفسه أو في عباد الله خذله الله يوم القيامة ويرفع[3] للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة كعمل ستين صديقاً كلهم عامل مجتهد في نفسه » خبر وقال الهادي عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث من كن فيه فقد استكمل خصال الايمان الذي اذا قدر لم يتعاط ما ليس له ومن رضي لم يدخله رضاه في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق » قال وفيما ذكرناه دلالة على ما نص عليه في الاحكام من انه يجب على الامة أن ينصروا الامام العادل ويؤازروه ويعينوه على أمره وعلى أنه يحرم عليهم أن يخذلوه وعلى أنه يلزمهم أن يطيعوه فيما أوجب الله عليهم طاعته فينقادوا لأحكامه وينهضوا اذا استنهضتم

(١) اخرجه احمد عن ابن عباس واحمد ومسلم وابو داود والنشابي عن تميم الداري والترمذي والنشا عن أبي هريرة لفظه وحذف الا في أوله .

(٢) اخرجه ابن شاهين والأصبهاني في الترغيب من قوله ويرفع الخ .

(٣) اخرجه ابو الشيخ عن ابي بكر ولفظه السلطان العادل والمتواضع ظل الله ورمحه في الأرض ويرفع للوالي العادل المتواضع في كل يوم وليلة عمل ستين صديقاً كلهم عابد مجتهد .

لقتال اعدائه ويقاتلوا من يأمرهم بقتاله ويسالموا من يسالمه ويعادوا من يعاديه ولا يكتموه شيئاً مما يحتاج الى معرفته وان ينصحوه سراً وجهراً وأن لا يمتنعوا من بيعته وعلى الجملة فذكر السيد أبو طالب أن ذلك مما لا خلاف فيه (والوالد لتسببه في وجود الولد وتربيته وعظم احسانه) وكفى بقول الله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا أياه و بالوالدين احساناً اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ فقرن الاحسان اليهما بعبادته وأمر بطاعتهما ونهى عن أقل أذية لهما ففي قوله أف مبالغة لا تخفى وعن[1] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله : أي الأعمال أحب الى الله قال « الصلاة لوقتها » قال قلت ثم أي ؟ قال « بر الوالدين » قلت ثم أي ؟ قال الجهاد . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين ». وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « لنومك[2] على السرير ارضاء لوالديك تضحكهما وتضحك معهما أفضل من جلادك بالسيف في سبيل الله » وعنه لمن[3] أستأذنه في الجهاد قال صلى الله عليه وآله وسلم

(١) اخرجه الشيخان عن ابن مسعود .
(٢) اخرجه ابن لالىء عن ابن عمر .
(٣) اخرجه الترمذي وابي حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم عن ابي عمر . اخرجه الشيخان وابو داود والترمذي والنشابي عن ابن عمرو .

« أحي والداك قال نعم قال ففيهما جاهد » وقال لآخر: « تبتغي الأجر[1] من الله؟ قال نعم : قال: فارجع الى والديك فأحسن صحبتهما »وقال[2] لرجل من أهل اليمن « هل لك أحد باليمن . قال أبواي . قال أذنا لك ؟ قال لا قال : فأرجع اليهما فأستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد ولا فبرهما » وقال[3] صلى الله عليه وآله وسلم لرجل سأله : ما حق الوالدين على ولدهما قال : « هما جنتك ونارك » وقال[4] لرجل استشاره في الغزو فقال : هل لك والدان. قال : نعم قال الزمهما فإن الجنة تحت أرجلهما وقال صلى الله عليه وآله وسلم « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله » هكذا ورد ويمكن ان يراد النوافل وما ظنك بعمل فضل على الجهاد وهو أفضل أنواع البر وكم وكم ورد في ذلك مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من[5] أصبح مرضياً لوالديه أصبح له بابان مفتوحان الى الجنة ومن أمسى مثل ذلك ومن أصبح مسخطاً لهما أصبح له بابان مفتوحان الى النار ومن أمسى مثل ذلك وان كان واحداً فواحد وان ظلما وان ظلما » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما على[6] احدكم

---

(١) اخرجه مسلم

(٢) اخرجه ابو درداء عن ابي سعيد .

(٣) اخرجه ابن ماجة عن ابي اماضة .

(٤) اخرجه الطبراني عن معاوية ابن جاهمة .

(٥) اخرجه الدارقطني في الأفراد عن زندي ارقم والديلمي عن ابن عباس .

(٦) اخرجه ابي عساكر عن ابي عمرو .

أذا أراد أن يتصدق بصدقة ان يجعلها عن أبويه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه أجرهما ويكون له مثل أجورهما من غير أن ينقص من أجورهما شيء » هذه الاخبار في كتاب الحافظ عبد العظيم المنذري . وروي أن(١) رجلاً جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبوه فقال يا رسول الله ان ابي يأخذ مالي فسأل الاب عن ذلك . فقال الأب : إنما انفقته على احدى عماته او أحدى خالاته فهبط جبزيل عليه السلام فقال : يا رسول الله سل الاب عن شعر قاله فسأل الاب عن ذلك . فقال الأب : ان الله وله الحمد والمنة يزيدنا بك ثباتاً يا رسول الله كل يوم وليلة والله لقد قلت هذا الشعر في نفسي ولم تسمعه أذناي ثم أنشأ يقول :

غذوتك مولوداً وعلتك(٢) يافعاً(٣)
تُعل بما أجني عليك وتنهل

اذا ليلة صابتك بالسقم لم أبت
لسقمك إلا ساهراً أتململ(٤)

كأني أنا المطروق دونك بالذي
طرقت به دوني فعيناي تهمل

(١) اخرجه الطبراني في الصغير عن جابر إلا أنه لم يذكر البيت السابع والثامن والتاسع

(٢) عله سقاه انتهى مختار .

(٣) ايفع الغلام ارتفع انتهى مختار . والصبي رافع من السبع الى العشر انتهى من كماية المتحفظ .

(٤) وهو يتململ على فراشه اذا لم يستقر من الوجع انتهى مختار

تخاف الردا نفسي عليك وانها
لتعلم ان الموت حتماً مؤجل
فلما بلغت السن والغاية التي
اليها لدى ما فيك كنت أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة
كأنك أنت المنعم المتفضل
وتزعم أني قد كبرت وعفتني
ولم يأت لي في السن ستين كمل
وسميتي باسم المفند[1] رأيه
وفي رأيك التفنيد لو كنت تعقل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل
وقد علم الله المهيمن أنني
بمالي ونفسي عنك ما كنت أبخل
فتبخل بالود اليسير على أب
بك الدهر مشغوف[2] معنى[3] موكل

---

(١) الفند بفتحتين الكتذب وهو ايضاً ضعف الرأي في الهرم انتهى منختار .
(٢) الشغاف بالفتح غلاف القلب وهو جلده دونه كالحجاب يقال شغفه الحب أي بلغه شغافه انتهى مختار .
(٣) أ عناذل وخضع ومن معانيه الا يشير ذكر معنى هذا في المختار والمعنى الرمز موكل بك بالنوايب وأنا مشغوف بك وهو كالمعنا أي كالذليل والأسير لك وانا ادافع عنك ما ينوبك من نوايب الدهر لا ابخل بنفسي في فداك هذا واظهر لي والله سبحانه اعلم .

فلو تعرض الدنيا عليّ بأسرها
وتحجب عن عيني ما كنت أفعل
فأسأل ربي العفو عنك بمنه
وأني مداك الدهر لا أتحول

قال جابر رضي الله عنه : فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلابيب الابن وقال : أنت ومالك لأبيك وكررها ثلاثاً فهذه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نسأل الله ان يرزقنا مجاورته في الجنة . نسب هذا الى الانتصار والبحر والغيث والزهور والبستان وفي ذلك أحاديث جمة تركتها اختصاراً (والعالم كذلك لهدايته وارشاده وعظم الانتفاع به) قال الله تعالى ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ وقال ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾ وقد ذكر الامام الشهير محمد بن ابراهيم الوزير في ايثار الحق نيفاً وأربعين آية من كتاب الله في الاستدلال على فضل العلم النافع و أهله وقال ان الأحاديث النبوية في الكتب المعمولُ بها بضع وستون حديثاً مرفوعة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنها عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومذاكرته

تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل أهل الجنة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الأخلاّء يرفع الله به أقواماً فيجعلهم للخير قادة وأئمة تقتص آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهي الى آرائهم ترغب الملائكة في خَلتهم[1] وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ومصابيح الابصار من الظلم ، يبلغ العبد بالعلم منازل الاخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام وهو أمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء .

فينبغي للمتعلم حسن التأدب والتواضع والتعظيم لشيخه فيبتدئه بالسلام ويقل بين يديه الكلام ويحسن مسألته فلا يسأله في حال املائه ولا عن شيء قد مضى أو مستقبل أو غير ما هو فيه وعليه الطاعة الموافقة لرضاء الله تعالى والنصيحة وحسن المودة لشيخه وزملائه وعلى العالم التواضع وابلاغ الوسع فيما تحصل به الفائدة النافعة للمتعلم وقد استوفيت ما ظفرت به مما ورد فيه في كتاب الرضوان فخذه منه موفقاً ان شاء الله تعالى (فلو ترك العبد شيئاً مما يستحقه

(١) والخلة الصداقة بالفتح ايضاً والضمة لغة انتهى مصباح .

هؤلاء تسامحاً[1] لا ترفعاً بحيث انه لو اتهم بالترفع لم يتركه لم يعد ذلك تكبراً اذ لا يتضيق عليه إلا مع التهمة) فليحذر من التقصير لئلا يتهم فيتضيق فاذا تضيق عليه وجب المبادرة بما يزيل ذلك من أداء ما يلزم لكل كما تقدم (ومنه) أي ومن التكبر (الترفع عن طلب) ما يجب طلبه من (العلم) النافع (من الأصغر سناً) أو قدراً) أو) من (الأقل جاهاً) ومن التكبر الاجابة العالم تكلفاً فيما لا يعلم بلا بحث ولا معرفة بل جزافاً (و) يغفل (عن الاجابة بلا أدري في موضع عدم العلم) وكيف ذلك وقد قال الله تعالى ﴿ **ولا[2] تقف ما ليس لك به علم** ﴾ ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان ألله يبغض المتكلفين »ذكره في البيان وكذا لا يستحي أحدكم اذا سئل عما لا يعلم ان يقول الله أعلم ولا بأس بالتذكر والبحث لأجابة السائل مع حسن النية لأن أفضل الأعمال تعلم العلم وتعليمه مع الاخلاص لله تعالى قال في البيان قال صلى الله عليه وآله وسلم : « « من تعلم العلم لله لم يخف من شيء وخاف منه كل شيء ومن تعلم العلم لغير الله خاف من كل شيء ولم يخف منه شيء » وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم « ينبغي للعالم ان يكون قليل الضحك

---

(١) وتسامحوا تساهلوا انتهى مختار .

(٢) في مفرداته الراغب ولا تقف ما ليس لك به علم أي لا تحكم بالقيافة والظن انتهى .

كثير البكاء لا يمازح ولا يماري ولا يجادل ان نطق نطق بحق وان صمت صمت عن باطل وان دخل دخل بعلم وان خرج خرج برفق[1] (ومنه) أي من التكبر (الزهو وهو التبختر في المشي ونحوه وجر الذيل) وهو طرف الثوب والاكمام من القمصان قال الامام المؤيد بالله في التصفية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا[2] ينظر الله يوم القيامة الى رجل جر ازاره بطراً » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « بينا[3] رجل يتبختر في برديه قد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الأرض يتجلجل فيها الى يوم القيامة » وروي[4] ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزق يوماً على كفه ووضع أصبعه عليه وقال : « يقول الله ابن آدم تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردتين والأرض تحتك وئيد أي حركة قوية ، وقد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت أتصدق وآن أوان الصدقة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اذا[5] مشت أمتي المطيطا[6] وخدمها أبناء فارس والروم سلط بعضهم على بعض » وفي حديث آخر

---

(١) (٢) اخرجه الشيخان و النسائي عن ابن عمر .

(٣) اخرجه احمد والشيخان عن ابي هريرة .

(٤) اخرجه ابن ماجة والحاكم في المستدرك والضيا المقدرس في المختار عن بشر بن جحاش .

(٥) اخرجه الترمذي وابن حبان عن خولة بنت قيس .

(٦) المطيطا بوزن الحميري التبختر انتهى مختار.

« فقد تودع منهم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من[1] تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان » وفي ذلك أحاديث أخر ويكفي قول الله تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق[2] الأرض ولن تبلغ[3] الجبال طولاً ﴾ (ويحسن الزهو من الزوجة لقصد التحسين في عين بعلها) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما[4] استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة أن أمرها أطاعته وان نظر اليها سرّته وان أقسم عليها أبرته وأن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « خير نسائكم العَطِر المطِرة» أي كثيرة الطيب والتنظف بالماء وفي مجموع الامام زيد بن علي عليه السلام مسنداً إلى امير المؤمنين علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا نظر العبد الى زوجته ونظرت اليه نظرهما الله برحمته واذا اخذ بكفها واخذت بكفه تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما فاذا تغشاها حفت بهم الملائكة من الأرض الى عنان السماء وكانت كل لذة وكل شهوة حسنات كأمثال الجبال فاذا حملت كان لها أجر الصائم القائم المجتهد المجاهد في سبيل الله فاذا وضعت لم تعلم نفس ما أخفي لها من قرة أعين » وفي ذلك أخبار كثيرة (وقد يحسن من الرجل كفى حال لقاء العدو لقوله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقد تبختر أبو

---

(١) اخرجه احمد والبخاري في من الأدب عن ابن عمر .

(٢) اي تجاوز الأرض بخيلانك انتهى مقياس .

(٣) اي تجاوز الجبال انتهى مقياس .

(٤) اخرجه ابن ماجة عن ابي امامة .

دجانة عند بروزه للقتال : « ان هذه لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في مثل هذا الموطن » وكذا حين حز علي رضوان الله عليه رأس عمرو بن ودو أقبل يخطر في مشيته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان هذه المشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن » وأما أبو دجانة فأسمه سماك بن حراش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً لأصحابه « من يأخذ هذا السيف بحقه فقام اليه رجال منهم الزبير فأمسكه عنهم حتى قام أبو دجانة فقال ما حقه قال ان تضرب به في العدو حتى ينحني فأعطاه أياه وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب وكان اذا اعتم بعصابة له حمراء علم الناس انه سيقاتل فأخرجها حينئذٍ فعصب رأسه بها ثم تبختر وقاتل قتالاً شديداً (ومنه تكلف التصدر في المجالس واختيارها ترفعاً وطلباً لمرتبة في التعظيم لا يستحقها والترفع عن مجالسة المساكين من الاتقياء لا عن مجالسة الأرذال(١) والسقط(٢) المتضمخين بالقبائح فحسن ولا عن الدخول في مهنة يسترذل صاحبها في تلك الجهة كالحياكة ونحوها في بعض النواحي فإن الله يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها) ومن فعل ذلك فليعلم انه من التكبر الذي تقدم ذمه وسببه اعتقاد انه يستحق مرتبة فوق غيره فيستحقر غيره لما يعتقده في نفسه من أحد أسباب الكبر السبعة وهي العلم أو العبادة أو النسب أو الجمال أو المال أو القوة أو كثرة الاتباع فهذه أسبابه ولا يخلو أحد عن شيء من ذلك الاعتقاد

---

(١) رذل الشيء بالضم رذالة ورذولة بمعنى رذؤ فهو رذل والجمع اراذل انتهى مصباح

(٢) والسقط بفتحتين رديء المتاع والخطأ من القول والفعل انتهى مصباح

فيحتاج الى الجهاد الأكبر جهاد النفس الذي كان يقول فيه أمير المؤمنين عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وانفع دواء لذلك ان يعرف الانسان نفسه حق معرفتها فيعلم أنه أذل من كل ذليل وأضعف من كل ضعيف قال الله تعالى : ﴿ وخلق الانسان ضعيفاً﴾ وقال ﴿ قتل الانسان ما أكفره﴾ الآية و قال : ﴿ هو الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً و شيبة ﴾ فعلى العبد المواظبة والتخلق بأخلاق أهل التواضع على كل حال ليكون سبب النجاة من الهلاك فينظر الى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخلاقه وأخلاق الانبياء عليهم السلام قيل لسليمان وهو في ملك لا ينبغي لأحد : ألا تلبس ثوباً جديداً فقال إنما أنا عبد فإذا عتقت لبست يعني بالعتق من العذاب في الآخرة وما كان التكليف بالعبادات جميعها إلا لأن فيها نهاية الخشوع كما تقدم فعلى المكلف مجاهدة نفسه في كل ما خطر بباله من الترفع بأحد الاسباب السبعة المتقدم ذكرها كل واحد منها بما يليق به فأما العالم فيعلم أن حجة الله تعالى عليه أعظم من غيره فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « يؤتى[1] بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق[2] اقتابه[3] فيدور كما يدور الحمار في

(١) اخرجه الشيخان عن اسامة بن زيد

(٢) الاندلاق التقدم انتهى مختار .

(٣) الاقتاب الامعاء واحدها قتب مثل احمال وحمل انتهى مصباح .

الرحا فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا أفعله وأنهي عن الشر وأفعله » وأما العبادة والزهد والورع فيلزم نفسه التواضع لسائر الخلق وما أدراه هل يكون ذلك مقبولاً لأن الله تعالى لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه وان الكبر من أعظم الآفات المهلكة وأما النسب فإنه[1] يتعزز بغيره كما قيل من كان عز بغيره فذله بذاته وكما قيل شعراً :

لا تـقـل أصـلي وفـصـلي أبـداً
إنمـا أصـل الـفـتى مـا قـد حـصـل

وأما الجمال فينظر الى ما هو مشتمل عليه في باطنه وظاهره فإن القذر يشتمل على جميع أجزائه عند أن يتفكر وفي ابتدائه وانتهائه . وأما المال فهو أقبح أنواع التكبر لأنه بأمور في يده زائلة ويذكر ما ورد في آفاته وتحمل حقوقه وما ورد في مدح الفقر فقد ورد أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وإلى ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الخلّص الأطهار وأما القوة والبطش والشدة فينظر ما يتسلط عليه من الأمراض والأسقام فإن العرق منه اذا ضرب عليه كان أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل ولو سلبه الذباب شيئاً لا يقدر على استنقاذه منه وان البقة والنملة تؤذيه ولو دخلت في أذنه أو أنفه قتلته وأما كثرة الاتباع فإنهم أسرع ما يتفرقون عنه في أقرب الأوقات وقلوبهم

(١) اي يتقوى انتهى مختار .

بيد الله تعالى فليستعن العبد المكلف بالله على جهاد نفسه وان شق عليه في المبادىء فمتى داوم وواظب سهل عليه حتى تنقلع عنه هذه الآفة العظمى والله المسؤول أن يجعلنا ممن فاز بخلوص الأعمال وظفر بالسعادة في الدارين وغاية الرضوان أنه سميع قريب .

قال في الأرشاد : ينبغي أن يكون المرء متوسطاً في أمره بصيراً بدهره عاملاً بعلمه مرتدياً بثوب حلمه لا مصاعباً ولا ملايناً[1] ولا مصاحباً ولا مجانباً ولا مباعداً ولا مقارباً يظهر للمعارف الصفا ويعامل الخلق بالوفاء ، ولا يستحقر ولا يستكبر ولا يستصغر ولا يسرف ولا يقتر ولا يتبذل تبذل العبد ولا يترفع ترفع المستطيل ولا يجهل ولا يعجل ولا يجالس أهل اللهو والطرب ولا يتكلم ساعة الغضب ، ولا يتبختر في مشيته ولا ينظر في عطفه ولا يبالغ في الضحك المزاح وليحترس من جميع جلسائه فإنهم يضحكون معه في وجهه ويظهرون له السرور والتعجب من أفعاله في مجلسه وهم نقاد[2] الافعال وحراس الأعمال يحصون الزلات ويغتنمون عليه الهفوات فليكن مجلسه منظوماً بالسكينة والوقار من غير انبساط مفرط ولا استكبار ، محروساً عن النميمة

(١) اللين ضد الخشونة وقد لان الشيء يلين ليناً انتهى مختار .
(٢) اي حذّاق .

والغيبة والسخرية والكذب واللعب والريبة[1] . انتهى .

قلت محفوفاً بالأفعال المحمودة بعيداً من كل فعل قبيح فلا يزكي فيه نفسه ولا ولده ولا أهله فإنه منقصة عند الاصدقاء مقت عند الله تعالى مثلبة عند العدو . ولا يقابلَ الحسد بالحسد ولا الشر بالشر فإن الشيء لا يداوى إلا بضده فيقابل السيئة بالحسنة فقد قال الله تعالى ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** ﴾ قيل وليس منه أيضاً) أي من التكبر (التحشم[2] من دخول الاسواق وخدمة نفسه وأهل بيته حيث يجد من يخدمه ويخشى بذلك استخفاف الجهلة به لا سيما حيث في حط مرتبته مفسدة كوهن يلحقه في أمره بمعروف أو نهيه عن منكر فإن وجد من نفسه ترك ذلك تكبراً لا لهذه المصلحة لزمه كسع[3] نفسه واهانتها بفعل ذلك) ولا يعرف ذلك إلا بامتحان النفس لأن المرء لا يعلم بعيبه إلا بالاختبار والتأمل وأما النفس فإنها تغره بأنها بريئة من كل عيب فهذه خمسة امتحانات : الأول أن يناظر أحداً من أقرانه في مسألة فاذا ثقل عليه الحق بظهوره على لسان صاحبه علم ان فيه شيئاً من الكبر حيث لم يقبله ويشكرعليه . الثاني أن يقدم أقرانه في المجلس وفي الطريق ويمشي خلفهم فاذا وجد في نفسه شيئاً علم أن فيه شيئاً من

---

(١) الريب الشك والاسم الريبة وهي التهمة والشك انتهى مختار .

(٢) والاسم الحشمة وهي الاستحياء واحشمه واحشم منه انتهى مختار.

(٣) اي منعها انتهى قاموس .

الكبر فيجاهد نفسه بقلعه وهو أن يتمرن على مخالفة نفسه ويفعل ضد ما تهواه . الثالث اجابة دعوة الفقير والمرور الى السوق في حاجة الضعفاء والاقارب وأهل بيته فاذا نفرت منه النفس فذلك علامة الكبر فليجاهد نفسه . الرابع حمل حاجته وأهل بيته ففي الحديث « من حمل سلعته من السوق فقد بريء من الكبر » ومما حكي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه حمل حزمة حطب فقيل له : ان في غلمانك وبنيك من يكفيك قال : بلى ولكني أردت أن أجرب نفسي هل تنكر ذلك الامتحان . الخامس أن يلبس من الثياب النازلة فإن نفور النفس عن ذلك يدل على الكبر . فقد قال صلى الله عليهوآله وسلم « إنما أنا عبد آكل على الأرض وألبس وأعتقل البعير والعق أصابعي وأجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسألة وأنفق ما لا جمعه في غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقة والحكمة طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله » رواه الطبراني وهو في كتاب المنذري (وكذلك ان خشي) بترفعه عن دخول الاسواق (الاقتداء به من جاهل يترفع عن ذلك لا لمصلحة بل استعظاماً لنفسه) لم يحسن ذلك (قلت وفي هذه الجملة نظر وجهه ان الله سبحانه اخبر

بسقوط مرتبة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عند المشركين بسبب دخوله الاسواق ولم يكن ذلك حاملاً له على ترفعه عنه مع أنه أحوج الناس الى عدم سقوط المرتبة إلا أن الجهلة لا اعتبار بهم ولا نظر اليهم) يعني فلا يعتبر بخشية الاقتداء من الجهلة فلا يعتبر إلا بما يجده في نفسه من الكبر وعدمه كما تقدم . قلت ويشرع له البيان انه لم يترفع عن ذلك إلا لمصلحة وذلك لرفع التهمة من التكبر و لئلا يقتدى به (تنبيه * ليس بقبيح أن يتكبر على ذوي التكبر لقوله تعالى ﴿ **وليجدوا فيكم غلظة** ﴾) ولقوله تعالى ﴿ **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ فاذا تيقن المصلحة يقيناً صادقاً في اعزام دين الله بلا غرور رجح المصلحة ودفع ما فيه المفسدة (ولقول علي عليه السلام التكبر على ذوي التكبر تواضع عند الله) فاذا امتحن المكلف نفسه وظهر له ان قد طهرت من هذه المهلكة العظمى وهي آفة الكبر المذموم في سائر أحواله صلح له ان يتكبر على أهل التكبر كما ذكر (قيل ولا منه) أي من التكبر (مدح النفس بما فيها لا على جهة الافتخار) والمباهاة (بل لأظهار نعمة الله عليها لأن الله يقول : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ (أو ليهتدي بهديها) يشرع له أن يظهر لمن يظن أن يهتدي بهدايته لكن مع الاحتياط في أنه لم يكن إلا لتلك المصلحة لأن النفس والشيطان والهوى فيه فقد يغتر بأن ذلك لمصلحته وليس كذلك (أو لئلا يستخف بها) فيحسن دفع

ذلك كرفع التهمة وقد يجب اذا علم وقوع التهمة لأنه لا يُلتفت اليه إلا باظهار ما هو عليه (ما لم يصدر ذلك عن الاعتقاد المذكور في حقيقة الكبر) وهي أن نفسه تستحق من التعظيم فوق ما يستحقه غيرها أو يكون في نفسه غمص الناس وسفه الحق يعني عدم قبوله فاذا وجد ذلك فليحذر فأنه من التكبر (و) على الجملة فـ(الاعمال بالنيات) فإن النية تصير الاعمال كلها طاعة أو العكس ولذا ورد الحديث المشهور وهو من جوامع الكلم « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امريء ما نوى » كما هو صدر الحديث . رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . وفي حديث آخر « انما يبعث الناس على نياتهم » رواه ابن ماجه بأسناد حسن . وفي آخر « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » رواه مسلم ذكر ذلك المنذري (وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » وصدر مثل هذا عن) أمير المؤمنين (علي عليه السلام حيث قال : والله لو ثنيت لي الوسادة الأثر) تمامه : ثم جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وأهل الأنجيل بأنجيلهم وأهل الفرقان بفرقانهم وأهل الزبور بزبورهم . والله ما من آية نزلت في بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل ولا سماء ولا أرض ولا ليل ولا نهار إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وفيما نزلت وفي أي شيء نزلت وغير ذلك على حسب المواقف والأحوال (و) كذلك ما صدر (من كثير من الائمة و) من

(علماء الأمة) انما هو لما ذكر من المصالح الراجحة في تقوية. أمر الدين مع تحرير النيات الصالحة التي لم يكن فيها شيء من الفخر والمباهاة وطلب شيء من الدنيا كالرياء والسمعة وطلب الجاه ونحو ذلك (وأما قوله تعالى: ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم وهو أعلم بمن أتقى**﴾ (فالمراد لا تحكموا لها بالطهارة من كل ذنب) وتقطعوا بنجاتها اذ مراد الله تعالى ان يكون المرء في هذه الدنيا بين الخوف والرجاء لما تحت ذلك من الحكم والمصلحة التي منها لزومه للأعمال الصالحات وتركه للمقبحات واللجاء الى الله تعالى في كل الحالات (ومن المحسنات لهذا القبيل) وهو اظهار نعم الله تعالى (أرهاب أعداء الله وايغار صدورهم) لقوله تعالى ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم « هي الرمي » رواه مسلم وفي رواية قالها ثلاثاً وفي الكشاف : كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وفي روح العلوم : ولعل منها المساجد والبرك وسائر المصالح والقوة المعنوية بل ربما كانت المعنوية أبلغ ومنها التأليفات والازدياد من الخصال الحسنة كالسخاء والصبر وحسن الاخلاق والرياضات في محاسن الخصال من فعل وترك وسعة العلم في الدين والدنيا وقس . قلت : وأيضاً كل ما فيه رضوان الله تعالى فإنه من أهم قوة الظاهر لقوله تعالى : ﴿ **وما النصر إلا من عند الله**﴾ وقوله ﴿ **ان تنصروا الله ينصركم**﴾ ونحو ذلك وفي شرح الآيات دلت بدلالة النص على انه يحسن فعل كل ما فيه

ارهاب من تفضيض[1] السروج واتخاذ الطبول والرايات ولباس الحرير وغير ذلك قلت : لكن لما كانت النفس تميل الى ذلك فيحتاج الفاعل لذلك الى تخليص النية ومجاهدة النفس أن يكون لما يوافق مراد الله تعالى لا لغيره (ولا من التكبر أيضاً تهيؤ الامام بقيام الخدم على رأسه وضرب الحجاب على بابه واتخاذ من يلبسه نعليه وينزعهما عنه وعدم المنع من تقبيل قدمه لقصد المصلحة في ذلك كله اذ قد ورد مثله عنه صلى الله عليه وآله وسلم والاعمال بالنيات) وذلك لما تحت هيبة الامام من مصالح المسلمين والاسلام والارهاب البليغ على الاعداء والطغام[2] . ولما كانت درجة الامام الكامل الشروط عند الله رفيعة لأن تكليفه الاكبر لا يطيقه غيره ومن التكليف مجاهدة نفسه بالتواضع لله تعالى واخلاص النية في كل شيء ومع التأهيل له من الله تعالى والمواظبة على مجاهدة نفسه يزول عنه ما يخطر في ذهن المطلع على ما هو فيه حتى لا يخطر ببال الامام شيء مما يظنه غيره من الجهال بل يزيده ما ذكر تواضعاً لله لعمله بعلمه اذ بفعل ما تقدم يذكر المشروع من التواضع كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند دخوله مكة يوم الفتح حين طأطأ رأسه وأيضاً فأنه لا يكون من التكبر المذموم إلا ما قصد به الارتفاع في الدنيا وعلى ذلك يحمل قول الله تعالى ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون**

(١) ولجام مفضض أي مرصع انتهى مختار .

(٢) اوغاد الناس انتهى المختار

علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾ ولعلهم أئمة أهل البيت المخلصين عليهم السلام ومن تابعهم واهتدى بهديهم الى يوم الدين فليس المراد الممقوت إلا أرادة العلو في الدنيا كما قال الله تعالى ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ وعلى ذلك يحمل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أحب أن يقام في وجهه فليتبوأ مقعده من النار » وفي حديث « من أحب أن يمثل له الرجال صفوفاً فليتبوأ مقعده من النار » وعلى الجملة فمن أراد النجاة في الدارين والفوز بالخلود في الرفيق الاعلى فعليه بتتبع أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحرص على ما أمكنه من الاقتداء به . روي عن عائشة انها قالت : كان خلقه القرآن في تفسير قول الله تعالى ﴿ وانك لعلى خلق عظيم﴾ ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مخصوصاً من الله بأشرف الخصال وأحسن الشمائل وأطيب المعاشرة ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وأفشاء السلام وعيادة المرضى وحسن الجوار واجابة الدعوة والعفو والاصلاح والجود والكرم والسماحة وكظم الغيظ واجتناب ما يحرم من اللهو في الباطل والغناء والمعازف(١) كلها وكل ذي وتر(٢) والكذب والغيبة

(١) المعازف الملاهي والعازف اللاعب بها والمغني انتهى مختار .
(٢) الوتر بالكسر الفرد وبالفتح الحقد والعداوة انتهى مختار .

والنميمة والبخل والشح والجفاء[1] والمكر[2] والخديعة وسوء
الظن وقطيعة الأرحام وسوء الخلق والتكبر والفخر والاختيال
والاستطالة حش والتفاحش والحقد والحسد والطيرة[3]
والبغي وال والظلم ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم
أحلم الناس جعهم وأعدل الناس وأعف الناس ، لم تمس
يده امرأة . وكان اسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا
درهم وأن ولم يجد من يعطيه وَفَجأَة الليل لم يأو الى
منزله حتى ه الى من يحتاج اليه ولا يأخذه مما آتاه الله إلا
قوت عامة بسر ما يجد من التمر والشعير ويضع سائر
ذلك في لله ولا يسأل شيء إلا أعطاه ثم يعود على
قوت عامة منه حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم
يأته شيء مل الله وكان يخصف[4] النعل ويرقع الثوب
ويخدم في هله ويقطع اللحم معهن وكان أشد الناس
حياء لا يث ره في وجه أحد ويقبل الهدية ولو جرعة لبن
أو فخذ أر افيء عليها ولا يأكل الصدقة ولا يستكبر من
اجابة الاه كين يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ
الحق وان ك بضرر عليه وعلى أصحابه وعرض عليه

---

(١) الجفا يل وارد المصباح وجافيته فتجافا وجفوت الرجل اجفوه
اعرضت ردته . انتهى
(٢) من مكر باب قتل خدع فهو ماكر انتهى مصباح .
(٣) وهو ما من الفال انتهى مختار .
(٤) خصف زها انتهى مختار .

الانتصار بالمشركين على المشركين فأبى وهو في حاجة ضرورة الى النصرة ووجد قتيلاً من أفضل أصحابه بين اليهود فلم يزد على الحق بل وداه بمائة ناقة من عنده مع حاجة أصحابه الماسة وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان يأكل ما حضره من الحلال لا يتخير مطعماً البتة ولا يأكل متكئاً ولا على خوان[1] منديله باطن قدمه ولا يشبع من خبز ثلاثة أيام متوالية حتى لقي الله ايثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً يجيب الوليمة أشد الناس تواضعاً وأسكنهم من دون تكبر وأبلغهم من دون تطاول وأحسنهم بشراً لا يهوله شيء من الأمور الدنيوية يلبس ما وجد فمرة شملة ومرة بردحبرة يمانياً وهو ما ليس وسطه مخيطاً من شقتين ومرة جبة صوف يتختم بالورق الأكثر في خنصره الايمن ومرة في خنصره الايسر يركب ما وجد فرساً أو بعيراً أو بغلة أو حماراً وتارة يمشي راجلاً حافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يحب الطيب ويكره الرائحة الخبيثة ويجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم فهذه جملة من أخلاقه الطيبة على جهة الاجمال ذكر معنى ذلك الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام ثم أردفه بالتفصيل في تصفيته فصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد وآله آمين .

(١) الخوان بالكسر الذي يأكل عليه انتهى مختار .

بـــاب

(والعجب) حقيقته (هو مسرة بحصول أمر يصحبها تطاول جله على من لم يحصل له مثله بقول أو فعل أو ترك أو اعتقاد) وقيل استعظام النعمة والمحبة لها والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم جل وعلا كعلم أو زهد أو عبادة أو دنيا أو أي نعمة ولا يكون معجباً ان خاف على زوالها أو تكدرها ولا اذا كان مسروراً بها من حيث أنها نعمة من الله إلا اذا أضافها الى نفسه كقول قارون « انما أوتيته على علم عندي » (وقد ورد الشرع بتحريمه وانعقد الاجماع على حظره وقيل فيه انه من محبطات الطاعة وكفى في تفظيع[1] شأنه بتوبيخ الله تعالى جند الحق على الاعجاب بما هو حاصل لهم حيث قال الله تعالى ﴿ ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ وقال تعالى ﴿ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ وهذا راجع الى العجب بكل عمل وقد يكون فيه العامل مخطئاً ولا يشعر . (و) من الاخبار (بقوله صلى الله عليهوآله وسلم « بينما رجل يمشي في حلته[2] تعجبه نفسه مرجل شعره) أي

(١) قطع الأمر من باب ظرف فهو قطيع اي شديد شنيع انتهى مختار.

(٢) الحلة بالضم لا تكون الأبوين من جنس واحد والجمع حلل مثل غرفة وغرف انتهى مصباح .

قد مشطه (يختال في مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل) أي يغوص (في الأرض) والجلجلة حركة مع صوت ذكره في النهاية (الى يوم القيامة) رواه البخاري ومسلم) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث[1] مهلكات : شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لو[2] لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب العجب » وقال صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ثعلبة « اذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك » وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض الى يوم القيامة » . رواه البخاري والنسائي وغيرهما وهو في كتاب المنذري . وأسبابه ثمانية : الأول : الجمال وحسن الصورة ، وكيف وهو نعمة من الله تعالى يستحق الشكر عليه لا الاعجاب بها وعلاجه التفكر في الاقذار الباطنة وضعفه في

---

(١) اخرجه الطبراني في الاوسط عن ابن عمر ولفظه ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما المنجيات فالعدل في الفقه والرضا والعصد وفي الفقر والغنى وخشية الله في السر والعلانية وأما الكفارات فأنتظار الصلوة بعد الصلوة واشباع الوضوء في السبرات ونقل الاقدام الى الجماعات وأما الدرجات فأطعام الطعام وافشاء السّلام والصلاة في الليل والناس نيام .

(٢) اخرجه الخرايطي في مساوىء واخلاق والحاكم في تاريخه عن انس

الحال والماضي والاستقبال وكيف حين يمزقها[1] التراب والبلاء[2] في القبر. الثاني: العجب بالقوة والبطش كما حكي الله عن قوم عاد ﴿ وقالوا من أشد منا قوة ﴾ و كما حكى عن عوج بن عنق حين اعجب بقوته فأقتلع جبلاً ليطبقه على قوم موسى فثقبه الله تعالى في عنقه فصار فيه كالخرزة المعلقة وعلاجه بأن يذكر أن حُمّى ساعة توهنه فضلاً عن ليلة وتولمه القملة ونحوها ولو سلبه الذباب شيئاً ما وصل اليه. الثالث: العجب بالعقل والكياسة والفطانة[3] للدقائق فعلاجه انه يعلم أنه لم يؤت من العلم إلا قليلاً ولو أصاب دماغه أدنى ألم من برد أو نحوه كيف يصير مع ذلك فاللائق به شكر الله المنعم عليه بسوابغ[4] النعم وأن يستعمل ذلك في التفكر في مخلوقات الله ليستدل بها على عظمة الله فقد ورد ان التفكر نصف العبادة. الرابع: العجب بالحسب[5] والنسب كما يكون في أهل الانساب الرفيعة فيظن أنه ينجو بها وانه لغرور عظيم لقول الله تعالى: ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ـ ولغيرهم حتى قال ـ

---

(١) المزق القطع من الثوب انتهى مختار.
(٢) وهو كثرة المكث في القبر.
(٣) الفطنة الفهم انتهى مختار.
(٤) وسبغت النعمة اتسعت انتهى مختار.
(٥) والحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه انتهى مختار.

يا فاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئاً» وعلاجه أن يعلم انما كان شرف آبائه إلا بالاعمال الحميدة وأعلاها طاعة الله فما باله لا يعملها هو بل يعجب بعمل غيره وهو لا ينفعه إلا عمله . الخامس : العجب بنسب الملوك والظلمة وأعوان الدول وهذا هو غاية الجهل وعلاجه ان ينظر مخازيهم ومعاصيهم لمن أنعم عليهم سبحانه بل يتمنى انه لم يكن من أنسابهم وما يؤمنه أن شؤ م اعمالهم كالأيمان الفاجرة تدرك الولد السابع كما قيل فليجتهد في طاعة الله ويشكره اذ لم يكن من أمثالهم . السادس : الاعجاب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان وعلاجه أن يتفكر في ضعفهم وعجزهم بحيث لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فضلاً عن أن ينفعوه وقد يكون الاشتغال بهم أعظم من نفعهم مع أنهم أسرع ما يتفرقون عنه ويتركونه فرداً ولا ينفعه إلا عمله ورحمة ربه . السابع : العجب بالمال كما حكى الله تعالى في كتابه عن القائل لأخيه ﴿ **أنا أكثر منك مالا وأعز**(١) **نفرا**(٢)﴾ الى قوله تعالى ـ ﴿ **فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية**(٣) **على عروشها**(٤)﴾ الخ وقال أبو ذر كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد فقال لي « يا ابا ذر : ارفع

---

(١) العز ضد الذل انتهى مختار .

(٢) النفربفتحتين عن رحال انتهى

(٣) اي شاقطة انتهى مختار .

(٤) عروشها سقوفها أي انتهى مختار .

رأسك ، فرفعت رأسي فاذا رجل عليه ثياب جدد ثم قال : ارفع رأسك ، فاذا رجل عليه خلقان أي ثياب خلقة بالية فقال يا أبا ذر : هذا عند الله خير من ملء الأرض من هذا » وعلاجه أن يتفكر المرء في كثرة آفات المال وكثرة حقوقه وعظم غوائله[1] والاشتغال به عن عبادة الله التي خلق لها وان الله تعالى يعطيها أعداءه في الدنيا فهي كلا شيء إلا ما أريد به وجه الله من الانفاق في رضاه . الثامن : الاعجاب بالرأي الخطأ كما قال الله تعالى ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً** ﴾ وقال ﴿ **وهم يحسبون أنهم يحسنون[2] صنعاً** ﴾ وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان ذلك يغلب على آخر الأمة وبذلك هلك من هلك من أهل البدع والأهواء وأيضاً فإن علاجه عسير اذ لا يشعر صاحبه بما هو فيه من الخطأ كما قيل :

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري
بأنك لا تدري بأنك لا تدري

وإنما علاجه على الجملة أن يكون متهماً لرأيه أبداً فلا يغتر به وألا يصغي[3] الى الاختلاف في المذاهب وسماعها

(١) والغوائل الدواهي انتهى مختار .
(٢) اي يعملون عملاً صالحاً انتهى مقباس .
(٣) أي يميل انتهى مقباس .

ومطالعتها بل يعتقد أن الله سبحانه واحد أحد لا شريك له ولا ولد وان الرسول صادق فيما جاء به ويتبع طريقة السلف الصالح من أئمة العترة النبوية وعلمائهم وشيعهم ويؤمن بجملة ما جاء به الكتاب والسنة من دون تنفير وليكن اشتغاله بالتقوى والمسارعة الى الخيرات والتحرز عن المقبحات والشفقة على المسلمين وأداء الطاعات والاعمال الصالحات فإن الله عز وجل يلهمه رشده قال الله تعالى ﴿ **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى**﴾ وقال ﴿ **فسنيسره لليسرى**﴾ (نعم لا قبح في نفس المسرة اذ لا تندفع انما القبيح ما يصحبها مما يوهم التطاول والافتخار على من ليس له مثله فيما حصل له أو أن يعتقد أنه يستحق لأجل ما حصل له تعظيم الناس إياه أو منزلة رفيعة عند الله على القطع فيعود الى معنى الكبر) لأنه أحد أسبابه فيتولد مع العجب الكبر الذي منه الآفات المتقدم ذكرها في بابه وذلك مع العباد واما مع الله تعالى فإنه يؤدي الى ثمان آفات: الأولى نسيان الذنوب فلا يتفقدها لاعتقاده أنه مستغنٍ عن ذلك لاعجابه بحاله وظنه أنه مغفور له.

الثانية أنه يستعظم أعماله ويتبجح أي يظهرها ويفخر بها ويمن بها على الله وينسى أنها نعمة من الله عليه لتوفيقه وتمكينه منها وأيضاً فإن من العجب أن يعمى عن آفات أعماله فيكون أكثر عمله ضائعاً فإن الأعمال الظاهرة اذا لم يكن لها تفقد حتى تكون خالصة لله تعالى عن الشوائب لم تكن عند الله نافعة قال الله تعالى ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له**

الدين حنفاء﴾ أي مائلين عن غيره . الثالثة ان المعجب يغتر بنفسه ويأمن مكر الله وعذابه وقد قال الله تعالى ﴿ **فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون**﴾ الرابعة ان العجب يزين له أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وقد قال تعالى ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم**﴾ وتقدم أنه لا يجوز الا لمصلحة ظاهرة من دون غرور . الخامسة انه اذا كان معجباً برأيه منعه ذلك عن الاستشارة والاستفادة ويستنكف عن ذلك ولو كان ممن هو أعلم منه وقد ورد الشرع به وجوباً وندباً . السادسة أنه لا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستحقار.ويصر على خطئه وهو لا يشعر به لتغطية العجب عليه . السابعة انه ان كان في أمر دنيوي عميت عليه مصالحه وان كان في أمر ديني لم يصب وجه الحق فيه خاصة فيما يتعلق بأصول العقائد فإنه يهلك فيه فلا يدعه عجبه أن يستضيء بنور القرآن وقرنائه من أئمة العترة وشيعهم من علماء الأمة الراسخين في طريق الحق ومنهاج الصواب . الثامنة أن يغتر فيفتر عن الجد[١] والتشمير والمسارعة في الأعمال الصالحة وتحمل كلفتها والصبر عليها لاعتقاده أنه قد فاز وسعد واستغنى وهذا والعياذ بالله هو الهلاك بعينه نسأل الله تعالى أن يلهمنا السعي فيما يقودنا الى غاية رضوانه آمين .

(تنبيه * لا فرق بين أن يكون ذلك الأمر الحاصل له به

---

(١) والجد ايضاً الاجتهاد في الأمر انتهى مختار .

الاعجاب اضطرارياً كجمال أو فصاحة أو كثرة عشيرة أو مال أو بنين) فإن هذه الأمور تكون من الله تعالى بلا تعلم ولا تحصيل من العبد وإنما هي نعمة من الله تعالى يستحق الشكر عليها للمنعم بها جل وعلا (أو اختيارياً ككثرة علم أو عبادة أو اعطاء أو أقدام فإن العجب بذلك كله قبيح شرعاً ولا يعرف فيه خلاف) وقد تقدم ان هذه الأمور المذكورة أسباب للعجب وعلاج كل منها كما ذكر سابقاً فأحفظه واحرص على جهاد نفسك تنجو وتفوز ان شاء الله تعالى فإن حراسة العمل هي العمدة .

بـــاب

(الريـاء) هو (لغة) أي حقيقته في لغة العرب يرد لكل (فعل) وتدخل فيه الأقوال والتروك على قول من يقول ان التروك من الأفعال ولذا قيل ترك الرياء رياء يعني اذا ترك العمل ليقال انه تارك للرياء فهو زياء غير قاصد بتركه وجه الله تعالى اذ العمدة النية وبها صلاح الأعمال وفسادها (أمر مستحسن ليراه غيره عليه) أي يستحسنه الناس ديني أو

دنيوي والباعث لفاعله أن يرى غيره ذلك الفعل (طلبا للثناء) من الغير (أو غيره) أي غير الثناء من اعطاء شيء من الدنيا أو عظم جاهه عند الناس أو نحو ذلك (من تورية) التورية هي ما احتمل وجهين من فعل أو قول في نحوان يرى غيره انه يفعل فعلاً جميلاً الظاهر انه من طاعة الله تعالى ونحو ذلك وهو قاصد لغير ذلك من طلب الدنيا ومن شارك في نيته طاعة الله تعالى مع الرياء لأن الله تعالى غني لا يقبل الا ما خلص (ونحوها) وهو كل فعل أو قول ظاهره مخالف للباطن كالنفاق والتخلق باظهار التودد وفي الباطن خلاف الظاهر طلباً للدنيا من مال أو ثناء أو سمعة أو جاه أو نحو ذلك لا لمصلحة ترضي الله تعالى وحقيقته في الشرع (فعل طاعة أو ترك معصية لحصول غرض دنيوي ثناء أو غيره) قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام : الرياء مشتق من الرؤية وحقيقته طلب المنزلة في قلوب الناس بما يريهم من خصال الخير فالرياء هو قصد اظهار تلك الخصال طلباً لاعتقاد الناس فيه والقلوب تابعة للاعتقادات فيملك قلوبهم ليحصل له ما يريد من الدنيا هذا معنى ما ذكره عليه السلام في حقيقة الرياء والجاه . والرياء من اعظم الآفات المفسدة للأعمال الجالبة والعياذ بالله للوبال[1] والنكال[2] لأنه

---

(١) وضرب وبيل وعذاب وبيل أي شديد انتهى مختار .

(٢) ونكل به تنكيلاً جعله نكالاً وعبرة لغيره انتهى مختار

من الشهوة الخفية الباطنة التي هي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم « ان اخوف ما أخاف على امتي الرياء والشهوة الخفية وقد صرح بالرياء والشهوات الباطنة عامة وهو أعظمها بلا اشكال ولهذا عجز عن الوقوف على غوائله (١) وحذاق العلماء وسماسرة الفضلاء والأذكياء فضلاً عن غيرهم وهي من أعظم مكايد النفوس وللشياطين والداء الدفين وقيل انه آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين وقيل حب الرئاسة واذا كان كذلك وجب امعان النظر في أسراره والتشمير لقلع آثاره بالجهاد الاكبر لتكون الأعمال خالصة سالمة عنه مقبولة عند الله تعالى فكيف التساهل عن ازالة ما يصير الطاعات معاصي (ولا فرق بين أن يريد مع ذلك) أي مع ما يريده من الغرض الدنيوي (التقرب الى الله تعالى أولاً) يريد التقرب فإن العمل يصير رياء وان اشترك الباعث للعمل (بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم) وقوله (لمن سأله عن قصد مجموع الأمرين) وهما أن يقصد بالعمل الغرض الدنيوي وطاعة الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم (« لا شريك لله في عبادته ») وفي ذلك أحاديث أُخر منها (قال رجل : يا رسول الله أني أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطني فلم يرد عليه صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزل قوله تعالى : ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه احداً ﴾

(١) اي دواهيه انتهى

والقرآن العظيم مصرح بتحريمه وتوبيخ صاحبه) قال الله تعالى ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ وقوله تعالى ﴿ يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ وقال تعالى ﴿ الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾ وقال عز من قائل : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ وقال ﴿ والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ قال بعض المفسرين هو الرياء وقال تعالى ﴿ ألا لله الدين الخالص﴾ يعني من الرياء ومن الاخبار النبوية قال المؤيد بالله يحيى بن حمزة رحمه الله : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سأله رجل فيها النجاة فقال « ان لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس »، وروى أبو هريرة في حديث المقتول في سبيل الله والقارىء لكتابه والمتصدق بماله وان الله تعالى يقول لكل واحد منهم ما أردت وجهي (بل كذبت وإنما أردت أن يقال فلان كذا وفلان كذا أو فلان كذا فأنا لا أقبل شيئاً من أعمالكم (وكذلك السنة النبوية والأحاديث في ذلك واسعة كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سمّع سمّع الله به ومن يرائي يرائي الله به » رواه البخاري) ومعناه ان الله سبحانه يسمع أسماع الخلائق به يوم القيامة فيظهر خبث سريرته جزاء لفعله مع ان الفضيحة في الآخرة أعظم وأفضح من فضيحة الدنيا اذ تلك مع

اجتماع الأولين والآخرين يسمعهم الداعي وينفذهم البصر كما قد ورد ذلك (وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من طلب الدنيا بعمل الآخرة طمس[1] وجهه ومحق[2] ذكره وأثبت اسمه في النار» رواه الطبراني والاجماع منعقد عليه) وفي حديث « ان هذا لم يردني بعمله فأجعله في سجين » وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان[3] اخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء وقال صلى الله عليه وآله وسلم « استعيذوا[4] بالله من جب الحزن » وقيل وما هو يا رسول الله قال : وادٍ في جهنم أعد للقراء المرائين وقال صلى الله عليه وآله وسلم قال[5] الله تعالى ﴿ **من عمل عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه بريء وأنا أغني الاغنياء عن الشريك** » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يقبل الله عملاً فيه مثقال ذرة من الرياء » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أن[6] ادنى الرياء شرك » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان في ظل الرحمن يوم لا ظل إلا ظله رجلاً تصدق بيمينه فكاد يخفيها عن شماله » وكذلك ورد

(١) اي غيره انتهى مختار .
(٢) محقة ابطله ومحاه انتهى مختار .
(٣) اخرجه ابن جرعه والبزار عن ابي هريرة .
(٤) اخرجه الطبراني في الكبير عن رافع بن خديج .
(٥) اخرجه البخاري في تاريخه والترمذي وقال غريب وابن ماجة عن ابي هريرة .
(٦) اخرجه الطبراني في الكبير وابو نعيم في الخلية والحاكم في المستدرك عن ابي عمرو .

« ان فضل عمل السر على عمل الجهر بسبعين ضعفاً » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان المرء ينادي يوم القيامة يا فاجر يا غادر فام الى ظل عملك وحبط أجرك أذهب فجزاء أجرك الى من كنت تعمل له » وقال شداد بن أوس : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي فقلت : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فقال : أخاف على أمتي الشرك أما أنهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولكن يراؤ ن بأعمالهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لما(١) خلق الله الأرض مادت بأهلها فخلق الجبال فصيرها أوتاداً للأرض فقالت الملائكة ما خلق ربنا أشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبل ثم خلق النار فأذابت النار الحديد فقالت الملائكة ما خلق الله أشد من النار ثم أمر الله الماء فأطفأ النار ثم أمر الريح ففرقت الماء فا ختلفت الملائكة فقالوا نسأل ربنا فقالت يا رب ما أشد ما خلقت من خلقك فقال الله تعالى ﴿ **لم أخلق خلقاً أشد من أبن آدم حين يتصدق بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله**﴾ وروى عبد الله بن المبارك عن رجل قال لمعاذ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكى معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي : « يا معاذ قلت لبيك بأبي أنت وأمي

(١) اخرجه احمد وعبد بن حميد والترمذي وقال غريب وابو يعلي والبيهقي في الشعب وابو الشيخ في العظمة والضياء في المختار عن انس .

فقال : إني محدثك حديثاً ان انت حفظته نفعك وإن أنت ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجتك عند الله يوم القيامة يا معاذ ان الله خلق سبعة أملاك قبل ان يخلق السموات والأرض ثم خلق السموات والأرض فجعل لكل سماء من السبعة ملكاً بواباً عليها قد جللها أي عظمها عظماً فتصعد الملائكة بعمل العبد من حين أصبح الى حين يمسي له نور كنور الشمس فيقول الملك للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال : ثم تأتي الحفظة بعمل صالح من أعمال العبد فتزكيه وتكثر حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بالسماء الثانية قفوا فأضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنه أراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم وقال وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج[1] نوراً من صدقة وصيام وصلاة قد اعجبت به الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلاة وصوم وحج

---

(١) البهجة الحسن انتهى مختار

وعمرة حتى يتجاوز به الى السماء الرابعة الى الملك الموكل بالعجب وهكذا الحال في السماء الخامسة الموكل بالحسد والملك الذي في السماء السادسة الموكل بالرحمة يرد عمل من لا يرحم وفي السماء السابعة الذي لم يرد به وجه الله تعالى ولا أخلصه لوجهه ثم تصعد الحفظة بعمل فيقفون به بين يدي الله جل وعلا فيقول الله عز وجل أنتم الحفظة على عمل عبدي وأنا الرقيب[1] على قلبه انه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة عليه لعنتك ولعنتنا فتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وأنا معاذ فعلمني قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ فأحفظ على لسانك من الوقيعة[2] في اخوانك حملة القرآن واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا في عمل الآخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ولا تناج رجلاً وعندك آخر ولا تتعاظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والآخرة ولا تمزق الناس فتمزقك كلاب النار يوم القيامة قلت بأبي أنت وأمي فمن يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يا معاذ أنه يسير على من يسره الله عليه ذكر

(١) الرقيب الحافظ انتهى مختار.

(٢) الوقيعة في الناس الغيبة انتهى مختار.

هذا كله الامام المؤيد بالله في التصفية وهو في كتاب المنذري أبسط منه وروي عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يؤمر يوم القيامة بناس من الناس الى الجنة حتى اذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا الى قصورها وما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن أصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها فيقولون ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا الجنة كان أهون علينا قال : ذاك أردت لكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظائم واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراؤون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم للناس ولم تتركوا لي . اليوم اذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتم من الثواب » رواه الطبراني في الكبير والبيهقي . وروي عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ان الاتقاء على العمل أشد من العمل وان الرجل ليعمل العمل فيكتب له في عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفاً فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحى تضعيف أجره كله ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية ويحب ان يذكر به فيحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء . فأتقى الله امرء صان دينه وان الرياء شرك » رواه البيهقي . وعن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة

والتمكن في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب » رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم والبيهقي . وقال الحاكم : صحيح الاسناد

وعن أبي موسى خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فقال : « يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فأنه أخفى من دبيب النمل . فقيل له وكيف نتقيه يا رسول الله ؟ قال قولوا : اللهم أنا نعوذ بك ان نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه » رواه أحمد والطبراني ورواته محتج بهم في الصحيح .

(تنبيه * ليس من شرط الاخلاص في العبادة كراهة الثناء عليها وكراهة أن يطلع عليها بل الشرط أن لا يريدها) أي يريد فعلها لذلك الثناء أو السمعة ولو شاركه فيه أن يكون لله تعالى طلباً للثواب ونحوه فاذا كان الباعث له لفعل الطاعة الأمران أو الأمر الدنيوي خاصة فذلك الرياء كما تقدم . فعلى هذا عرفنا أن حقيقة الاخلاص السالم من الرياء . قوله عليه السلام (والاخلاص فعل الطاعة أو ترك المعصية للوجه المشروع) الذي يريده الله تعالى حين أمر به أو نهى عنه للمصلحة التي يعلمها ويعلم بعض وجوهها من التفضل على عبده أن امتثل بالسعادة الابدية التي أتى بها (غير مريد للثناء على ذلك) ونحوه بل امتثالاً لأمر الله تعالى بفعل تلك الطاعة وترك المعصية (نعم فاذا فعل الطاعة وترك

المعصية غير مريد أن يراها غيره فيثني عليه) من دون ارادة له حال فعلها (فهو مخلص قطعاً) لأن ما عليه سوى عدم الارادة عند الفعل واذا عرض له من تسويلات[1] النفس أو الشيطان شيء فلا عليه الا المجاهدة لنفسه بجد واجتهاد نظراً الى عظم خطر الرياء وأحباط العمل بأن تنقلب الطاعة معصية ان لم يجاهد نفسه كما يجب عليه (سيما اذا اجتهد في كتمانها) حسب الحال (فمن البعيد أن يجتهد فيه) أي في الكتمان (مع أرادة الاطلاع) على ذلك اذ لا يجتمع الضدان عند الفعل أرادة الكتمان والاطلاع (فلو انه خطر بباله محبة أن يطلع عليه مع الاجتهاد في الكتم) بصدق نية يعلمها الله تعالى فليس برياء) شرعي يعاقب عليه (لأن الوساوس في شهوات النفس) والهوى والشيطان (لا يمكن) العبد (الاحتراز عنها) الكلي بحيث لا تخطر بباله (بل الواجب عليه المدافعة) لها عند أن يخطر بباله (وقد دافع بتحري الكتم) بمستطاعه حسب الحال (هذا ما لم يقع) من العبد (فيه) أي في فعل ذلك العمل الذي يريد به وجه الله عز وجل (سبب) لأرادة (الاطلاع) عليه (كرفع صوت بتلاوة ونحوه) كما سيأتي في بيان ما يقع به الرياء (فإن فعل) العبد ذلك مريد للاطلاع ونحوه (فرياء) لا شك فيه .

---

(١) اي تزيينها له انتهى مختار .

فصــــل

يشتمل على درجات الرياء وما يقع به للمرياء وما لأجله يكون الرياء كما ذكره بعض الأئمةمن العترة النبوية عليهم السلام ودلت عليه الشريعة المرضية . اعلم وفقني الله تعالى وإياك أن الرياء نعوذ بالله منه درجات بعضها أشد وأغلظ من بعض ، وهو ينقسم الى قسمين : الأول المراءى به وهي أفعال الطاعات ونحوها . والثاني المراءي لأجله وسيأتي ان شاء الله تعالى . والرياء بالطاعات أشده وأغلظه . الدرجةالأولى : وهي الرياء بأصلها وأساسها وهو الايمان بالله تعالى بأن يظهر العبد كلمتي الشهادتين وباطنه التكذيب فصاحب هذا مخلد في نار جهنم بلا اشكال :الدرجة الثانية : أن يكون مصدقاً بالله تعالى و لكنه يرائي بالصلاة والزكاة والصوم فيفعل ذلك ان كان عند الناس ويتركه ان خلا ، فهذا يلحق بما قبله إلا انه دونه . الدرجة الثالثة : أن يرائى بالنوافل فإن كان في ملأ نشط لها وأتى بها وان خلا كسل عنها فهذا دون الأولين فيجب عليه زجر نفسه وعلاجها بما سيأتي ان شاء الله تعالى من علاج الرياء وإزالته وما عليه غير ذلك فهذه الثلاث الدرجات في أصول الطاعة بالفعل والترك .

وأما في أوصافها فثلاث درجات . الأولى : تطويل الركوع والسجود والقراءة والمحافظة على سنن الصلاة والهيئات ان كان في الملأ وترك ذلك ان خلا . الثانية : المحافظة على حضور المساجد في أول الأوقات وعلى يمين الصف الأول ونحو ذلك وهي من الأفعال التي يثاب عليها لكنه يعلمه الله أنه لو خلا بنفسه ما بالى أين وقف ولا أي وقت حضر . الثالثة : التزيي بزي أهل الفضل والعبادة من رثاثة الثياب ولبس المرقعات واظهار نسك العباد وسمتهم في جميع الأمور تشبهاً بأهل الصلاح وخوف الله تعالى كل ذلك لمقاصد دنيوية وهو في الباطن بعيد عن ذلك كله ، هذا رياء أهل الدين وأما أهل الدنيا فرياؤهم بالثياب النفيسة والمراكب الغالية وضروب التجملات بالملابس والمساكن والأثاث وآلات الفضة والذهب والحرير وغير ذلك وكذلك الرياء بالفصاحات وأخبار الأولين والأشعار والأمثال ومن ذلك حفظ النحو والاعراب للمباهاة والتفاخر وكذا اظهار غزارة العلم بالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة والآثار كل ذلك لاظهارها في المجالس والمواقف والمحافل طلباً للدنيا لا عملاً خالصاً لوجه الله تعالى وإلا فهو من أفضل الأعمال اذا خلص لله تعالى وكذلك كل عمل مبرور يحسن فعله فعلى العبد أن يفعله ويجاهد نفسه بأخلاصه لله تعالى بالعلاجات التي ستأتي ان شاء الله وإلا انقلب ذلك العمل رياء يعاقب العبد عليه مثل اطعام الطعام والغزو في سبيل الله تعالى والصدقات واظهار الخشوع والهدوء

والسكون(١) وتحريك الشفاه بالأذكار في المحاضر هذا من أهل الدين . وأما أهل الدنيا فبإظهار الكرم والتبختر في المشي و تحريك اليدين والأخذ بأطراف الثياب لأسبالها الى الأرض وكثرة الاصحاب والأعوان والزوار والخلطاء والتلاميذ وكل ذلك أن أراد به الرياء محظور يعاقب العبد عليه وماذا عليه أن يخلص نيته في كل أعماله ويجاهد نفسه حق جهادها ويصفي أعماله عن كل ما يشوبها لينال بها السعادة الآخروية ممن بيده الضر والنفع واليه الملجأ والمصير . القسم الثاني : المرايا لأجله ، أعلم أن المرائي لا يرائي إلا لأدراك شيء كمال أو جاه أو أي غرض له في نفسه يدركه من الغير . وله درجات ثلاث : أولها أغلظها وأشدها وهي ان تكون مقصودة التمكن من معصية الله تعالى كالذي يرائي بالأمور الدينية واظهار خصال التقوى والورع وغرضه أن يعرف بذلك ليتولى القضاء والأوقاف وأموال الوصايا والايتام ليأخذها ويأكلها . والدرجة الثانية : أن يقصد نيل حظ مباح من الدنيا كمال أو نكاح بامرأة جميلة أو شريفة فيشتغل بالوعظ واظهار العلم لتبذل له الأموال ويرغب في انكاحه ونحو ذلك . الدرجة الثالثة أن يقصد بعمله ليقرب عند الملوك ليتوصل الى حظ من حظوظ الدنيا أي حظ كان . الدرجة الرابعة : أن يقصد بفعله الثواب ولكنه يشاركه الرياء فلو كان في الخلوة لكان لا يفعله فيكون الحامل له الرياء أكثر فهذا من الرياء كما تقدم .

(١) عطف تفسير للهدوء ويقال هدأ اذا سكن انتهى .

الدرجة الخامسة: أن لا يقصد بذلك إلا وجه الله فيعرض له الرياء في خلال ذلك العمل فإن دافعه بجهده فما عليه إلا ذلك وإن لم يجاهده فلعله يفسد من عمله ما ترك فيه المجاهدة فقط ولا يحبط جميع عمله لكنه ينقص من عمله ويعاقب على قدر ما قصد فيه من الرياء ويثاب فيما قصد فيه الثواب فإن تساويا في الباعث فلا له ولا عليه . ذكر معنى ذلك الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عادت بركاته .

فصـــل
في علاج الرياء

وإنما يكون بالعلم والعمل فأولاً أن يعلم علماً قاطعاً أنه لا يصل اليه شيء مما يريده إلا بأذن الله تعالى ومشيئته اذ أزمة[1] الأمور كلها بيده وقد قال الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله** ﴾. فكيف يرجو العبد نفعاًمن غير الله تعالى بعد أن يسمع هذه الآية الكريمة فمع هذا يحق عليه أن يخلص عمله لله تعالى الذي بيده النفع والضر ولا يلتفت الى احد من خلقه اذ كل محتاج في كل لحظة الى ربه جل وعلا ؛ فإنه لا ينفع

(١) وازمة الزمان اشتد بالقحط والأزمة اسم منه وازم ازما من باب تعب انتهى مفتاح .

العبد حمد من أحد ، ولا يضره ذم ، اذ العمدة ما يعلمه الله تعالى في السر والعلانية . الثاني العمل فعلى العبد أن يعود نفسه كتم الاعمال الصالحة اذ لا منفعة في اظهار شيء منها مع علمه بما قدمناه الثالث أن يشمر العبد في قطع أسباب الرياء التي توجبه فيغرس في قلبه القناعة ويقلع الطمع والحرص الذي هو أعظم أسبابه الردية ويسقط نفسه عن أعين المخلوقين حتى يستحقر مدحهم له وذمهم له فلا يرى لهما وزناً في قلبه ويستعين على ذلك بالله تعالى فإن الشيطان لا يترك معارضة العبد في كل عمل مبرور فيسول له خواطر الرياء ليفسد عليه ذلك العمل وهي ثلاثة أمور : الاول حب اطلاع الخلق أو رجاء اطلاعهم عليه . الثاني هيجان[1] الرغبة في حمدهم له لتكون له المنزلة عندهم . الثالث قبول النفس له والركون اليه والاغترار بعقد الضمير على تحقيقه اي تصديقه مع انَّ هذا لا ينفعه بل يضره فيجب عليه جهاد نفسه عن حب ذلك والميل اليه هذا ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها فأما خطرات الوساوس فلا يؤاخذ بها -كما تقدم فنسأل الله تعالى خلوص الاعمال لوجهه الكريم .

(فائدة * قد يحسن من العبد اظهار العمل لمصلحة) لكن عليه ان يتحرى في تلك المصلحة لئلا يكون من غرور

---

(١) هجاه يهجوه وقع فيه بالشعر وشبه وعابه والاسم الهجاء انتهى مصباح ومعناه هنا حصول الرغبة منه في حمدهم

النفس وتسويل الشيطان نعوذ بالله منه فاذا تيقن وقوع المصلحة الراجحة حسن له اظهار العمل (كأن يكون ممن يقتدى به فيكون الاظهار لذلك من الأمر بالمعروف أو كان يتهم برذيلة وهو بريء منها وبأظهار الطاعة تذهب التهمة فأظهارها حينئذٍ كالنهي عن المنكر) فمثل هذا يجب الاظهار وجوباً لنفي التهمة اذ قد ورد الشرع بوجوب نفيها وما لا يتم الواجب الا به يجب كوجوبه كما لا يخفى (وكأن يكون في الاظهار تأكيد صحة توبته عند من اطلع على فعل معصية وهذا لا حق بدفع التهمة) فيجب الاظهار كما قدمنا ومجاهدة النفس عن ما يخطر من الرياء عند ذلك (وكأن يكون في الاظهار نفوذ كلمة فيما يأمر به وينهى عنه وقرب الناس الى اجابة دعوته لاحياء حق أو أماتة باطل) فلا أشكال في حسن اظهار العمل مع ترجح المصلحة الظاهرة (وكأن يكون في تركه الفعل أو ترك اظهاره نسبته الى التقصير والاستهانة بالخيرات فلو دخل جماعة مسجداً فتطوعوا بتحية المسجد فإنه يحسن منه الدخول في مثل فعلهم دفعاً لتلك التهمة) فإن تيقن وقوع التهمة وجب عليه نفيها وجوباً ولذا قال عليه السلام (قيل ولا يبعد في ان يجب بقوله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم) ونحوه من الأدلة المذكورة في مواضعها (ونظائر ما ذكرناه كثيرة والأعمال بالنيات) .

هذه كلمة جامعة مما اعطى الله رسوله صلى الله عليه

وآله وسلم من جوامع الكلم ، فعليك أيها المطلع بإصلاح نيتك في كل عمل تفوز ان شاء الله تعالى بالغاية القصوى[1] من رضوان الله تعالى .

فصـــل

ومن مكايد الشيطان القوية التي تميل اليها النفوس المردية ترك الاعمال الصالحات خوفاً من ان يكون مرائياً وذلك غلط اذ لا يترك من العمل إلا ما كان الباعث له الرياء لا غير وأما غيره كأن يكون العمل لله تعالى فيعرض له في خلاله الرياء فما على العبد إلا مدافعته بجهده لا غير وقد قيل ترك العمل لأجل الرياء رياء لأنه اذا ترك العمل ليمدح بأنه غير مراءٍ لا يبعثه لتركه إلا ذلك كان مرائياً واما لعدم الوقوف في مواقف التهمة فلا اذ العبرة هنا بالباعث فلا تعارض (ومن الرياء ان يوهم انه فعل فعلاً ولم يفعله قاصد الحمد عليه) فإن هذا والعياذ بالله من أفحش الرياء وأخبثه لانضمام الكذب معه (وقد توعد الله على ذلك في قوله علت كلمته (وجلت ﴿ ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا (ويحبون ان يحمدوا) ﴾ الآية) « ﴿ بما لم يفعلوا فلا

(١) يعني بالغاية التي اليها المنتهى وهي الجنة دار المتقين جعلني الله ووالدي واولادي والمؤمنين من أهلها آمين .

يحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (فلو أحب ذلك ولم يوهم أنه فعله فالأقرب قبحه لأن فيه محبة الكذب وما في حكمه ومنه) أي ومن الرياء (ان يرائي) العبد غيره (انه يأكل قليلاً ليوصف بالقنوع والشهامة) القنوع ظاهر وأما الشهامة فهي ذكاء الفؤاد فلا يظن انهما مترادفان قال ذكره في النهاية وديوان الأدب (فقد ورد ان المرائي في أكله كالمرائي في دينه) لأنه من أنواع الرياء وهو عام في أمور الدنيا والدين (فلو تركه ايثاراً للغير أو لئلا يوصف بكثرة النهم كأن يرفع أصحابه قبل شبعه فلا حرج في ذلك) بل يكون من الأفعال المقربة الى الله تعالى التي شرعها الله تعالى وحث عليها في شريعته فلا يخفى قول الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الى غير ذلك . وأما رفع التهمة فقد تقدم وجوبه فلا اشكال .

فصـــل

(المباهاة) هي (نوع من الرياء مخصوص و) حدها (هو ان يجتهد الانسان في اظهار بعض الخصال التي يشرف بها عند الناس طلباً للشرف عندهم والتعظيم) مثال ذلك ما ذكره الامام عليه السلام بقوله (كالمباهاة بحلق التدريس وكثرة أهلها والانتصاب لها حيث يراه الناس ابتغاء للرفعة

عندهم وعرض الجاه فيهم لغرض يعود الى الدنيا) الفانية الزائلة مع أنه لا يصل ما أمله وقد أحبط عمله بسوء قصده فصار مغبوناً لا دنيا ولا دين وماذا عليه لو أحسن النية وأخلص الطوية (١) حتى يكون من الفائزين بخير الدارين بسبب اصلاح نيته ولذا قل عليه السلام (لا اذا كان ذلك غرض ديني) فإن نشر العلم مع حسن النيةوجهاد النفس عن الرياء أفضل الأعمال على الاطلاق لأنه ورد فيه ما لم يرد في غيره كتاباً وسنة حتى صار علماً لا يخفى وأما مع خبث النية (فكفى في الزجر عن ذلك بالخبر المشهور « من سمع بعلمه سمع الله به مسامع خلقه يوم القيامة وحقره وصغره أو كما قال ») رواه المنذري في كتابه الترغيب والترهيب عن عبد الله بن عمر وقال رواه الطبراني في الكبير بأسانيد احدها صحيح وقد تقدم من هذا الاحاديث في الرياء ومما يناسبه ما رواه المنذري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » يعني شمها رواه أبو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم وفي حديث عن أبي هريرة مرفوعاً ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمة فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت

(١) والطوية الضمير انتهى مختار .

العلم وعلمته وقرأت القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى القي في النار » الحديث رواه مسلم وغيره وروي عن كعب بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ؛ « من طلب العلم ليجاري[1] به العلماء أو ليماري[2] به السفهاء ويصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار » . رواه الترمذي وغيره وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تعلموا العلم لتباهوا[3] به العلماء ولا تماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار » رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه والبيهقي وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من طلب العلم ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء أو ليصرف وجوه الناس اليه فهو في النار » رواه ابن ماجة وروي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس أدخله الله جهنم » رواه ابن ماجة ايضاً وعن أبن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله ليتبوأ مقعده من النار » رواه الترمذي وابن ماجة وعن ابن عباس

---

(١) وجزيت الى كذا جرياً وجراء قصدت وأسرعت أنتهى مصباح .

(٢) وما رآه مراءً جادله انتهى مختار .

(٣) والمباهة المفاخرة وتبايهوا تفاخروا انتهى مختار .

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان اناساً من أمتي سيتفقهون في الدين يقرؤن القرآن يقولون نأتي الأمراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتني من القتاد إلا الشوك كذلك لا يجتني من قربهم إلا » قال ابن الصلاح كأنه يعني الخطايا رواه ابن ماجة ورواته ثقات وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً[1] ولا عدلاً » رواه أبو داود وعن علي عليه السلام ورضي عنه « أنه ذكر فتناً تكون في آخر الزمان فقال له عمر متى ذلك يا علي قال اذا تفقه لغير الدين وتعلم العلم لغير العمل والتمست الدنيا بعمل الآخرة » رواه عبد الرزاق موقوفاً وفي حديث ابن عباس مرفوعاً « ورجل آتاه الله علماً فبخل به عن عباد الله وأخذ عليه طمعاً وشرى به ثمناً فذلك يلجم يوم القيامة بلجام من نار وينادي منادٍ هذا الذي آتاه الله علماً فبخل به عن عباد الله وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً وكذلك حتى يفرغ الحساب » انتهى فعلمت أيها المطلع أن عمدة العمل النية فإنه قد ورد في نشر العلم ما لا يخفى من الأجر .

---

(١) يعني فرضها ولا نافلة انتهى

فصــــل

في(المكاثرة)هي نوع (من المبهاة) إلا أنها (تختص بالاعيان كالمال والبنين والعشيرة والاتباع) ونحو ذلك من أمور الدنيا المذمومة (ولا خلاف في قبح هذين الخلقين ومن الأدلة) على قبحهما وذمهما (قوله تعالى﴿ألهاكم التكاثر﴾وقوله تعالى : ﴿ انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ وقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ وقال تعالى ﴿ إنما اموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾ وقال تعالى ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ الآية وقال عز من قائل : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ وقال عز وجل ﴿ قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ الى غير ذلك من الآيات وأما السنة فقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حب المال والشرف ينبتان

النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » (وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما اخشى عليكم الفقر ولكن اخشى عليكم التكاثر وما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم التعمد » رواه احمد) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ماذئبان[1] ضاريان في زريبة غنم بأكثر فساداً فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم » وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هلك[2] الأكثرون اموالاً إلا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم سيأتي على الناس قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ينكحون اجمل النساء وألوانها ويلبسون ألين الثياب وألوانها ويركبون الخيل وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وأنفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها إلهاً دون الههم ورباً دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يبتغون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق ما

---

(١) اخرجه احمد والترمذي عن كعب بن مالك .

(٢) اخرجه هناد عن أبي هريرة بلفظ الأكثرون هم الاقلون يوم القيمة إلا من قال هكذا أوهكذا وهكذا .

يكفيه أخذ حتفه[1] وهو لا يشعر » رواه البزار حكى هذه الاخبار المؤيد بالله يحيى بن حمزة في النصفيةوفي كتاب الحافظ عبد العظيم المنذري عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فأتقوا الدنيا واتقوا النساء » رواه مسلم والنسائي وزاد « فما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قضى نهمته[2] في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة ومن مد عينيه الى زينة المترفين[3] كان مهيناً في ملكوت السماوات ومن صبر على القوت الشديد صبراً جميلاً أسكنه الله من الفردوس حيث شاء » رواه الطبراني في الاوسط والصغير وروي عن ثوبان رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا ؟ قال ما سد جوعتك ووارى عورتك وان كان لك بيت يظللك فذاك وان كانت لك دابة فبخ » رواه الطبراني في الاوسط وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين يا أيها

---

(١) الحتف الهلاك قال ابن فارس وتبعه الجوهري ولا يبنى منه فعل انتهى مصباح .
(٢) النهمة بلوغ الهمة في الشيء وقد نهم بكذا منهوم أي مولع انتهى مختار .
(٣) اترفته النعمة اطغته انتهى مختار .

الناس هلموا الى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى » . رواه احمد ورواته رواة الصحيح وعن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله مما آتاه » رواه مسلم والترمذي وابن ماجة وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يقول العبد مالي مالي وأنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ولبس فأبلى وأعطى فأقنى[1] وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : مرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشاة ميتة قد ألقاها أهلها فقال : « والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها » رواه احمد . وعن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من احب دنيا أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضربدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى » رواه احمد ورواته ثقات . وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى اللهعليه وآله وسلم يقول « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما و الاه وعالم ومتعلم » رواه ابن ماجهوالبيهقي والترمذي . وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

(١) هذا تشبيه منه صلى الله عليه وآله وسلم لصدقة المتصدق بقنية الغنم اذا قناها الرجل لنفسه لا للتجارة بل للانتفاع فكما أن القنية تنفعه فكذلك الصدق تنفعه اذا كان خاص لوجه الله سبحانه وتعالى . والله اعلم .

الله عليه وآله وسلم « من[1] انقطع الى الله عز وجل كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها » وعن أبي الدحداح عن النبي صلى صلى الله عليه وآله وسلم « من كانت همته الدنيا حرم الله عليه جواري فإني بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها » رواه الطبراني

(تنبيه * ومن المباهاة التفيهق في المحافل بتكلف الكلام ونوادر المسائل طلباً للرفعة ويدل على تحريمه قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أخبركم بأبغضكم اليَّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة أسوأكم أخلاقاً الثرثارون المتفيهقون ») الثرثار كثير الكلام والفيهقة الكلام بملء الشدق تبجحاً أي اظهار التحسين في العبارات مع التكلف حكاه في التكملة وشرحها وقيل الثرثار المتكلم فيما لا يعني والمتفيهق المتكلم بملء فيه من قولهم فهق الأناء اذا امتلأ والمتشدق الذي يكثر الكلام من غير فائدة وقال صلى الله عليه وآله وسلم « شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ألا هلك المتنطعون في الكلام » ثلاث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء قال بعض السلف : أن شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان . ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن العادة وتكلف السجع في أثناء

(١) اخرجه الحكيم وابن ابي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والخطيب عن عمران ابن حصين .

المحاورات فينبغي ان يقتصر في كل شيء على مقصوده ومقصود الكلام الفهم للأغراض وما وراء ذلك تصنع[1] ولا يدخل في هذا تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ والتذكير من غير افراط ولا تطلب لغرائب الكلام لأن المقصود انما هو تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولا شك أن لرشاقة[2] الألفاظ تأثيراً فيه وهو لائق بهذا المقام . وأما في غير ذلك فلا يليق كالمحاورات في قضاء الحاجات فلا يليق التكليف للاسماع ونحوها اذا كان الباعث عليه الرياء واظهار الفصاحة والمباهاة بالبراعة (أما لو قصد بتوخي أي تحري الكلام البليغ ان يقع في النفوس ويؤدي المعنى المراد بكماله لا ليقال انه بليغ فلا كلام في حسنه بل في ندبه) فيثاب فاعله عليه ان حسنت نيته اذ الاعمال بالنيات (قيل وفي قوله صلى الله عليه وآله وسلم «ان من البيان لسحراً» أي يأخذ في القلوب ويعمل فيها عمل السحر) وهو في بعض المقامات محمود يوصل فاعله عند الله اعلى الدرجات مع النيات الصالحات كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ان العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات في الجنة وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم» رواه مالك والبخاري واللفظ له والنسائي والحاكم وقال صحيح على

(١) تصنع تكلف انتهى مختار .

(٢) اي حسّنه

شرط مسلم ولفظه « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يظن أن تبلغ ما بلغت يهوى بها سبعين خريفاً » وعن بلال ابن الحارث المزني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى له بها رضوانه الى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه » رواه مالك والترمذي وقال حديث حسن صحيح (تنبيه على ان توخي ابلغ الفصاحة لهذا القصد مندوب فائدة قد يحسن من العالم الخامل ما صورته صورة المباهاة) ومع نيته الصالحة المجاهدة لنفسه وهو لا يريد المباهاة وانما قصده المصلحة العظمى للثواب له في الآخرة ومنفعة غيره من العباد واذا ترك ذلك فقده (وهو ان يعتني بأظهار علمه بنحو ان يتكلم في المجامع بالمسائل الغامضة ويتظهر بالتدريس ونحو ذلك) مع تحرير نيته وخلوص طويته انه لا يفعل ذلك إلا (ليقصده الناس فيقع الانتفاع بعلمه والاستفادة منه لأن هذانوع من الأمر بالمعروف) فإن لم يكن يقوم غيره بذلك فقد يجب لأنه يجب عليه التعليم ويجب على من جهل التعلم فكيف من باب النهي عن المنكر ومع سكوته يكون من كتم العلم وعدم التبليغ عن الله ورسوله وذلك من أهم الواجبات لما ورد فيه كتاباً وسنة قال الله تعالى : ﴿ ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعدما ما بيناه للناس في الكتاب أولئك

يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا﴾ الآية الى غير ذلك وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه إلا أتى يوم القيامة ملجوماً بلجام من نار » رواه ابن حبان في صحيحه وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من كتم علماً الجمه الله بلجام من نار » رواه ابن حبان في صحيحه وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال « مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث كمثل الذي يكنز الكنز ولا ينفق منه » رواه الطبراني في الاوسط وروي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » رواه ابن ماجه (ومنه) أي ومن اظهار العلم لذلك المقصد الحميد (قول يوسف عليه السلام أني حفيظ عليم وكذلك يحسن فعل ما ذكر لقصد دفع الاستخفاف به وحطه عن درجته التي يستحقها لأنه نوع من النهي عن المنكر فلا بأس بطلب القدر المستحق هو له من التشريف لما في تركه من الاستخفاف المحرم ودفع المحظور واجب ولهذا سقطت عدالة من حط مرتبة نفسه بنحو أكل في سوق وبول في السكك ومجالسة أولي الرذالة) والدليل على تحريم الاستخفاف لا يجهل على عارف ومنه ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاثة لا يستخف بهم إلا منافق ذو الشيبة في الاسلام وذو العلم وإمام مقسط » رواه الطبراني في الكبير وعن

سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « اللهم لا يدركني زمان لا يتبع فيه العليم ولا يستحي فيه من الحليم قلوبهم قلوب الاعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » رواه احمد وروي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار وتواضعوا لمن تعلمون منه » رواه الطبراني في الاوسط وعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم اوحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي[1] عنه واكرام ذي السلطان المقسط » ورواه ابو داود وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « البركة مع اكابركم » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ليس من أمتي من لم يجلَّ كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا » رواه احمد بأسناد حسن . ذكر هذه الأحاديث في كتاب عبد العظيم المنذري ومن المعلوم في الشريعةتحريم الاستخفاف بكل مؤمن فضلاً عن إن يكون ذا علم ومما يدل على سقوط عدالة من حط مرتبة نفسه ان الله تعالى يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « المرء مع من أحب » دليل على قبح مجالسة أهل الرذالة لكن تكون هذه الأمور من دون تكبر فليحاذر فيها التكبر اذ النفس طموح ولذا قال عليه السلام (قلت الخطر في مثل هذا عظيم وقل من يعرف ما في هذا الشأن من دقائق

(١) يقال جفا الوادي جفاء اذا رضي بالزبد والقذى انتهى نهاية .

البوائق) يعني أن النفس تميل الى التعزز والتشرف على الغير حتى يرى العبد لنفسه مرتبة فوق ما يستحق من دون شعور له بذلك فعلى المرء أن يتهم نفسه في مثل هذا ولا يغتر فإنه مما يدق على من لم يتنبه له والبوائق لعلها الخطايا قال عليه السلام (وقد يلبس الشيطان على الانسان فيخيل له انه يفعل الفعل على الوجه الحسن)(المتقدم ذكره ويغفل أنه لا ينال ذلك إلا بحسن النية واخلاصها لله تعالى وتطهير السريرة من كل رذيلة فمع غفوله قد يعتقد حسن فعله (وهو في الحقيقة على الوجه المستقبح) وما ذاك إلا (لخبث الطباع وطموح الجبلة والغرائز الى طلب الشرف والرفعة فالحذر من الاغترار) قلت وهكذا في كل ما مر ويأتي فإن على العبد الانتباه لمثل ما ذكره الامام عليه السلام ولذا كان هذا هو الجهاد الاكبر .

(تنبيه * لو قصد بأظهار علمه بعث الناس على مواساته بما يقوم بعائلته ويسد به فاقته من الحقوق التي تسوغ) كل بحسب ما يليق به ويحل له تناوله (أو من خالص الأموال فالأقرب التحريم لانخراطه في سلك التكسب بالطاعات ويحتمل الجواز اذا تعرى عن قصد الشرف كتجويز الانتصاب للقضاء لما يعود تسببه بما يقوم بمؤنته والأول أظهر) اذ هو من طلب الدنيا بعمل الآخرة وقد تقدم في ذلك النهي عنه فيحق على من اراد ذلك أن يخلص نيته لله تعالى ويتكل في رزقه عليه وأن يجعل له

وقتاً لطلب الرزق بغير عمل الآخرة وان قل فذلك حسن لما قد ورد مثل « اجملوا في الطلب واعملوا للمنقلب » مع الله عز وجل متكفل بالأرزاق كما قال عز من قائل : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ فمن انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة وانما يشغل طلب الازدياد من الفضلات كما قيل :

واذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الاجساد

(ومن المكاثرة التفاخر بالآباء والاولاد والاجداد والاقارب الذين شرفوا بالأمور الدنيوية) وقد تقدم شيء من ذلك وهذا مزيد (قال الله تعالى : ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾) وقال تعالى: ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم ﴾ الآية و (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لينتهن أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده(1) الخرى بانفه ان الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية وفخرها بالأباءِ انما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب » رواه أبو داود والترمذي والعيبة الكبر والفخر والنخوة) وفي الحقيقة لمن فكر بعقله وأنصف فإن الانتساب الى من هذا حاله من أهل الدنيا والبغي ونحوه خزي لا

(1) اي يدحرج الشرجين انتهى نهاية والسرجين الزبل كلمة اعجمية انتهى مصباح والخرا رجيع الانسان .

فخر واين الفخر بمن عصي الرحمن وأطاع الشيطان وانسلخ الى الدنيا الفانية وفاته الفوز في الآخرة بالرضوان من الرحمن وصار في دار الهوان في هوان . فلو نظر المفتخر بهم الى صورهم في النار والى ما أعد الله لهم من الخزي والنكالات لتبرأ من الانتساب اليهم ولرضي بالانتساب الى الكلاب والخنازير ولا ينتسب اليهم (قيل وأما من شرف بالدين فلا بأس بالافتخار به اذ فيه رفع لمنار الدين ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم « أنا ابن الذبيحين ») قلت ولا يكون ذلك إلا اذا ثمة مصلحة دينية كما تقدم مع النية الصالحة والحرص على الاعمال الصالحة من دون ركون على من سلف من الآباء والأجداد قال الله تعالى ﴿ **يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً** ﴾ (اما الافتخار بكثرة الرجال عدداً فمكاثرة قطعاً) قال الله تعالى في معرض الذم ﴿ **أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً** ﴾ للمفتخر بذلك على أخيه وكان عاقبته كما لا يخفى . وقال عز قائلاً : ﴿ **يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل إمريء منهم يومئذٍ شأن يغنيه** ﴾ وكيف الافتخار بمن لا ينفع في وقت المنفعة ففي غيره لا ينفع مع أن الأعوان في الدنيا أقرب ما يتفرقون عنه فكأنهم لم يكونوا فلاعون معتد به إلا بالله تعالى (ومن المكاثرة رفع البنيان والزخرفة فوق القدر المحتاج اليه قصداً للتطاول على من لم يتمكن من مثل ذلك) فإنه يحرم ذلك لقول الله تعالى ﴿ **ان الله لا يحب كل مختالٍ فخور** ﴾ وانه من أمور الدنيا المذمومة المقصودة في قوله تعالى ﴿

وما هذ الحياة الدنيا إلا لعب ولهو ﴾ مع قوله تعالى ﴿ **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**﴾ الى غير ذلك من الآيات الناطقة بذمها وقوله صلى الله عليه واله وسلم « الدنيا ملعونة ملعون[1] ما فيها إلا ما كان لله عز وجل »وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « حب[2] الدنيا رأس كل خطيئة » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من[3] أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى » (فلو قصد مجرد التلذذ أو التزين والتجمل بذلك فلا بأس فيه لقوله تعالى ﴿ **قل من حرم زينة الله**﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ **لتركبوها وزينة**﴾ وقوله تعالى ﴿ **ولكم فيها جمال**﴾ ونحوه) هذا مع التحري أن يكون من حلال لا شبهة فيه وجهاد النفس الأكبر لئلا يدخل فيه شيء مما لا يجوز من كبر أو فخر أو استحقار للغير أو تضييع شيء مما يجب من الطاعات لله تعالى الذي خلق لها فعلى هذا أنه يعرض نفسه لتكليف المجاهدة والحذر عن عدم الاشتغال بالأهم فالأهم وأما التحريم فلا (ويحمل ما ورد من الزجر عن رفع البنيان على ما قصد به للمكاثرة والمفاخرة لا ما كان لمجرد التجمل) والمحتاج اليه وكل على قدر حاجته ومرتبته وفقره وغناه ونحو ذلك (فقد فعله كثير من الصحابة والتابعين وصالحي العلماء كالزبير وابن المبارك ومحمد ابن الحسن لكن لا شك ان الأولى الترك خاصة ممن يقتدى

(١) اخرجه ابو نعيم في الحلية والضياء المقدسي في المختار انتهى .

(٢) اخرجه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلاً

(٣) اخرجه احمد والحاكم في المستدرك عن ابي موسى

به فإن ذلك من بواعث دواعي الحرص على الدنيا وملاذها فيقع الاشتغال عن الآخرة والسعي لها) قال الله تعالى ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مكشوراً﴾ ومن السعي لها ترك ما يشغل عنه من أمور الدنيا لأن الله عز وجل لا يعتبر الدنيا وإنما العبرة بالآخرة اذ لم تكن الدنيا إلا مزرعة لها ووصلة اليها (وهي البغية المقصودة) فالاشتغال بغيرها لا يحمد بل يكون مذموماً لمناقضته تقديم الأهم لا سيما الاشتغال بما فوق الحاجة من البناء فإنه يفوت فيه أوقات كثيرة وأموال جزيلة فيما لم يكن أهم من ذلك وفيها تكليف وخطر لما تقدم من وجوب المجاهدة للنفس والهوى (ولظواهر احاديث تقتضي التحريم) المطلقة في التطاول في البناء فوق الحاجة (وأقل أحوالها الكراهة) التي يثاب تاركها ويحمد عند كل عاقل فكيف يتطاول في البناء مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم في آخر حديث « أما أن كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا الا مالا » رواه أبو داود في حديث طويل وقوله ألا مالا أي ما لا بد منه للانسان من ما يستره من الحر والبرد والسباع ويحفظ أمتعته ودوابه ونحو ذلك وعن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كل بنيان وبال على صاحبه إلا ما كان هكذا وأشار بكفه ـ وكل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به » رواه الطبراني وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أراد الله بعبد شراً خضر له في اللبن والطين حتى يبني » رواه الطبراني في الثلاثة بأسناد جيد وفي رواية اذا اراد الله

بعبد هواناً أنفق ماله في البنيان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة » رواه الطبراني في الكبير وعن أبي العالية ان العباس بن المطلب رضي الله عنه بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أهدمها فقال : أهدمها أم أتصدق بثمنها فقال : أهدمها . رواه أبو داود وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على أهله كتب له صدقة وما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فإن خلفها على الله والله ضامن إلا ما كان في بنيان أو معصية » رواه الدارقطني والحاكم وقال صحيح الاسناد وروي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « النفقة كلها في سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه » رواه الترمذي وعن عطية بن قيس قال كان حجر ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجريد النخل فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مغزى له وكانت أم سلمة موسرة فجعلت مكان الجريد لبناً فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ما هذا ؟ قالت : أردت أن أكف عني أبصار الناس فقال : « يا أم سلمة ان شر ما ذهب فيه مال المرء المسلم البنيان » رواه أبو داود في المراسيل ذكر هذا كله في كتاب المنذري وفيه أحاديث أُخر وفي هذا ما يكفي لمن عقل .

فصـــل

ومن المهلكات التي حرمها الله جل وعلا (الحسد وهو كراهة وصول النعم أو بقائها للغير لا لوجه يقتضي ذلك من عداوة أو غيرها) فهذه حقيقة الحسد وماهيته والعلة فيه محبة زوال النعمة عن صاحبها (ومن ذلك الحسد على ارتفاع شأن الغير أو حسن الثناء عليه فإنه من النعم وهو محرم شرعاً) بخلاف الغبطة وهي أن لا تحب زوال تلك النعمة ولا تكره وجودها ودوامها على الغير ولكنك تشتهي لنفسك مثلها فلا يكون هذا حسداً لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « المؤمن يغبط والمنافق يحسد » والعلة عدم محبة زوال تلك النعمة عن الغير بخلاف ما اذا كانت لكافر أو فاسق يستعين بها على افساد الدين فلا عليك ان احببت زوالها لأزالة ذلك الافساد أما الأول فهو محرم شرعاً والأدلة عليه من الكتاب والسنة وسيأتي (بالاجماع وبالنص كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « إياكم والحسد فإنه يأكل الجسنات كما تأكل النار الحطب أو العشب » رواه رزين) وفي المنذري رواه أبو داود والبيهقي ورواه ابن ماجه وغيره من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب والصدقة

تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار والصلاة نور للمؤمن والصيام جُنة من النار » وعن ضمرة بن ثعلبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا » رواه الطبراني ورواته ثقات (وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه ») ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وأثماً مبيناً﴾** (رواه الطبراني) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأسفد لها من الحرص على المال والحسد في دين المسلم وان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ذكره رزين وعن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال« دب اليكم داء الأمم قبلكلم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة أما أني لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين » رواه البزار بأسناد جيد وفي التصفية للمؤ يد بالله قال صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث لا ينجو منهن أحد الظن والطيرة والحسد وسأحدثكم بالمخرج من ذلك فإذا[1] ظننتَ فلا تحقق واذا تطيرت فأقصر ، واذا حسدت فلا تبغ » وفي آخر حديث « فوا[2]لذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤ منوا ولن

(١) اخرجه عجزه ابن عدي عن أبي هريرة ولفظه اذا حسدتم فلا تبغوا واذا ظننتم فلا تحققوا واذا تطيرتم 'فأمضوا وعلى الله فتوكلوا

(٢) الخبر اخرجه احمد والترمذي والضياء المقدسي عن الزبير بن العوام دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده الخبر .

تؤمنوا حتى تحابوا إلا أثبتكم بما يثبت ذلك في قلوبكم أفشوا السلام بينكم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « انه سيصيب أمتي داء الأمم . قال ما داء الأمم ؟ قال : الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج[1] » وقال صلى اللهعليه وآله وسلم « لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله . ويبتليك » روي أن موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه رأى في ظل العرش رجلاً فغبطه بمكانه فقال : ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره بأسمه فلم يخبره بأسمه وقال : احدثكم من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وقال زكريا عليه السلام : يقول الله تعالى ﴿ الحاسد عدو لنعمتي سخط لقضائي غير راضٍ بقسمتي التي قسمت بين عبادي﴾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود » وقال « ان لنعم الله اعداء فقيل من هم قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ستة يدخلون النار بستة قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : الأمراء بالجور ، والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرساتيق بالجهالة والعلماء بالحسد . الرساتيق الحوانيت

(١) الهرج الفتنة والاختلاط انتهى مختار .

والخانات . وقال أنس بن مالك كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يطل عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة قال : فطلع علينا رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه في شماله . وقال في اليوم الثاني وقال في اليوم الثالث كذلك والرجل يطلع علينا في هذه الأيام قال : فلحقته وقلت أريد أن أعرف عملك فقال ما لي من عمل ولكني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا حسداً على خير أعطاه الله إياه فقلت هذه التي بلغت بك وهي لا تطاق . هذا لفظ ما في التصفية . وفي كتاب المنذري أبسط منه وان التابع للرجل عبد الله بن عمر وأنه بات عنده ثلاث ليال لينظر عمله ثم أخبره بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحدمن المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله أياه » فقال عبد الله هذه التي بلغت بك رواه احمد بأسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي (ومدافعته واجبة ويكون باستحضار ما ورد به الشرع من تقبيحه والترهيب لصاحبه وما ورد في تهجينه وذمه) كما تقدم (ولقول بعض العلماء الحكماء الحسود غضبان على من لا ذنب له)وفيه آثار كثيرة تركتها اختصاراً واكتفاء بالاخبار النبوية (ومنه) أي من الحسد (تمني كون الذي للمحسود له لا سؤال الله أن يفعل له كما فعل للمحسود) من دون ان يحب زوال النعمة من المحسود فإنه لا أثم عليه لما تقدم أنها الغبطة (ودليل الطرفين قوله تعالى ﴿ **ولا تتمنوا ما فضل الله**﴾الاية ﴿**به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما**

اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾ ﴿ وأسألوا الله من فضله﴾ الآية) ان الله بكل شيء عليماً (ومحبته ان يحصل له مثله تسمى الغيرة وقد روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم الغَيرة من الايمان) قلت ولعل ذلك اذا كان في أمور الدين وفيما يقرب الى الله ليكون الأزدياد . ومن ذلك قوله تعالى ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ وقوله تعالى ﴿ سابقوا الى مغفرة من ربكم﴾ الآية .

فصـــل

في أسباب الحسد وهي سبعة : الاول العداوة والبغضاء وهي أشد انواعه . الثاني التعزز من الحاسد فيثقل عليه ارتفاع غيره بأي شيء . الثالث ان يكون الحاسد متكبراً على المحسود مستخدماً ماله فإن ارتفع المحسود عدم ذلك منه.الرابع المماثلة والمساواة كقول الكفار للرسل ﴿ ما انتم إلا بشر مثلنا﴾ ونحوه من الآيات . الخامس التزاحم على المقاصد فكل يخاف فوت مقصوده . السادس حب الرياسة وطلب الجاه . السابع خبث النفوس وشحها بالخير لعباد الله . وقد تجتمع هذه الأسباب أو بعضها فيعظم الحسد بسبب ذلك فيشتد الجهاد في قلعه وعلاجه وستكون الأشارة الى العلاج والعون بالله والثقة به (تنبيه * الحسد قد يكون بالقلب كما تقدم وبالقول كالوضع من إلمحسود بأنكار ما ينسب اليه من معالي الأمور وكالتنبيه على مثالبه وهفواته

المغفول عنها لا لمصلحة بل قصداً لوضعه وحطاً لمرتبته التي حسده عليها) كما قالت الكفرة للرسل ﴿ **ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء أن انتم إلا تكذبون** ﴾ وغير ذلك من الأقوال (هكذا قيل) ان القول في نفسه حسد (الأولى ان يجعل ما هو بالقول مما ذكر من مقتضيات الحسد لا قسماً منه فإنه من اعمال القلب خاصة والله أعلم) قلت والقول هو نتيجة الحسد الواقع في القلب كما قيل :

ان الكلام لفي الفؤاد وانما
جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وكما تقدم في الكبر انه في القلب فإذا انضم اليه فعل أو قول كان تكبراً ولعله أغلظ وأشد وأبشع (ومنها تكلف الطعن على كلام المحسود من العلماء في مؤلفاته وفتاويه وتقبيح صناعته فيها لا لمصلحة) ومع ما في قلب الحاسد قد يستبشع كلام المحسود وان كان حسناً ويتكلف له المناقضة والطعن فيه بأي وجه وما ذلك إلا نتيجة الحسد لا غير فما أعظم وزر الحاسد عند الله وخبث نيته وما اعظم اجر المحسود وحسن نيته وشتان ما بينهما (ومنها ترك التعريف بما يعرفه من محاسن المحسود ومكارمه في مقام يقتضي ذلك) كأن يسأله أمام أو نحوه كيف فلان في أمانته ودينه وكماله فلا يعرفه بما يعلمه وأما لو ذمه فأنه يلحق بما سبق وكلاهما من نتائج الحسد التي يعاقب عليها الحاسد . فليتق الله

المرء بجهاد نفسه حتى ينجيها مما يهلكها . (ومنها ايراد الملغزات عليها طلباً لغلطة وعلى كثرة وقوع الحسد من حملة العلم ودخول الشيطان بينهم من هذه الجهة نبه الخبر الوارد في كتاب الفردوس والله اعلم بصحته وهو لا تقبلوا قول العلماء بعضهم على بعض فإن حسدهم عدد نجوم السماء وان الله لا ينزع الحسد من قلوبهم حتى يدخلهم الجنة) الله اعلم بصحة هذا الخبر اذ لم يوجد في غير ما ذكره الامام عليه السلام فإن كان فإن العلماء العاملين يجاهدون أنفسهم الجهاد الاكبر لتعظم درجتهم عند الله تعالى بسبب الجهاد لما يعرض لهم من ذلك ولعله وجه الحكمة ولذا قال في آخره حتى يدخلهم الجنة فإنه محمول على ما ذكرته وعلى التوبة النصوح . ومما ورد في ذم الحسد في الصحاح في كتاب المنذري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً كما أمركم . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره . التقوى ها هنا التقوى ها هنا ثلاثاً . ويشير الى صدره . بحسب امرىء من الشر ان يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » رواه مالك والبخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي . وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبدٍ الايمان والحسد » رواه ابن حبان في صحيحه وعن عبد الله بن عمر قال قيل يا رسول الله أي

الناس أفضل ؟ قال « كل مخموم القلب صدوق اللسان » قالوا صدوق اللسان نعرفه . فما مخموم القلب ؟ قال « هو التقي النقي الذي لا أثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد » رواه ابن ماجه بأسناد صحيح . وروي عن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان بدلاء امتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكن دخلوها برحمة الله وسخاوة الانفس وسلامة الصدور » رواه ابن أبي الدنيا . وروى عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « قد أفلح من أخلص قلبه للايمان وجعل قلبه سليما ولسانه صدوقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة » . رواه احمد .

فصـــل

في علاج الحسد وازالته وانما يكون ذلك بالعلم والعمل فالعلم النافع لمرض الحسد هو ان تعرف أولاً تحقيقاً ان الحسد ضرر عليك في الدين والدنيا ، اما الدين فلأنك سخطت قضاء الله تعالى وكرهت حكمته ونعمته التي قسمها لك وعدلها بين عباده ، وعدله الذي أقامه في ملكه بدقيق حكمته واستنكرت ذلك وأضفت الى نفسك هذه الشناعة . وهذه جناية في وجه

الايمان وعينه ، وناهيك بها جناية على الدين مع غشك لرجل من المسلمين وأهل الايمان وترك نصيحته وفارقت في ذلك طريقة أولياء الله وأنبيائه في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وحزبه في محبتهم ازالة النعم وانزال البلايا بالمؤمنين مع ان هذه خبيثة قد نبه عليها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تأكل الحسنات وتمحوها . وأما الضرر عليك في الدنيا فإنك تتألم بحسدك في الحال وتتعذب به ولا تزال في كمد[1] اذ لا تخلو لعدو من نعم الله تعالى التي تراها وصرف البلايا عنه فلا تزال مغموماً بذلك مهما بقيت حاسداً ولا يطيب لك عيش بسبب ذلك . والعاقل لا يكون هكذا يرضى بالضرر على نفسه في دينه ودنياه من غير نفع يصل اليه الا هلاك دينه ودنياه . اللهم أجرنا من غضبك يا خير مستجار . الثاني أن تعرف انه لا ضرر على المحسود في دينه ولا دنياه بل ينتفع به فيهما لأن نعمته لا تزال عنه بحسدك له بل ما قدره الله له من دوام نعمته فلا حيلة لك في دفعه لأن كل شيء عنده بمقدار ولكل اجل كتاب . هذا في الدنيا ، وأما في دينه فإنك ظالم له بحسدك ، فإن جرى منك في عرضه عيبة أو قدح أو هتك ستر أو ذكر شيء من مساويه فإنما هي هديه تهديها اليه من حسناتك . وأما منفعته في الدنيا فإن أهم اغراض الاعداء شنأة عدوه وإيصال الغم اليه ، ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من الحسد فقد صرت جانياً على نفسك وعدوُّك في نعمة وأنت

---

(١) الكمد الحزن المكتوم انتهى مختار .

في غم طويل مهلك دنيا وآخرة كما قال تعالى ﴿ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ وكما قيل شعراً :

أصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وأما مداواة الحسد بالعمل فينبغي ان يكلف الحاسد نفسه ضد ما تهواه فإن هويت القدح في المحسود كلفها المدح وان هويت التكبر كلفها التواضع وان هويت كف الانعام والاحسان الزم نفسه الزيادة فيه فيحسن اليه وان ابت نفسه ذلك وان شق عليه فإنه يعظم أجره بقدر المشقة ومهما عرف المحسود هذا من الحاسد طاب قلبه وأحبه فيزول الحسد لمعرفة الحاسد محبة المحسود له . فعليك بهذه الأدوية فإنها نافعة جداً وان كان فيها غاية المرارة . ، لكن من لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء . وعليك ايضاً بقلع أسباب الحسد المتقدم ذكرها لأنه لا يزول بالكلية إلا بقلع أسبابه وكل علاج في قلعها مذكور في موضعه فأستعن بالله تعالى واعمل تفز برضوانه .
اللهم إنا نسألك العفو والعافية والرضوان يا أرحم الراحمين .

فصـــل

ومن المهلكات (الغل وهو والحقد بمعنًى واحد وهو متوسط بين الحسد والعداوة) وحقيقته ان تلزم قلبك الاشتغال بالمحقود عليه وبغضه والنفور عنه على جهة الاستمرار والبقاء . وسببه ان الغضب اذا كان كظم لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار لا محالة حقداً وغلاً وهو (يرجع الىّ ارادة نزول ضرر بالغير أو فوت نفع عنه) وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « المؤمن ليس بحقود ولا حسود وللحقد ثمان ثمرات ذكرتها لتحذرها الاولى : الحسد فيحملك الحقد أن تمنى زوال النعمة التي للمحقود عليه فتغتم لنعمته وتسّر بمصيبته وهذا دأب الكفار المنافقين . الثانية : اظهار الشماتة بما يناله من البلاء والاغتمام بما يناله من النعماء . الثالثة : أن تهجره وتصارمه وأن أقبل عليك . الرابعة : أن تعتقد في نفسك استصغاره واحتقاره والتهاون به . الخامسة : ان ترسل لسانك فيه بما لا يجوز من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر ، وكل واحدة من هذه مهلكة لك . السادسة : أن تسخر به وتستهزىء به وتريد ما ينقص قدره ومهابته ومنزلته . السابعة : ايذاؤه بما يؤلم جسده من ضرب وجرح ونتف شعر وغير ذلك . الثامنة : أن تمنعه حقه من

الصلة ان كان رحماً أو قضاء دين أو رد مظلمة أو ما يجب للمسلم على أخيه المسلم من رد سلام وجميع ما يجب وكل ذلك حرام يعاقب به ويحاسب عليه فعليك أيها المطلع بالاحتراز من هذه الآفات الثمانية واذا عرض لك شيء منها والعياذ بالله فدار كل شيء بضده لتنجو من غضب الله عليك فتلازم للمحقود عليه البشاشة به والرفق ونحوه والعناية بالقيام بحاجاته والمجالسة له على ذكر الله تعالى ومعاونته على المنافع والدعاء والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته فتنال بذلك الفضل العظيم والثواب الجسيم الذي الدنيا وما فيها بالنظر الى ثوابك عليه كلا شيء فإن الأجر على قدر المشقة قال الله تعالى ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ فكل درجة أفضل مما قبلها نعم والفرق بين الحسد والغل قول الامام عليه السلام (والحسد كراهة المنفعة والغل ارادة نزول المضرة أو فوت المنفعة) (١) أما (العداوة) فهي الأرادة المذكورة مع العزم على (انزال الضرر بالعدو إن امكن هكذا) قيل ودليل قبحه قوله تعالى : ﴿ ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾) . وقوله تعالى (﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ ونحو ذلك) وقد تقدم في أول هذا . وفي الحسد شيء مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك ، وسيأتي مزيد ان شاء الله تعالى . وجميع ما ورد في التهاجر والتشاحن يؤيد ذلك ومنه ما ذكره في كتاب

---

(١) والغل ارادة نزول المضرة أو فوت المنفعة

المنذري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرىء لا يشرك بالله إلا امرؤ كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول اتركوا هذين حتى يصطلحا » . رواه مالك ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي وابن ماجة . وعن هشام بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحل لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاث ليال فإنهما ناكبان عن الحق ، ما داما على صرامهما[1] وأولهما فيئاً[2] يكون سبقه الفيء كفارة له وان سلم فلم يقبل وردّ عليه سلامه ردت عليه الملائكة ورد على الآخر الشيطان ، فإن ماتا على صرامهما لم يدخلا الجنة جميعاً أبداً » . رواه احمد ورواته محتج بهم في الصحيح . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن » رواه الطبراني في الأوسط . وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فمن مُستغفر فيغفر له ومن تائب فيتاب عليه ويرد أهل الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا » والضغائن هي الأحقاد . وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث من لم تكن فيه

---

(١) حرم الشيء قطعه وحرم الرجل قطع كلامه انتهى مختار .

(٢) أي رجوعاً .

واحدة منهن فإن الله يغفر ما سوى ذلك لمن يشاء . من مات لا يشرك بالله ولم يكن ساحراً يتبع السحرة ولم يحقد على أخيه » . رواه الطبراني . وفي ذلك أحاديث أُخر

فصـــــل

يذكر فيه (ظن السوء هو أن تظن بأخيك المؤمن فعلاً محرماً أو إخلالاً بواجب) فتصدق ذلك الظن (من دون اقرار منه) شرعي (ولا أمارة يوجب الشرع العمل بها كشهادة عادلة ونحو ذلك) كمشاهدتك له على فعل تلك المعصية أو تواتر (وتحريمه معلوم قطعاً ومن أدلته) قول الله تعالى (﴿ **اجتنبوا كثيراً من الظن) ان بعض الظن اثم**﴾ (وهي مجملة بينها قولهُ تعالى ﴿ **لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء**﴾ وقوله تعالى ﴿ **واستشهدوا شهيدين من رجالكم**﴾) فإن لم يكن كذلك فإنه ظن السوء حُكي عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أن رجلاً أتاه يسعى برجُل فقال يا هذا نحن نسأل عن ما قلت . فإن كنت صادقاً مقتناك[١] وان كنت كاذباً عاقبناك وان شئت أن نقيلك أقلناك . قال : أقلني يا أمير المؤمنين (وعن بعض الحكماء إياك وظن السوء فإنه لن يدع بينك وبين صديقك صُلحاً) وقيل لبعضهم أي

(١) مقته ابغضه انتهى

خصال المؤمن أوضع له قال : كثرة الكلام وإفشاء السلام وقبول كل واحد (والاجماع منعقد على قبح هذا الظن وعلى وجوب التأويل ما أمكن ويدل على وجوبه قوله تعالى) في آيات الأفك ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين**﴾ أي كذب (اذ لا يمكن ظن الخير بغير تأويل) فشرعاً أن المؤمن يتأول لاخيه المؤمن أن سمع فيه شيئاً (وما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم مما معناه أنه اذا رأى المؤمن على خصلة مُستكرهة تأول له الى نيف وسبعين تأويلاً وهو أحد موجبات الغل ومُدافعته واجبة) وقد تقدم علاج الغل فخذه من هنالك (فإن ألح انقلب وأبى أن ينتهي عنه وجبت عليه مباحثة من ظن به السوء ليحصل أحد المخالص اما اعترافه أو توبته فيهديه الله على يديه وهو خير له مما طلعت عليه الشمس واما اعترافه وتمرده فيخرج عن خطر الظن عن غير تحقيق الى العلم اليقين الذي لا خطر فيه) لأنه قد خرج عن كونه ظناً بالاعتراف (واما انكشاف كذب كل تلك الامارات الموجبة للظن) وزال ذلك الظن المحظور بظهور كذبه قال جار الله الزمخشري في كشافه ما معناه في تفسير قوله تعالى ﴿ **ان بعض الظن اثم**﴾ ان في الظنون ما يوجب اجتنابه من غير تبيين ولا تعيين لئلا يجترىء أحد على ظن إلا بعد نظر «وتأمل» وتمييز بين حقه وباطله بأمارة ينتفع بها مع استشعار التقوى ، والحذر ولو عرف[١] لكان الأمر بأجتناب -

---

(١) اي الكثير في قوله تعالى اجتنبوا كثيراً بالكلام . انتهى

الظن منوطاً[١] بما يكثر منه دون ما يقل وَوَجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنباً ، وما اتصف منه بالقلة في تظننه من خصال والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أنّ كل ما لم يعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من شهرة الناس بالتعاطي والمجاهرة بالخيانة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء » . وعن الحسن : كنا في زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت » . وعنه « لا حرمة لكافر » وعنه « ان الفاسق اذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله تعالى واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والأثم هو الذنب الذي يستحق عليه العقاب (واذا اعتذر المظنون به السوء وأنكر فليس يسوغ تكذيبه إلا بيقين فالمؤمن اذا قال صدق واذا قيل له صدَّقَ ويدل عليه قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) وفي كتاب المنذري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبنائكم ومن أتاه أخوه متنصلاً أي معتذراً فليقبل ذلك محقاً كان أو مبطلاً فإن لم يفعل لم يرد على الحوض رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وعن حوذان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من اعتذر الى أخيه

(١) ناط الشيء علقه أنتهى مختار

المسلم فلم يقبل منه كان عليه ما على صاحب مكس [1] » روي عن جماعة من الصحابة وروي عن أبن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال ان شراركم الذي ينزل وحده ويجلد عبدة ويمنع رفده أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى ان شئت يا رسول الله . قال : الذين لا يقيلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنباً . قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره » رواه الطبراني وغيره .

(تنبيه * على المؤمن ان عثر [2] من اخيه المؤمن على زلة أن يسترها ولا يذيعها [3] لقوله تعالى ﴿ **ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا** ﴾ الآية) وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من نفس على مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » رواه مسلم وأبو داود واللفظ له والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة . وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من

---

(١) اخرجه ابو داود في المراسيل و ابن ماجة بأسنادين جيدين عن خوذان واخرجه الطبراني في الاوسط عن جابر عن عبد الله قال المنذري قال أبو الزبير والمكاس العشار

(٢) أي اطلع

(٣) داعه نشره انتهى مختار .

كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنها بها كربة من كربَ يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ». رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح . وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « لا يسترُ عبد عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » رواه مسلم . وروي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله بها الله الجنة » رواه الطبراني في الاوسط والصغير . وعن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من ستر عورة فكأنما استحيا موؤ ودة[1] في قبرها » رواه أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم . وقال : صحيح الاسناد . وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته » رواه ابن ماجة بأسناد حسن . وعن أبي برزة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يا معشر من آمن بلسانه ولا يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته » رواه أبو داود . وعن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان

(١) وابنته دفنها فيه انتهى مختار

الامير اذا ابتغى اي طلب الريبة[1] في الناس افسدهم » رواه أبو داود حكي هذه الأحاديث المنذري . (وعن القسم عليه اصحب من صحبت بالستر لعورته والاقالة لعثرته ولا تطل معاتبته اذا هفا أي زل انتهى ولا جفوته اذا جفا[2]إن زل فأقله وان قصر فأحتمله فإن تمرد عن التوبة فعليك ان تحذر منه للخبر اذكروا الفاسق بما فيه لكي يحذره الناس وعليه يحمل لا غيبة لفاسق) ولقد أجاد عليه السلام في حقوق الصحبة ومما يلحق بهذا العفو وقد تقدم الدليل عليه من كتاب الله تعالى ﴿ **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ وقد قال تعالى ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وان تعفوا أقرب للتقوى**﴾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفاً عليهن ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة ولا فتح رجل عن نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باباً من الفقر » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد العبد إلا عزاً فأعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله » وقالت عائشة : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتصراً من مظلمة ظُلمها قط

(١) الريبة وهي التهمة والشك انتهى ـ مختار .

(٢) اي ولا تعرض عنه ان اعرض عنك انتهى وتقدم لفظ المصباح

ما لم تنتهك[1] محارم الله فاذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك غضباً وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثماً وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعقبة بن عامر « ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « قال موسى يا رب أي عبادك أعز عليك قال الذي اذا قدر عفا » ذكر هذه الأحاديث في التصفية للمؤيد بالله يحيى ابن حمزة عليه السلام . وفي المنذري عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن ﴾ قال الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم » ذكره البخاري تعليقاً . وعن أبن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث من كن فيه آراه الله في كنفه[2] وستر عليه برحمته وأدخله في محبته من اذا أعطى شكر واذا قدر غفر واذا غضب فتر » رواه الحاكم . وقال صحيح الاسناد . وروي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته » رواه الطبراني في الاوسط . وعن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما من جرعة أعظم اجراً عند الله من جرعة غيظ كظمها[3] عبد ابتغاء وجه

(١) وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل انتهى مختار .

(٢) كنفه حاطه وهانه انتهى مختار .

(٣) كظمت الغيظ كظماً من باب ضرب وكظوماً امسكت على نفسك منه على صفح انتهى مصباح .

الله » رواه ابن ماجة ورواته محتج بهم في الصحيح . وعن معاذ بن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من كظم غيظاً وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله سبحانه على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء » رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجة وحقيقة العفو هو ان يستحق حقاً فيسقطه ويبرأ عنه . وكظم الغيظ والحلم متقاربا المعنى وهما ان تصبر عند الغضب فلا تعاقب من أغضبك ، وهذه الثلاث الخصال محمودة عقلاً وشرعاً . والله المسؤول ان يرزقنا رضاه في الدارين آمين .

فصـــل

يذكر فيه عليه السلام (موالاة أعداء الله ومعاداة أوليائه)وهذا باب عظيم تجب معرفته ليحذر فإنه من المهالك العظيمة والموبقات الجسيمة التي تهلك الدين وتورد من لم يتجنبها موارد الظالمين (معنى موالاة الغير) وحقيقتها (ان تحب له كل ما تحب لنفسك وتكره له كل ما تكره لها) من غير ضرر يلحقه وأما المعاداة فهي قوله (ومعنى المعاداة) وحقيقتها هي (ان تريد انزال المضرة به وصرف المنافع عنه وتعزم على فعل ذلك متى قدرت عليه خالياً عن الصوارف) المانعة من فعلك به ذلك

(واعلم ان هذين النوعين) المذكورين (من الموالاة) لأعداء الله (والمعاداة) لأولياء الله (من أشنع القبائح) أي اخسها (واعظم الفضائح) المهلكة لصاحبها (اما الأول وهو موالاة أعداء الله يكفي في الزجر عنها) من كتاب الله عز وجل وسيأتي ما ورد فيها من كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم** ﴾ الآية) ﴿ **أو أبناهم أو اخوانهم أو عشيرتهم** ﴾ (وناهيك بهذه الآية قارعة وزاجرة) أي أن هذه الآية من أبلغ ما تقرع سامعها وتزجره وهي في النهاية من ذلك (لمن له اذن واعية) أي تعي ما سمعت (فإنه نفي عمن هذه خليقته) أي طريقته وسجيته (حقيقة الايمان قال جار الله) الزمخشري (في كشافه في تفسير قوله تعالى ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين** ﴾ الآية نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وكرر ذلك في القرآن) في مواضع كثيرة منه كقوله تعالى ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء** ﴾ وقوله تعالى (﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله** ﴾ الآية) قلت وكذا قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة** ﴾ وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى (والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الايمان) أي أساسه الذي ينبني عليه (وقال) جار الله ايضاً (في قوله تعالى في تلك الآية ﴿ **ومن**

يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ يعني فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأساً وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه أمران متنافيان) لا يجتمعان أبداً (قال الشاعر) في ذلك :

(تود عدوي ثم تزعم انني
صديقك ليس النوك[1] عنك بعازب[2])

النوك هو الحمق وهو النقص في العقل ومعناه أنه لا يجتمع صداقة الصديق وصداقة عدوه في قلب كامل العقل . وفي المنذري عن علي رضوان الله عليه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث هن حق لا يجعل الله من له سهم في الاسلام كمن لا سهم له ، ولا يتولى الله عبد فيوليه غيره ، ولا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم » رواه الطبراني في الصغير والاوسط بأسناد جيد . وفي الكبير عن ابن مسعود وعن عائشة نحوه . وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور وتبغض على شيء من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض قال الله ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فأتبعوني يحببكم الله ﴾ رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد .

(١) والنوك بالضم والفتح الحمق انتهى قاموس

(٢) غاب بعد وغاب انتهى مختار .

وروي عن معاذ بن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أفضل الايمان قال : « ان تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله ، قال : وماذا يا رسول الله ؟ قال : أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك » رواه احمد .

وعن عمرو بن الجموح رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لا يجد العبد صريح أي علو الايمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله تعالى فإذا أحب لله تعالى وأبغض لله فقد استحق الولاية » رواه احمد . وأعلم أن الحب في الله والبغض فيه درجات أفضله وأعلاه أن يكون خالصاً لوجه الله لا لينال من المحبوب حظاً غيره لأن أصله وأساسه محبة الله تعالى فمن أحب الله تعالى وغلب على قلبه حبه واستولى عليه فإنه يتبعه حب كل افعاله وجميع ما كان من جهته جل وعلا فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا وقع المطر استمطر وناله جسمه وقال هذا قريب العهد واذا حصل من الفواكه باكورة مسح بها وجهه وأكرمها وقال انها حديثة بربها وسيأتي ما ورد في المتحابين في الله تعالى والآن نذكر ما يتعلق بالبغض فأعلم أن كل من أحب في الله تعالى فإنه لا بد أن يبغض في الله تعالى لأنك اذا احببت انساناً مثلاً في الله تعالى فإنك لا تحبه إلا لتقربه الى الله بطاعته فإن كان عاصياً له فإنك تبغضه لبعده من الله تعالى بمعصيته فالأمران متلازمان كما ترى ثم أن أهل البغض هم أهل العداوة من الكفار والفساق فالكفار أنواع فالحربي مستحق للقتل والاسترقاق وأخذ ماله والمرتد مستحق للقتل وأما الذمي فلا يجوز ايذاؤه إلا

بالاعراض عنه والتحقير والاهانة وأما المبتدع فإن كانت البدعة يكفر بها فأمره أشد من أمر الذمي لأنه لا يقر بجزية ولا له عقد ذمة وان كانت بدعته لا يكفر بها فأنه اخف من الكافر من جهة العقيدة وأشد مه لأن شره يتعدى الى من أجابه الى بدعته وأما المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعاء الى بدعته ولا يقتدى به فأمره أهون والأولى ارشاده باللين والنصيحة فإن قلوب العوام سريعة التقلب ويعرض عنه ان لم يقبل لأن في الأعراض زجراً له عن بدعته . هؤلاء المخالفون في العقيدة وأما المخالفون في العمل فهم على ثلاثة أنواع الأول أشدها وهو ما فيه ضرر على الناس كالظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة ونحو ذلك فهؤلاء الأعراض عنهم وترك مخالطتهم والانقباض عنهم وطردهم وايحاشهم واجب لأن معصيتهم شديدة لايذاهم الخلق . النوع الثاني الفاسق بشرب مسكر أو أتيان فاحشة كالزنا وترك الصلاة فإنه اذا كملت شروط الحد عليه حُدّ وجوباً فإن تاب وإلا وجب منعه وضربه وحبسه ونصيحته بالوعظ نحوه : النوع الثالث : الذي يكون عنايته في الدعاء الى الفسق والفجور وشرب المسكر والغناء فإن هذه معصية عظيمة لأنه يفسد على الناس أديانهم فالواجب اهانته والأعراض عنه والمقاطعة له حتى ينزع عن ذلك . ذكر معنى هذا كله الامام المؤيد بالله عادت بركاته (وأما الثاني فهو معاداة أولياء الله فناهيك بها خطة[1]

---

(١) بالكسر الطريق وهي ارض يختطها الرجل لم تكن لأحد قبله وبالضم الخالة والخصلة انتهى . مصباح .

شنيعة[1]) أي خصلة بلغت النهاية في القبح (وخليقة فظيعة[2]) أي طريقة اشتدت بشاعتها كيف (وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم « لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرى لأخيه ما يرى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه » أو كما قال) صلى الله عليه وآله وسلم (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من حديث طويل « ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله تعالى بالمحاربة » رواه معاذ وأخرجه ابن ماجة والحاكم وقال صحيح) وما تكون معاداة أولياء الله إلا ثمرة لموالاة أعداء الله وجهل ما أعد الله للمتحابين فيه وسيأتي ما ورد فيها .

(تنبيه * اعلم أن الموالاة والمعاداة قد يكونان دينيتين كأن توالي الغير لكونه ولياً لله تعالى وتعاديه لكونه عدواً لله) فهذا هو مراد الله تعالى كما تقدم لأن المعتبر هو أمر الدين الذي ينبني الخلود في الآخرة عليه اما في نعيم مقيم او في عذاب اليم نعوذ بالله منه ونسأله رضوانه (فإن لم يكونا كذلك) أي الموالاة والمعاداة في الدين (فدنيويتان نحو ان تحب له الخير لقرابة) في نسب (أو نفع منه) أي نفع كان من أمور الدنيا (و) يريد له (الشر لمضرة صدرت منه أو نحو ذلك) أي مضرة كانت (والمحرم في حق أعداء الله من كافر وفاسق هو الموالاة الدينية فقط) وقد تقدمت كيفية الموالاة والمعاداة الدينية والدنيوية فقال

(١) شنع الشيء بالضم شناعة قبح فهو شنيع والجمع شنع مثل بريد وبرد انتهى مختار .

(٢) فظع الأمر فظاعة جاوز الحد في القبح فهو فظيع وأفظع الرجل بالبنا للمفعول نزل به امر شديد انتهى . مصباح

الامام عليه السلام (وتجوز الدنيوية إلا ما حظره الشرع منها من تعظيم) لأعداء الله تعالى (بقول) كأن يمدحه (أو فعل) أي فعل منه اعانة على باطلهم (لقوله تعالى ﴿ **وليجدوا فيكم غلظة** ﴾) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من أهان ظالماً بباطل ليدحض به حقاً فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله » . وروي عن ابن عباس رضي الله عنه في كتاب المنذري وقال : أخرجه الطبراني والأصبهاني وروي عن اوس بن شرحبيل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول «من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام » رواه الطبراني في الكبير ولذا قال الامام عليه السلام (وكالمشي اليهم على وجه التعظيم) فانه لا يجوز . عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أسخط الله في رضاء الناس سخط الله عليه وأسخط عليه من أرضاه في سخطه ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينه » رواه الطبراني بأسناد جيد قوي . وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من التمس رضاء الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضاء الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أرضى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله » رواه الحاكم وعن

عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده له ذاماً » رواه البزار وابن حبان في صحيحه وروي عن عبد الله بن عاصم بن فلك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من تحبب الى الناس بما يحبونه وبارز الله تعالى بما يكره لقي الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان » رواه الطبراني حكى هذا كله في كتاب المنذري (لا) اذا مشى اليهم (لحاجة فيجوز) من غير تعظيم لهم (كالدعاء لهم بخير الآخرة) فإنه لا يجوز (لا بخير الدنيا فيجوز إلا بطول البقاء) فلا يجوز لأخبار وردت فيه ولا يجوز اعانتهم (كفعل أمر يكون فيه تقوية الظلمة أو الفسقة على ظلمهم وفسقهم) فإنه لا يجوز لما تقدم من الاخبار ومما في كتاب الله من الزجر عنه وأما أذا ألجأت الضرورة للتقية منهم فقال عليه السلام (ويجوز أيضاً ما كان على وجه التقية قال جار الله في كشافه) في تفسير (قوله تعالى ﴿ **إلا ان تتقوا منهم تقاة** ﴾ رخص تعالى لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهره والقلب مبطن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال الموانع من قشر(١) العصي كقول عيسى صلى الله عليه وسلم كن وسطاً) اي خياراً (وامش في الناس جانباً) أي متجنباً لما حرمه الشرع في جميع ما

(١) قشر العصي اذا جاهره بالعداوة وفي الاساس قشر له العصي اذا ابديت له ما في الضمير انتهى . من هامش الكشاف .

يجب تجنبه وأما موالاة المؤمن ومحبته فقال الامام عليه السلام (والمحرم في حق المؤمن هو المعاداة مطلقاً دينيها ودنيويها) واعلم أنه ورد في المحبة في الله الخالصة لوجهه ما لم يرد في غيرها من ذلك ما ذكره الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في كتابه النصفية فقال : اعلم أن الألفة والصحبة ثمرة حسن الخلق والمنافرة والتفرق ثمرة سوء الخلق فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف وسوء الخلق و عكسه وقد قال الله تعالى مظهراً نعمته على خلقه بمنة الألفة ﴿ **لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم** ﴾ وقال : ﴿ **فأصبحتم بنعمته اخواناً** ﴾ أي بالألفة ثم ذم التفرقة فزجر عنها فقال تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا** ـ الى قوله ـ **لعلكم تهتدون** ﴾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان أقربكم مني مجالس يوم القيامة الذين يألفون ويؤلفون » وقال في الثناء على الأخوة في الدين : « من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكَّره وان ذَكَرَ أعانه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « المؤمن(١) آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « مثل الأخوين اذا التقيا كمثل اليدين تغسل احداهما الأخرى وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله احدهما من صاحبه خيراً » وقال في الترغيب في

---

(١) اخرجه الدارقطني في الأمراء والضياء في المختارة عن جابر ولفظه المؤمن يألف ومؤلف ويؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس انفعهم للناس .

الأخوة : « من آخى أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله » وقال أبو أدريس الخولائي لمعاذ بن جبل : إني أحبك في الله فقال إبشر ثم ابشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش ومنابر من نور يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل : من هؤلاء يا رسول الله ؟ قال : هم المتحابون » . وروى أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء . فقالوا يا رسول الله صفهم لنا ؟ قال : هم المتحابون في الله ، ، المتجالسون في الله ، المتزاورون في الله » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما الى الله اشدهما حباً لصاحبه ويقال ان الأخوين في الله ان كان احدهما اعلا مقاماً من الآخر رفعه الله معه الى مقامه وانه يلحق كما تلحق الذرية بالابوين وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله تعالى يقول ﴿ حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي ووجبت محبتي للذين يتحابون من اجلي ووجبت محبتي للذين يتباذلون من اجلي ووجبت محبتي للذين يتناصرون من اجلي﴾ وقال ان الله تعالى يقول يوم القيامة : ﴿ أين المتحابون لأجلي اليوم

أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي﴾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم « المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء في رأس ذلك العمود سبعون الف غرفة يشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر المتحابين في الله فيضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض فيه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان لله ملكاً نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار ألف بين عبادك الصالحين » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما أحدث أحد أخا في الله إلا أحد الله له درجة في الجنة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما زار رجل رجلاً في الله شوقاً اليه ورغبة في لقائه إلا ناداه ملك من خلفه طبت وطاب ممشاك وطابت لك الجنة » وفي اخبار داود عليه السلام قال : يا رب كيف لي ان يحبني الناس كلهم وأسلم فيما بيني وبينك قال : خالق الناس بأخلاقهم واحسن فيما بيني وبينك وفي حديث آخر : « خالق أهل الدنيا بأخلاق أهل الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق أهل الآخرة » وعن أمير المؤمنين كرم الله وجهه : عليكم بالأخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع الى قول أهل النار : **﴿ فما لنا من شافعين ولا صديق حميم﴾** ومن

كتاب عبد العظيم المنذري عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من سره ان يجد حلاوة الايمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله » رواه الحاكم وصححه وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الامام العادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال أني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما تحاب رجلان في الله إلا كان أحبهما الى الله عز وجل أشدهما حباً لصاحبه » رواه الطبراني وأبو يعلي ورواته رواة الصحيح . وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « خير الأصحاب عند الله خير لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » رواه الترمذي وحسنه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحهما والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه رواه الطبراني بأسناد جيد قوي . وعن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من احب رجلاً لله فقال اني احبك لله فدخلا جميعاً الجنة فكان الذي أحب أرفع

منزلة من الآخر ألحق بالذي أحب لله » رواه البزار بأسناد حسن . وعن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله فخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا بروح[1] الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : ﴿ **ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ رواه أبو داود . وروي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان في الجنة لعَمُداً من ياقوت عليها غرف من زبرجد لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري قال قلنا يا رسول الله من يسكنها قال المتحابون في الله المتباذلون في الله » رواه البزار وروي عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان في الجنة غرفاً ترى ظواهرها من بواطنها وبواطنها من ظواهرها أعدها الله للمتحابين والمتزاورين فيه والمتباذلين فيه » رواه الطبراني في الاوسط وروي عن معاذ بن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أفضل الايمان قال : « أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله قال وماذا يا رسول الله قال وأن تحب للناس ما تحب

---

(١) أي بالرحمة انتهى

لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك » رواه أحمد وقد تقدم قريباً وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : « أي عرى الاسلام أوثق قالوا الصلاة قال حسنة وما هي بها قالوا صيام رمضان قال حسن وما هو به قالوا الجهاد قال حسن وما هو به قال ان اوثق عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله » رواه احمد وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله » رواه أبو داود وعنه أيضاً أنه قال يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم قال : « انت يا أبا ذر مع من احببت قال فإني أحب الله ورسوله قال فإنك مع من احببت قال فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » رواه أبو داود وفيه أحاديث أخر تؤيد ما تقدم هنا ويروي ان الله اوحى الى موسى عليه السلام هل عملت لي عملاً قط فقال إلهي صليت لك وصمت وتصدقت وزكيت فقال ان الصلاة لك برهان والصوم جنة والصدقة ظل والزكاة نور فأي عمل عملت لي قال موسى إلهي دلني على عمل هو لك قال يا موسى هل واليت لي ولياً وعاديت لي عدواً قط فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله حكي ذلك المؤيد بالله عليه السلام .

فصـــل

في حقوق الاخوة والصحبة وهي ثمانية الاول في المال وفيه مراتب أربع الأولى أن تؤثره على نفسك الثانية أن تنزله منزلتك الثالثة أن تنزله منزلة ولدك في مالك الرابعة أن تنزله منزلة عبدك الحق الثاني الاعـانة بـالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال الحق الثالث باللسان أن تدعوه بأحب أسمائه اليه في غيبته وحضوره وتثني عليه بمحاسن احواله وأن تشكره على صنيعه في حقك وتذب عنه في غيبته عنك وأن تخبره بمحبتك له فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أحب احدكم أخاه فليخبره » اذ من علم من شخص انه يحبه فإنه يحبه بالطبع الحق الرابع ان تسكت عن عيوبه وعن كل ما يكرهه وعن الرد عليه فيما يتكلمه فلا تماريه ولا تناقشه ولا تتجسس عيوبه ولا تفشي له سراً واذا لقيه في طريق فلا يفاتحه بذكر غرضه فقد يثقل عليه وأن يسكت عن ذكر أهله وأقاربه بما يسوء كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يواجه أحداً بما يكرهه وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله يكره لكم البيان كل البيان » يعني التصريح بالمساوي كلها قـال بعض الزهـاد

المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات . الحق الخامس العفو عن الزلات فإن كانت في الدين تلطف في نصيحته بما يرده الى الصلاح وإن كانت في الدنيا عفا عنه وأعانه . الحق السادس الدعاء للأخ في حياته وبعد مماته بكل ما يحبه لنفسه وأهله فإن الدعاء له دعاء لنفسك بل اجل وأعظم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قالت الملائكة ولك مثل ذلك » وفي حديث « يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه » وفي حديث آخر « دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا ترد » . الحق السابع الوفاء والاخلاص وهو الثبات على حبه في حياته وبعد موته بل مع أولاده وأصدقائه لاخبار وردت في ذلك . الحق الثامن التخفيف عليه في كل شيء لتكون المحبة خالصة لله تعالى للتبرك بدعائه والانس بلقائه والاستعانة في الدين قلت ومما يجب على الاخ لأخيه ان لا يسمع فيه قول قائل من نمام أو مغراء ونحو ذلك فإنها لا تدوم الصحبة إلا بما ذكرناه .

فصــــل

فيمن تختار صحبته قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم « المرء عـلى دين خليله فلينـظر أحـدكم من يخالل » » وجملة المذكور في صفته خمس خصال الأولى العقل الراجح لأن الاحمق قد يضرك وهو يظن انه ينفعك وأما العاقل فإنه يفهم الأمور على ما هي عليه الخصلة الثانية حسن الخلق لأن من لم يكن حسن الخلق فقد يغلب عليه غضب أو شهوة أو بُخلة أو جبن أو نحو ذلك فيتبع هواه ويعجز عن قهره . الخصلة[1] الثالثة وهي العمدة الدين لأن من لم يخاف الله لم تؤمن غوائله قال الله تعالى : ﴿ **واتبع سبيل من أناب اليّ**﴾ وقال « ﴿ **فأعرض عمن تولى عن ذكرنا**﴾ وقال عز قائلاً ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبـه عن ذكرنا**﴾ الخصلة الرابعة عدم البخل فـإن صحبة البخيـل تزري[2] اذ لم ينفع نفسه ديناً ودنيا قال صلى الله عليه وآله

(١) في التصفية ما هذا لفظ الخصلة الثالثة الدين فلا خير في صحبة الفاسق المصر على فسقه لأن كل من يخاف الله تعالى فإنه لا يصر على كبيره وكل من لا يخاف الله تعالى فإنه لا يؤمن غوائله ولا يوثق لمصادقته بل يتغير تغير الأعراض انتهى بلفظه .

(٢) زرى عليه فعله عابه انتهى . مختار .

وسلم « ان الله خلق البخل من مقته وجعل أسه في أصل شجرة الزقوم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اي داء أدوأ من البخل » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « شر[1] ما في الرجل شح هالع[2] وجبن خالع » الخصلة الخامسة عدم الحرص على الدنيا فصحبة الحريص سم قاتل لأن الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري ان خيراً فخير وان شراً فشر . قال أمير المؤمنين احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب تحيي بالحكمة وهي العلم كما تحيى الأرض الميتة بوابل المطر . ذكر هذا المؤيد بالله عادت بركاته آمين .

فصل

في الحقوق اللازمة للمسلمين لبعضهم على بعض وجملتها ثلاثون أدباً أولها أن يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويسمته اذا عطس ويعيده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا أقسم وثانيها ان يحب لكافة المسلمين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها وثالثها أن لا يؤذي احداً

(١) اخرجه البخاري في تاريخه وابو داود عن ابي هريرة بلفظه .
(٢) هلع هلعاً من باب تعب جزع فهو هلع وهلوع مبالغة انتهى . مصباح بلفظه .

منهم بقول ولا فعل ورابعها ان يتواضع لكل مسلم وخامسها ان لا يسمع قول قائل وسادسها ان يحسن اليه مهما امكنه الاحسان وسابعها ان لا يزيد من هجره فوق ثلاثة أيام في ترك رد السلام ونحوه وثامنها أن لا يدخل على احد إلا بإذنه وأن يستأذن ثلاثاً فإن لم يؤذن له انصرف وتاسعها أن يخالق الجميع بخلق حسن ويعاملهم بحسن طرايقهم وعاشرها أن يوقر المشايخ ويرحم الصبيان والنسوان والحادي عشر ان يكون منطلقاً كثير البشر مع كافة الخلق والثاني عشر أن يصدق ان وعد ولا يخلف الوعد والثالث عشر ان ينزل الناس منازلهم كل بما يليق به والرابع عشر ان ينصف الناس من نفسه بحيث لا يرى على نفسه حقاً إلا بذله والخامس عشر أن يصلح ذات بينهم مهما وجد الى ذلك سبيلاً والسادس عشر ان يستر عوراتهم كلها أن اطلع على شيء منها والسابع عشر أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوبهم عن التهمة ولألسنتهم عن الغيبة والثامن عشر ان يشفع لمن امكنه أن يشفع له في اي حاجة بما يقدر عليه والتاسع عشر ان يصافح كل من وجد من المسلمين عند السلام عليه والعشرون أن يصون عرض اخيه المسلم ونفسه وماله عن ظلم غيره ان قدر على ذلك بجهده الحادي والعشرون اذا بلي بذي خلق سيء فينبغي ان يجانبه ويتقيه على بصيرة الثاني والعشرون ان يتجنب مجالسة الأغنياء ومخالطتهم ويختلط بالمساكين الثالث والعشرون النصيحة لكل

مسلم والجهد في ادخال السرور عليهم الرابع والعشرون ان يعود مرضاهم ويدعو لهم واظهار الرقة لهم والرحمة الخامس والعشرون ان يشيع جنائزهم وان يقف حتى يدفن الميت لما ورد في الخبر السادس والعشرون ان يزور قبورهم وإنما القصد بذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب السابع والعشرون خفض الجناح ولين العريكة أي الطبيعة بالتواضع الثامن والعشرون أن لا يستصغر أحداً منهم حياً كان أو ميتاً التاسع والعشرون ان يكون عائداً عليهم مهما أمكنه بكل منفعة الثلاثون ان يدفع عنهم ما استطاع دفعه من كل مضرة ومهتماً بأمر الاسلام والمسلمين . هذا على التفصيل والجملة الجامعة للآداب ومحاسنها مع عموم الخلق أن لا يستحقرن احداً ولا ينظرنّ الى أهل الدنيا بعين التعظيم لهم لأجل دنياهم لأن الدنيا صغيرة عند الله صغير ما فيها فاذا عظمت الدنيا عندك سقطت من عين الله تعالى ولا تبذل لهم دِينك لتنال من دُنياهم فتصغر في أعينهم ثم تحرم دنياهم ولا تعاديهم بحيث تظهر العداوة فيطول الأمر عليك حتى يذهب دينك ودنياك فإن رأيت منكراً أنكرته حسب الاستطاعة والحال ولا تحقد عليهم ولا تسكن اليهم ولا تطمع أن يكونوا لك في السر كما تراهم في العلانية ، فإنه طمع كاذب ولا تطمع بما في أيديهم تستعمل الذل ولا تنال الغرض ولا تكثر الشكاء عليهم بحالك تعرضاً لعطائهم فيستثقلوك ولا تطاول عليهم بأستغنائك عنهم فإن الله

ملجئك اليهم عقوبة للتكبر فإن سألت احداً حاجة فلم يقضها فلا تعاتبه فإنه يصير عدواً لك يشق عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لم يقبل فإنه يعاديك فليكن وعظك له تعريضاً وارسالاً من غير تنصيص على شخص بعينه فإن أتاك منهم خير فاشكر الله وأن أتاك شر فأستعذ بالله والجأ اليه فإن القلوب بيده ولا تكافىء بالشر فإنه يكون ضرراً وكن سامعاً لحقهم ناطقاً به أصم عن باطلهم صموتاً عن مساويهم واحذر صحبة اكثر الناس فإنه لا خير فيهم ولا يؤمن شرهم ، قال صلى الله عليه وآلـه وسلم « وجدت الناس أخبر تقلة أي اذا اختبرتهم تركتهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم « الناس كابل مائة لا يوجد فيها راحلة » ذكر معنى هذا مولانا المؤيد بالله يحيى ابن حمزة عادت بركاته هذا وأما حقوق الوالدين وحق الولد والزوج والزوجة والجار فقد جمعته في كتاب الرضوان فخذه من هنالك ان شئت وهذا مما ألحق بالموالاة والمعاداة قال الامام عليه السلام (وليس من المعاداة ما جرت به العادة بعروضه بين الاتقياء وكثير من الفضلاء وهي الوحشة[1] وعدم الاختلاط كما كان بين أمير المؤمنين عليه السلام وبعض الصحابة وبين الحسنين وأخيهما محمد وبين الحسن البصري وابن سيرين وغيرهم اذ لا يريد أحدهم نزول ضرر بصاحبه بل عكس ذلك) ، وهو انه يريد له الخير ويكره له الشر (فلا عداوة)

(١) هي الانقطاع وبعد القلوب عن المودات . انتهى مصباح .

حينئذٍ (وإنما ذلك نوع غل يجب) على من وجد فيه شيئاً (مدافعته) لأنه من الجهد الأكبر الموصل من لزمه الدرجات العلى عند الله عز وجل

فصل

قال عليه السلام (الحمية قيل في حقيقتها العزم على نصرة من له بالعازم وجه اختصاص من رحامة أو صلة) أو غير ذلك (قلت والاقرب أن العزم المذكور من توابعها وهي أمر موجود من النفس لا يحتاج الى تحديد بل مثالها ظاهر والمذموم منها ما كان من مبطل) أي حمية من مبطل أي مرتكب لباطل (فلا شكَّ في قبحه ويدل عليه قوله تعالى ﴿**اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية**﴾ قال في الكشاف : الحمية الانفة (فأما ما كان منها من محق) أي من محق يريد انفاذ الحق والقيام عليه (فجائز بل واجب ويدل عليه الخبر) عنه صلى الله عليه وآله وسلم (« المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضاً ») وفي المنذرى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في

حاجته ومن فرج على مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » رواه البخاري ومسلم وأبو داود وزاد فيه العبدري « ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الاقدام الى غير ذلك وفيه في الترهيب من اعانة المبطل من حديث « ومن[1] خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخطا الله حتى ينزع » في رواية « من أعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله حتى ينزع وفي رواية لأبي داود من أعان على خصومه بظلم فقد باء بغضب من الله وعن عبد الرحمن بن مسعود عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « مثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير تردى في بئر فهو ينزع منها بذنبه » رواه أبو داود ومعناه أنه هلك في الاثم كالبعير يهلك في البئر وروى عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من أعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برىء من ذمة الله وذمة رسوله » رواه الطبراني والاصبهاني وروى عن أوس بن شرحبيل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من

(١) صوره عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من حالت شفاعته دون حد من خدود الله فقد صاد الله عز وجل ومن خاصم الى ما هنا وتمامه ومن قال ومؤمن ما ليس فيه اسكنه الله ردعة الخيال حتى يخرج مما قال اخرجه ابو داود والطبراني بأسناد جيد نحوه وردعة الخبال بفتح الخاء المعجمة والياء الموحدة هي عصارة اهل النار انتهى. منذري .

الاسلام » رواه الطبراني (ولا يعد من قسم القبيح الغضب من ذم الاقارب المبطلين بغير ابطالهم من جبن أو نحوه ويدل عليه أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمع من ذم قريشا في منصرفه من بدر الكبرى بالجبن وتهوين أمرهم التفت الى الذام وقال مهلا والله ان أولئك للملأ[1] ولا شك في تحريم قصد اذى المؤمن بسبب مبطلي أقاربه به اذا لا مصلحة في ذلك مع ما فيه من اجتراح المؤمن الاجتراح الذي لا حرج عليه فيه لعدم امكان دفعه) ومن المعلوم عقلاً وشرعاً أن أذية المؤمن بغير حق من أشد الذنوب حتى انه ورد النهي عن ترويعه واخافته فضلاً عن جرح صدره وأذيته بالمباشرة . روي عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « من أخاف مؤمناً كان حقاً على الله ان لا يؤمنه من افزاع يوم القيامة » رواه الطبراني وروي عنه أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة » رواه الطبراني وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر » . رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي . انتهى من كتاب المنذري . وفي ذلك احاديث كثيرة .

---

(١) أي الأشراف انتهى .

فصل

في تحريم المداهنة . وحقيقة (المداهنة هي الاغضاء[1] عن المنكر لئلا يغضب فاعله ولا شك في قبحها لوجوب النهي عن المنكر) قال الله عز وجل « كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » وقال « عز قائلا « ولنكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » الى غير ذلك من الآيات في كتاب الله تعالى . وأما الاخبار فقال في كتاب المنذري عن حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذي وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه ولا يغيرون الا أصابهم الله بعقاب قبل ان يموتوا » رواه أبو داود وروي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يا أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا الله فلا يستجيب

---

(١) اغضى على

لكم وقبل ان تستغفروه فلا يغفر لكم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقاً ولا يقرب أجلا وان الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عموا بالبلاء » رواه الاصبهاني وروى أيضاً الاصبهاني عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل « لا تزال لااله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير » وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « اذا رأيت أمتي تهاب ان تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم » رواه الحاكم . وقال صحيح الاسناد

فصل

في درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اعلم أنهما قطبان من أقطاب الدين وهما المهمان اللذان بعث الله بهما جميع النبيين ولو أهملا لتعطل أمر الدين وباقامتهما يتجدد الدين ويصلح شأن الاسلام والمسلمين وقد تقدم بعض ما ورد من الكتاب والسنة فيهما ومن قام بهما كان خليفة للانبياء

عليهم السلام قال الله تعالى « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتو الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » وفي حديث « ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك(١) فيها بمثل الذي أنتم عليه أجر خمسين منكم قيل بل منهمَ يا رسول الله فقال بل منكم لانكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعوانا » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله لا يعذب الخاصة بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه » وجملة درجاتها ثمان درجات : الاولى التعرف والتجسس فهذا منهى عنه . الدرجة الثانية اذا ظهر المنكر وجب التبليغ بتحريمه والتعريف بوجوبه لمن جهل ما يحرم وما يجب . الدرجة الثالثة الامر والنهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله والوعيد والترغيب بالوعد الواردين في الشريعة الغراء أولا باللين . الدرجة الرابعة ان لم يؤثر ما ذكرناه فيكون بالغلظة والتعنيف من دون فحش في القول . الدرجة الخامسة التغيير باليد ككسرآلات الملاهي واراقة الخمور والاخراج من الدار المغصوبة ونحو ذلك . الدرجة السادسة التهديد والتخويف بالحبس والضرب والقتل كل شيء بمقتضاه . الدرجة السابعة المباشرة بالضرب ونحوه بقدر ما

(١) أي المحافظ على دينه مع مجانبته لأهل المعاصي وعدم رضاه لما يصدر منهم وعدم رد قدرته على ازالة ما يفعلونه وعدم قدرته على الهجرة اذا كانت لهم شوكة والله سبحانه اعلم .

يدفع المنكر لا يتعداه ولا يخشن ان كفى اللين . الدرجة الثامنة اذا كان لا يقدر على دفع المنكر الا بأعوان وقد يؤدي الى القتل والقتال فان المختار ارجاع ذلك الى الامام الاعظم لان أمره اليه لا الى الآحاد من الناس لعدم القدرة على ذلك ولئلا يؤدي الى الكره منه ولكنه يكره ذلك بقلبه وهو معنى قول الامام عليه السلام (فاقله بالقلب وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ألقوا الفساق بوجوه مكفهرة » وهو يدل على أن من سقط عنه وجوب الانكار بالقول والفعل لخلل شرط لا يحسن منه الطلاقة والبشر في حق مرتكب القبيح فان ذلك ادهان محرم لما فيه من ايهام عدم استنكار القبيح) وشروط الامر والنهي اللذين لا يجبان الا بهما أربعة : الاول ان يعلم أن ما أمر به معروف وما نهى عنه منكر . الثاني ان يظن التأثير لأمره ونهيه والا كان مندوبا فقط . الثالث ان يظن تضييق ذلك عليه بحيث ان ترك في ذلك الوقت وقع المنكر ولم يقم بدفعه غيره الرابع ان لا يؤدى الى منكر مثله أو يؤدي الى تلفه أو عضو منه أو تلف مال يجحف به وان لا يكون ذلك المنكر مختلفاً فيه فان كان مختلفاً فيه كان الامر والنهي مندوباً ان لم يكن مذهباً للفاعل ولا يجوز لغير الولي ضرب الصبي ونحوه لكن يزجر بما أمكن وكذلك البهيمة .
فاذا كملت هذه الشروط تحتم الوجوب كما قال الامام عليه السلام (فأما اذا أمكنه الانكار وفعله لم تلزمه بعد ذلك هجرة) فان لم يتمكن وجبت الهجرة لقول الله تعالى « ان

الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين[1] في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا » وقال عز قائلا « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً[2] كثيرا وسعة » وغير ذلك من الآيات . ولقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل وظاهر هذا سواء كان الانتقال كثيراً أو قليلا الى ما يأمن فيه على دينه » وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبراً استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيدخل في هذا من يقوم من مجلس إلى مجلس آخر لما يعرض في الاول من أي محظور » وأما الخواص فقال الامام عليه السلام (والغلظة عليه خاصة مع الاضطرار الى مخالقته كزوجة وخادم فاسقين لاجماع السلف على جواز ذلك مع الانكار حسب الامكان) لان الاحوال تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات ونحو ذلك

(تنبيه * لا بأس باطعام الفاسق وأكل طعامه ونحو ذلك من الاختلاط) مثل النزول عليه وانزاله واعانته وايناسه ومحبته لخصال خير فيه أو لِرَحِمه لا لما هو عليه (مع اظهار كراهة فعله) للمنكر الذي يرتكبه (والقيام بموجب الانكار

(١) اي مقهورين ذليلين في الأرض انتهى مقياس .

(٢) محولاً وملجأ انتهى مقباس .

عليه) حسب الحال مع نظر جلب المصلحة ودفع المفسدة فانها تختلف الاحوال فان كانت تحرك فتنة تتعدى الى الغير أو نقص في الدين فعل ما لا يؤدي الى ذلك وان كانت المضرة على الآمر الناهي فقد تقدم في الشروط فلا يجب بل يندب ، ولقد كانت عادة السلف الصالح التصريح بالانكار من غير مبالاة بهلاك المهَج رغبة فيما عند الله واعزازاً لدينه وعلماً منهم بأن ذلك شهادة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « خير الشهداء حمزة وجعفر ثم رجل قام الى ظالم فأمره ونهاه فقتله على ذلك » وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « أفضل الجهاد كلمة حق بين يدي سلطان جائر » وكم وكم من السلف الصالح بذل نفسه في ذلك في قصص كثيرة ذكرها الامام المؤيد بالله في كتابه التصفية منها حكى الاصمعي قال : دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه أشراف من كل بطن وذلك بمكة وقت الحج في خلافته فقام اليه وأجلسه معه على السرير وقعد معه على السرير وقال له يا أبا محمد ما حاجتك ؟ فقال له : اتق الله في حُرَم الله وحُرم رسوله فتعاهدهما بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والانصار فانك بهم جليس في هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤل عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم . فقال له عبد الملك : أفعلُ ، ثم نهض فقام فقبض عليه عبد الملك فقال يا أبا محمد انما

سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك ؟ فقال : ما لي الى مخلوق حاجةثم خرج فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف . قلت فمثل هذا هو القيام بموجب الانكار فمع ذلك يجوز مخالطتهم (ودليله « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ـ الى قوله ـ أن تبروهم وتقسطوا اليهم ») ومن السنة قول الامام عليه السلام (وفعله صلى الله عليه وآله وسلم في حق الرجل[1] الذي قال فيه حين استأذن له الحاجب « بئس ابن أخي العشيرة هو » ثم اذن له والآن له القول كما روته عائشة) قال في الكشاف في تفسير الآية وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين ويتحاموا ظلمهم مترجمةعن حل مسلم يجتريء على ظلم اخيه المسلم وفي الثمرات انها دلت على جواز الاحسان الى أهل الذمة دون أهل الحرب(وليس من المداهنةتعظيم أهل الشرف من الكفار والفساق رجاء لرجوعهم الىالخير أو لنصرتهم للحق أو لخذلهم الباطل أو نحو ذلك من المصالح الدينية) لان المعتبر جلب المصالح الدينية ودفع المفاسد الردية والاعمال بالنيات (وأفعاله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا القبيل شاهرة ظاهرة مع كثير من رؤساء المشركين) لما ذكر من المصالح التي تزيد في الاسلام والمسلمين واقامة أركان الدين (حتى انتهى ذلك الى أن أفرش رداءه لكثير منهم قيل قدر خمسة نفز) مذكور ذلك في سيرته صلى الله عليه وآله وسلم

(١) وهو عدي بن حاتم الطائي انتهى

(واقعد صلى الله عليه وآله وسلم عدي بن حاتم على مخدته قبل أن يسلم وقال فيه « اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ») هذا اذا كان لمصلحة عامة تحتها الزيادة في دين الله تعالى بأي وجه (فأما تعظيم من تلك صفته لمصلحة تخص المعظم من تحصيل نفع) يخصه (أو دفع ضرر عنه فالأقرب عدم جوازه ودليله) أي دليل عدم الجواز (أول سورة المودة) **﴿يا أيها الذين آنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة﴾** وغيرها من الآيات القرانية والاحاديث النبوية وقد تقدم طرف من ذلك (وهي) أي أول المودة (تقتضي العموم فتدل على قبح تعظيمهم وقصد نفعهم أو دفع الضرر عنهم وغيره من لوازم المودة فلا يقصر) العام على السبب (ومن مستقبحات هذا النوع مواصلة أمراء الجور والمشي اليهم وتعظيمهم وتهنئتهم) لغير مصلحة عامة ظاهرة لأن ذلك يزيد في ما هم فيه وقد ورد النهى عن ذلك (وفي الخبر) عنه صلى الله عليه وآله وسلم (من مشى الى ظالم وهو يعلم أنه ظالم فقد بريء من الاسلام » وغيره من الاخبار المتضمنة للترهيب في هذا المعنى) في كتاب المنذري عن أبي هريرة ؟ قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من بدا جفا ومن تتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن وما ازداد عبد من السلطان قرباً الا ازداد من الله بعداً » رواه أحمد باسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح وفي حديث عن النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وآله وسلم « ألا انها ستكون

بعدي امراء يظلمون ويكذبون فمن صدقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس مني ولا أنا منه ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه » رواه أحمد وعن عبد الله بن خباب عن أبيه رضي الله عنهما قال : كنا قعودا على باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج الينا فقال « اسمعوا ، قلنا قد سمعنا قال : اسمعوا ، قلنا قد سمعنا قال : انه سيكون بعدي امراء فلا تصدقوهم بكذبهم ولا تعينوهم على ظلمهم فان من صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم لم يرد على الحوض » رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان اناساً من امتي سيتفقهون في الدين يقرءون القرآن يقولون نأتي الامراء فنصيب من دنياهم ونعتزلهم بديننا ولا يكون ذلك كما لا يجتنى من القتاد الا الشوك كذلك لا يجتنى من قربهم الا » قال ابن الصلاح : كانه يعني الخطايا رواه ابن ماجه ورواته ثقات وقد تقدم شيء من هذا . وعلى الجملة ان في ذلك خطرا عظيما على من لم يثق من نفسه باصلاح النية وحسن الطوية كالسلف الصالح وأما هم فقال عليه السلام (ولا يعترض بمواصلة بعض السلف الصالح لمن تلك حاله كالحسن السبط لمعاوية وزين العابدين لعبد الملك بن مروان وكثير من العلماء الراشدين فمن بحث السير والتواريخ تيقن أنهم ما واصلوهم بتعظيم) قط فيه تحريم (بان يتجرد قصدهم لزيارة أو لتهنئة أو لوداع أو

نحو ذلك) مما يكون محظورا عليهم (وانما كان ذلك منهم اما لطلب حاجة خاصة) ضرورية يتكلفون بها مع العزم على انفاذ ما يجب عليهم مما يقدرون عليه من الامر والنهي (أو لاجابة داع وطلب فاذا ظهر خطاب في امر من الامور أظهروا الاستخفاف الكلي بأمرآء الجور ، ومنه القصة(١) المشهورة للحسن عليه السلام مع معاوية واخيه عتبة وعمرو بن العاص ومن حضرهم فان الحسن اظهر من الاستخفاف بهم

(١) وهي ان معاوية حضر عنده من ذكره الامام عليه السلام واجتمعوا على ان يرسلوا رسولاً للحسن عليه السلام فأرسل له معاوية قال قام معاوية خطيباً فحمد الله واثنى عليه وافاد في خطبته انه ما دعاه وان الداعي له اصحابه ليعلموه ان عثمان قتل مظلوماً وأن له ان يجيب عليهم بعد ان يسمع منهم فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه ثم عير الحسن بكل قبيح وان عليا شتم ابا بكر وشارك في دم عثمان واخبر انه انما دعوه لسبّه وسبّ أباه وانه واباه من شر الخلايق ثم تكلم عتبة ونسب قتل عثمان الى بني هاشم وان الرأي قتل الحسّن ثم تكلم الوليد واخبر ان أول من حسد عثمان بني هاشم ثم تكلم المغيرة فكان كلامه وقوعاً في علي عليه السلام وتزكية لعثمان ومعاوية لم تكلم الحسن عليه السلام وكان مضمون كلامه عليه السلام ان اقسم له بالله ان الساب له ولأبيه معاوية ليس غيره وان العداوة منه ظاهرة قديمة وحديثه وان علياً صلى الى القبلتين ومعاوية كافر بالكل وبايع البيعتين ومعاوية واحدهما كافر وبالأخرى ناكث وان معاوية مذكور من الشارع بشر لعن ودعا عليه وعلي بخير ثم تكلم عن عمرو بن العاص واخبره انه ابن زانية وانه كان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم تكلم في الوليد واخبره ان السبّ في نقض علي جلده له الحد وتمثل ابان مسخراً وانه فاش ثم تكلم تكلم في عتبة واخبره ان وجوده كعدمه وما هو إلا كأمه ولو صدق في تهدده لقبل الذي وجده على فراشه ثم تكلم في المغيرة

والتوبيخ لهم ما اظهر وغير ذلك من مقاماته عليه السلام) منها ما ذكر في تفريج الكروب قال : تفاخرت قريش عند معاوية والحسن بن على رضوان الله عليه عنده لا ينطق فقال له معاوية ما يمنعك من الكلام يا أبا محمد فماأنت مابون[1] الحسب[2] فقال والله ما ذكروا مكرمة ولا فضيلة الا ولي نخبتها ولبابها

فيما المراء وقد سبقت مبرزا سبق الجواد الى المدى المتبين

وثمة مقامات اخر (نعم أما اتيانهم لمجرد وعظ أو تذكير أو أمر بمعروف أونحوه فلا اشكال في حسنه فانه صلى الله عليه وآله وسلم أتى ابا جهل الى داره ليأمره بايفاء غريمه) وهو رجل يقال له الاراشي كان يطلب أبا جهل ابن هشام لعنه الله بدين كان له ولم يقدر عليه واشتغل عنه وجلس بشرب فقال بعض المستهزئين : مَن تطلب ؟ فقال عمرو بن هشام يعني أبا جهل ولي عنده دين . فقالوا : أندلك على من يستخرج لك حقك ؟ قال : نعم ، فدلوه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان ابو جهل يقول : ليت لمحمد الي حاجة فاسخر به وأرده فأتى الرجل الى النبي صلى الله عليه وآله

(١) فمثل حاله كحال البعوضة مع النخلة ووصفه وقبح الحال انتهى من شرح ابن أبي الحديد بأخمصه .

(٢) أي ناقصة

وسلم فقال : يا محمد بلغنى أن بينك وبين أبي الحكم حسباً وأنا أستشفع بك اليه فأتاه فقال له قم فاذ الرجل حقه فقام مسرعا حتى أدى اليه حقه فلما رجع الى مجلسه قال له بعض أصحابه كل ذلك فرقا ؟ قال ويحكم أعذورني انه لما أقبل الي رأيت عن يمينه رجالا بأبديهم حراب تتلألأ وعن يساره ثعبانين تصطك اسنانهما وتلمع النيران من عينيهما ـ فلو امتنعت لم آمن أن يبعجوا[1] بالحراب بطني ويبتلعني الثعبان (وحسن هذا النوع مشروط بان يعلم قصده بان لا يظن به ارادة تعظيم الظالم فان خشي عروض هذا الظن ترك ذلك لمعارضة المفسدة المصلحة) . ومن القواعد الاصولية ترجيح ترك المفسدة على فعل المصلحة

(تنبيه لو أن الظالم وصل الى الفاضل أو العالم تعظيما له فلا بأس بالقيام له تعظيما وتلقيه مكافأة له على معروفه) . اذ في ذلك ارشاد للدين ورفع لاهله الصالحين وهو معنى قوله عليه السلام (أو لمصلحة دينية كاستدعائه بذلك الى تعظيم الفضلاء ورفع شأنهم وعدم تنفيره عنهم) هذا (ما لم تعارض المصلحة مفسدة راجحة أو مساوية) فلا يجوز ذلك التعظيم مع حصول المفسدة لما قدمناه من وجوب ترك المفسدة ولو وجدت المصلحةلمعارضة المفسدة لها (وليس له) أي الفاضل (أن يكافيه بوصول منزله) أي منزل الظالم (المعظم)

(١) بعج بطنه شقه بالسكين انتهى مختار .

للظالم(وفي الاولى) وهي وصول الظالم الى منزل الفاضل (هو) أي الفاضل (المعظم) فافترقا (وان قابل بنوع تعظيم) فانه لمصلحة عارية عن المفسدة بخلاف الحالة الثانية وهي وصول الفاضل الى منزل الظالم فالمفسدة في ذلك تعظيم الظالم فلا يجوز (وقد كره المؤيد بالله عليه السلام اكل طعامهم وقبول عطاياهم لانه يورث محبتهم) كما قيل جبلت [1] القلوب على حب من أحسن اليها تهادوا تحابوا (وهي) في هذا الحال (محرمة قيل فإن أحسنوا الى احد لم يجب عليه من شكرهم إلا الاعتراف بأنهم أنعموا عليه مع يسير تعظيم لا يظهر به اجلال كقيام من وصلوا اليه في وجوههم فانه لا أثر له في جنب وصولهم اليه) أي الى الفاضل (لا كالوصول الى منازلهم لقصد نوع تعظيم كتهنئة فتجليلهم في ذلك ظاهر) فيحرم (واما اطعامهم وانزالهم فتفضل واحسان لا تعظيم فلا يحرم) لتعريه عن المفسدة وهي تعظيم الظالم الموجب للتحريم (فائدة) جليلة (من لم يتمكن من الاقامة في ديارهم الا بفعل ما لا يحل له من تعظيمهم ومواصلتهم لزمت الهجرة) عن ديارهم (فانها تلزم من تعذرت عليه الاقامة الا مع فعل قبيح) . وقد تقدم الاستدلال على وجوب الهجرة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مزيد : قال في الكشاف في

(١) تمامه وبغض من اساء اليها اخرجه ابن عدي في الكامل وابو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب .

تفسير قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة الآية : وهذا دليل على أن الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن من اقامة أمر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن أمر الدين لا تنحصر أو علم انه في غير بلده أقوم بحق الله تعالى وأدوم على العبادة حق عليه المهاجرة . قلت ومن الادلة قوله تعالى « يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فاياي فاعبدون » وقوله تعالى « فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم » الآية . واعلم أنها تجب الهجرة عن دار الحرب ودار الفسق الا لمصلحة عامة زائدة على مصلحة الهجرة لا مثلها ولا دونها في أمر الدين كالارشاد للضال وتعليم الجهال ونحو ذلك مع تحتمه عليه وعدم من يقوم به ، وتتضيق الهجرة بطلب الامام فلم تحل الاقامة بعده ولو لمصلحة الا باذنه أو لعذر ظاهر من حبس أو مرض أو خوف سبيل أو خشية أخذ مال مجحف قال الله تعالى « الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان » الآية (نكتة من البدع المحدثة) وهي داخلة (في المداهنة) وهي (التعبد لغير الله في المحاورة) أي المراجعة في الكلام (و) كذا (المكاتبة) بان يزيد في مدح المكتوب اليه الى ما لا يليق ويكثر التذلل له الى ما لا يحسن (ولم يكن ذلك معروفاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعهد أصحابه بل صفة مكاتبتهم أن يقولوا بعد البسملة) في أول الكتاب (من فلان ابن فلان الى فلان سلام عليك فاني أحمد الله اليك واعرفك بكذا ويؤخذ قبح ذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من

ملك عبداً أو امة فلا يقل عبدي ولا امتي وليقل فتاي أو فتاتي فان العبيد عباد الله والإماء اماء الله » أو كما قال) صلى الله عليه وآله وسلم قلت فان خشي الفاعل لذلك التهمة بالرياء فعل ما يتعارف به من دون مبالغة في المدح والتذلل وذلك يختلف باختلاف الإحوال والاشخاص وجلب المصالح الدينية ودفع المفاسد . والله أعلم . (ومنها الدعاء لاهل الدول بتخليد الملك) والبقاء له (في المحاورة والمكاتبة اذ فيه طلب ما أخبر الله بان لا يكون) أي التخليد والبقاء في هذه الدنيا وكم وردة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم « من وصف الدنيا بسرعة تقلبها وتقضيها وفنائها فكيف طلب ما لا يكون هذا على جهة الكراهة » (وأما اذا كان المدعو له ظالما فمحرم للخبر من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه) فكأنه دعا ببقاء العصيان لله تعالى (ففيه تصريح بعدم جواز الدعاء للظالم بالبقاء فكيف بالتخليد ، وأما الدعاء بالبقاء للمحق فحسن) لأنه يتضمن بقاء الحق والعدل. وهي من طاعة الله تعالى (وكذا استعمال الألقاب. المعتادة في المكاتبة) والمحاورة (كشمس الدين ونحوه) عز الدين شرف الدين جمال الاسلام وغير ذلك (فإنه لا بأس به وان كان مبتدعاً لجريه مجرى اسماء الاعلام المتضمنة تشريفاً كصالح وفاضل) قلت ولان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو أصحابه بأحب الاسماء اليهم وهو من حسن الاخلاق الموجبة

للالفة والمحبة (وكذا لا بأس بلفظ سيدي ومولاي لكن في حق من ظاهره الصلاح لظهور ذلك في الصدر الاول) واستعمالهم له (وأما الاوصاف المستعملة في المكاتبة) والمحاورة في الكلام (كالافضل والاكمل فحسنها وقبحها باعتبار صدقها وكذبها) فتختلف باختلاف الاشخاص والاحوال

فصل

عظيم في ذم (حب الدنيا) والدليل على ذمها من كتاب الله تعالى قوله « وما هذه الحياة الدنيا الا لعب ولهو » وقال « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينه وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والأولاد » وقال عز قائلاً « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض » الخ وقال « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » وقال « من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب » الى غير ذلك . ومن السنة (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من كانت الدنيا أكبر همه فرق الله تعالى عليه أمره وجعل فقره بين عينيه

ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة[1] » ومن دعائه صلى الله عليه وآله وسلم « .ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ[2] علينا ») وقد تقدم في المكاثرة أحاديث نبوية في ذم الدنيا فارجع له تفضلا وهذا مزيد في موضعه حكى المنذري في كتابه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « من أشرب قلبه حب الدنيا التاط منها بثلاث : شقاء لا ينفذ عناه ، وحرص لا يبلغ ، وأمل لا يبلغ منتهاه ، فالدنيا طالبة ومطلوبة فمن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يدركه الموت فيأخذه ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه » رواه الطبراني باسناد حسن وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها » رواه ابو الشيخ في الثواب . وروي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه تعالى ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما يشكو

---

(١) اي منقادة له . انتهى .

(٢) بحيث تكون جميع معلومات الطريق المحصلة للدنيا والعلوم الجالية لها بل ارزقنا علم طريق الآخرة انتهى من فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد عبد الرؤف المناوي .

الله تعالى ومن تضعضع لغني لينال مما في يده اسخط الله عز وجل ومن أعطي القرآن فنسيه فدخل النار أبعده الله»رواه الطبراني في الصغير . وفي خبر[1] عن زيد بن ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «.انه من تكن الدنيا نيته يجعل الله فقره بين عينيه ويشتت عليه ضيعته ولا يأتيه منها الا ما كتب له ومن تكن الآخرة نيته يجعل الله غناه في قلبه ويكفيه ضيعته وتأتيه الدنيا وهي راغمة » رواه ابن ماجه وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « انما اهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم » رواه البزار باسناد جيد وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اطلعت في الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء والنساء » رواه احمد باسناد جيد وعن ابي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان مما اخاف عليكم ما يفتح الله عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » رواه البخاري ومسلم في حديث وعن ابي هريرة قال كنت امشى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نخل لبعض اهل المدينة فقال « يا أبا هريرة هلك المكثرون

(١) صدره عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله من سمع مغالتي حتى بلغها غيره ثلاث لا يغل عليهن قلب امرء مسلم اخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم فإن دعائهم يحيط من ورائهم ان من تكن الدنيا الحر للفعلة .

الامن قال هكذا وهكذا وهكذا ثلاث مرات حثأبكفيه عن يمينه وعن يساره ومن بين يديه وقليل ما هم » الحديث رواه احمد ورواته ثقات وابن ماجه بنحوه وعن عائشة قالت ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه البخاري ومسلم وروى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من سأل عني او سره أن ينظر الي فلينظر الى اشعث شاحب (١) مشمر لم يضع لبنة على لبنة قصبة على قصبة وضع له علم فشمر اليه ، اليوم المضمار وغدا السباق والغاية الجنة أو النار » رواه الطبراني في الاوسط وعن عائشة قالت توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير رواه البخاري ومسلم والترمذى وعن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجوع ورفعنا ثيابنا عن حجر حجر على بطوننا فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حجرين رواه الترمذى وعن ابن عباس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وجبريل عليه السلام على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أمسى لآل محمد سفة (٢) من دقيق ولا كف من سويق فلم يكن كلامه

---

(١) شحب لونه كجمع ونصر وكرم تغير في مغر الى أو جوع أو سفر انتهى . قاموس .

(٢) اي ليس معه من الدقيق ما يلت به ماءه انتهى .

بأسرع من أن سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر الله القيامة أن تقوم ؟ قال لاولكن أمر اسرافيل فنزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزائن الارض وأمرني أن أعرض عليك أن أسير معك جبال تهامه زبرجدا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبياً مَلِكا وان شئت نبياً عبداً وأومأ اليه جبريل ان تواضع فقال بل نبيا عبداً ثلاثا » رواه الطبراني باسناد حسن والبيهقي وابن حبان في صحيحه مختصراً وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق على قطيفة من سندس » رواه ابن حبان في صحيحه وعن علي أمير المؤمنين رضوان الله عليه قال : خرجت في غداة شاتية وقد أوبقني البرد فأخذت ثوبا من صوف كان عندنا ثم أدخلته في عنقي وحزمته على صدري أستدفيء به والله ما في بيتي شيء آكل منه ولو كان في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيء لبلغني فخرجت في بعض نواحي المدينة فانطلقت الى يهودي في حائط فاطلعهت عليه من ثغرة (١) في جداره فقال مالك يا أعرابي هل لك في دلو بتمرة قلت نعم افتح لي الحائط ففتح لي فدخلت فجعلت أنزع الدلوويعطيني تمرة حتى ملأت كفي قلت حسبي منك الآن فاكلتهن ثم جرعت من الماء ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) والثغرة المثلمة انتهى مختار

وسلم فجلست اليه في المسجد وهو مع عصابة من اصحابه فطلع علينا مصعب بن عمير في بردة له مرقوعة بفروة وكان انعم غلام بمكة وارفهه عيشا فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر ما كان فيه من النعيم ورأى حالته التى هو عليها فذرفت عيناه فبكى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أنتم اليوم خير ام أذاغدى على أحدكم بجفنة من خبز ولحم وريح عليه باخرى وغدا في حله وراح في اخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة ؟ قلنا بل نحن يومئذ خير نتفرغ للعبادة قال بل أنتم اليوم خير » رواه أبو يعلى ورواه الترمذي من طريقين مختصرا . وعن عامر بن عبدالله أن سلمان الخير رضي الله عنه حين حضره الموت عرفوا منه بعض الجزع فقالوا : ما يجزعك يا أبا عبد الله وقد كانت لك سابقه في الخير شهدت مع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم مغازي حسنة وفتوحاً عظاما قال : يجزعني أن حبيبنا صلى الله عليه وآله وسلم حين فارقنا عهد الينا قال « ليكفي المرء منكم كزاد الراكب » فهذا الذي اجزعني فجمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر درهما رواه ابن حبان في صحيحه وفي كتاب التصفية للامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « حب الدنيا مهلكة للدين » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ليجيء أقوام يوم

القيامة أعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقالوا يا رسول الله مصلين ؟ قال : نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « احذروا الدنيا فانها أسحر من هاروت وماروت » وروى أنه خرج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوما على أصحابه فقال « هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا ألا أنه من رغب في الدنيا وطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية ألا انه سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى ألا فمن أدرك ذلك منكم فصبر للفقر وهو يقدر على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله تعالى أعطاه الله ثواب خمسين صديقا » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا » فنهى عن ذكرها فضلا عن اصابة عينها وقال صلى الله عليه وآله وسلم « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له وعليها يعادي من لا دين له وعليها يحاسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له » وقال صلى الله عليه وآله وسلم «من[1] أصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله ، وألزم قلبه

---

(١) اخرجه الديلمي عن ابي عمر

اربع خصال : هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يفرغ منه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الا اريك الدنيا جميعا يا أبا هريرة ؟ قال قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي الى مزبلة فيها رؤوس وعذرة وخرق وعظام ، ثم قال : يا أبا هريرة ، هذه الرؤوس كانت تحرص كحرصكم وتؤمل آمالكم ثم هي عظام بلا جلد ثم هي صائرة رمادا ، وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها فقذفوها من بطونهم فأصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فأصبحت الأرياح تصفقها وهذه العظام دوابهم التي كانوا ينتجعون عليها أطراف البلاد فمن كان باكياً على الدنيا فليبك » قال : فمابرحنا حتى اشتد بكاؤنا وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لو تعلمون[1] ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولتركتم الدنيا » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لتأتينكم دنيا تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب » وقيل لعيسى عليه السلام : علمنا عملاً واحداً يحبنا الله عليه ؟ قال : ابغضوا الدنيا يحبكم الله . وقال أيضاً: يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا أبر . (فينبغي معرفة ماهيتها المذمومة ليتجنب محبتها . اعلم أن الدنيا عبارة

(١) اخرجه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة عن انس بلفظه من دون قوله ولتركتم الدنيا انتهى

عن كل ما يشغل عن الله قبل الموت فكل ما فيه حظ وعرض ونصيب وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا وليس كل ذلك مذموما بل المذموم المنهي عن محبته . هو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة له في الآخرة كالتلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة والحاجة الداخلة في جملة الرفاهية والرعونة (١) كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والمواشي والقصور والدور ورقيق الثياب ولذائذ الاطعمة فحظ العبد من هذا كله هو الدنيا المذمومة هكذا ذكره الغزالي وهو كلام قوي فانه وان كان كثير مما ذكره مباحا الا أن محبته والحرص عليه يقوم الى المعاصي ويغفل عن ذكر الله والدار الآخرة ويجر الى كل شر دنيء ، وقد ورد بتقرير ما ذكره أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من قضى نهمته من الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة ومن مد عينه الى زينة المترفين كان مهيناً في ملكوت السموات والارض ومن صبر على القوت الشديد صبراً جميلا أسكنه الله من الفردوس حيث شاء » رواه الطبراني) قلت : والذي ظهر لي من مضمون ما ورد به الكتاب والسنة أن العمدة النية من الفاعل بنفس الفعل الذي يفعله فان قصد به وجه الله تعالى مما يقوي أمر الدين فلا يدخل في الدنيا المذمومة وان كان فعله

---

(١) الرعونة الحقم والاسترخاء واسترخى الشيء وتراخى السّماء امطر انتهى . المختار فالرعونة هي الحماقة والحماقة فساد العقل انتهى مصباح .

في هذه الدار العاجلة التي هي مزرعة الآخرة وما خلا عن هذه النية فهو دنيا مذمومة اما معصية يجب تركها أو غير معصية مندوب تركها لقول الامام عليه السلام (وقوله صلى الله عليه واله وسلم « لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً الا نقص من درجاته عند الله وان كان كريماً ») فدل على ما ذكر (وتلخيص ما ذكره في التكملة أن الدنيا المنهي عن حبها هي الشرف والمال المطلوبان للمكاثرة والمباهاة والعلو على من لم يحصل له) مثل ذلك (لا لمصلحة دينية ودليله) من كتاب الله تعالى قوله (« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً والعاقبة للمتقين » و) من السنة النبوية (قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأكثر فساداً من حب الشرف والمال في دين الرجل المسلم ») دل ذلك على ما ذكره عليه السلام (وليس من المنهي عنه محبة جمع المال لتحصيل الكفاية) اذا صدقت النية في ذلك لأن النفس تميل الى التكاثر فتسول للانسان مع الشيطان والغرور أن ذلك للكفاية وليس الا للتكاثر فليحذر من ذلك من أراد الجمع ويذكر أن قول الله تعالى « الذى جمع مالا وعدده » وارد في صفة الذم والوعيد والعمدة النية وتختلف النية باختلاف الاحوال والاشخاص والتكليفات فالامام الاعظم القائم بأمر الامة يحتاج مالا يحتاجه غيره من الاعتداد ولما يزيد في الاسلام والمسلمين ثم كل بقدر حاجته (ولا محبة حفظ المال من دار وعقار وذهب وفضة ونحو ذلك

والاحتراز عليها من الاضاعة) لان اضاعة المال في غير منفعة يعد من السرف فيكون الحفظ عن ذلك واجب وعدم الحفظ قبيح عقلا وشرعا (ولا محبة التلذذ بالمباحات من مطعم ومشرب وملبس ومركب ومنكح وبنيان) بلا تطاول ولا مباهاة ولا لهو عن الواجب من الطاعات (فليس شيء من ذلك بخطأ لقوله تعالى « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده » الآية) فدلت على الحل مهما تجردت عن ما يحرم وكل ذلك مرجعه الى النية فانها هي العمدة في كل عمل (وكذلك ما كان مما ذكر لطلب تجمل في الناس فلا بأس به ومعنى التجمل حصول جمال يحترن به من حصل له عن حظ مرتبته) اللائقة به (و) دفع (الاستخفاف به المخالف لما يستحقه في ظاهر حاله فبهذا التفسير والتقرير الاخير يتيسر الامر في مجانبة الدنيا المذمومة واطراحها على من له أدنى مسكة) في عقله ودينه وايمانه لانه لم يبق الا ما هو قبيح عقلا وشرعا (فان طلب الشرف والمال للعلو لا يكثر وقوعه من أهل قوة الايمان) وقد لا يكون منهم ذلك على جهة القصد والتعمد (انما يقصده ويتعمده المجترئون المتمردون الغافلون عن الله بالكلية) وسبب ذلك في الغالب الجهل والاقبال على الدنيا قبل التيقظ لما يجب في أول النشأة من معرفة الله تعالى وعظمته والعلم بشريعته والعمل بما علمه اذ قد يأنس العالم بعلمه حتى يصير ألذ الاشياء عنده من جميع الملاذ الدنيوية كلها وهذا مراد الله تعالى من عبده في هذه الدنيا فهذا السبب هو الداء العضال

الذي هلك به كثير من الناس خلف عن سلف فليحذر منه غاية الحذر وليعلم كل عاقل آن اصلاح النشأة بازالة الجهل عنها أجل الاعمال وأهمها بلا اشكال (فان قيل ما معنى كون حب الدنيا رأس كل خطيئة فان معرفة ذلك غير متضحة) اتضاحاً كلياً (قلت بل اذا تأملت ووفيت النظر حقه وجدت الخلائق الذميمة والافعال القبيحة أكثرها بل كلها عن حب الدنيا والفتنة بها) أي البخل (فان ذلك داعية الانسان الى العصيان والظلم والعدوان والله المستعان) ومن كلام عيسى صلوات الله وسلامه عليه : من خبث الدنيا ان الله ما عصي الا فيها وان من خبث الدنيا أن الاخرة لا تدرك الا بتركها ، ألا فاعبروها ولا تعمروها واعلموا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا ورب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلا أو قال أيضا : الدنيا طالبة ومطلوبة فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه فيها وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذه بعنقه . وقال الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض اليه من الدنيا فانه منذ خلقها لم ينظر اليها » (فان قيل الضرورة ملجئة الى الدنيا والاشتغال بها وقد ورد فيها هذا الخبر وأمثاله فكيف السبيل الى الخلاص . قلت قد ذكر بعض الصالحين أن الخلاص من هذه الورطة) الورطة من الارض ما لا طريق فيها فكل مشكلة يعسر التخلص منها شبهت بها والتخلص من هذه (بأن يعرف العبد أن شرها متشعب من ثلاثة أمور)

أولها (حب المال) وهو الحرص عليه والبخل به عن الانفاق فيما شرع الانفاق فيه من واجب ومندوب (و) الثاني (حب الجاه) وهو أعظم من طلب المال لان الجاه طلب ملك قلوب الناس ليستعمل أربابها فيما يريد فان كان المراد تحصيل الدنيا فانه من المحظورات المهلكة وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وإن كان المراد لامر الدين فهو من أعظم القرب الى الله تعالى (و) الثالث (حب الشهوات) فانه مهلك لا محالة واللائق بالعبد في ذلك أن يسلك الطريق المحمودة (فأما المال فيأخذ منه قدر كفايته) كقدر القوت من الطعام والقميص من الأثواب الذي يستر به عورته وجوباً وبدنه لما يجب ويسن ستره حال الصلاة ويقى عن ضرر الحر والبرد وكل ما لا بد للانسان منه ليتأتى له البقاء والصحة التي يتوصل بها الى ما يجب عليه من العلم والعمل فما هذا حاله وكان القصد به وجه الله فانه من أعمال الآخرة (وأما الجاه فيترك المحافظة عليه واللهج[1] به الا ما كان منه لأجل الدين وفي نقصه نقص له) أي للدين فان طلب الجاه لأجله محمود كأن يكون قصد طالبه ليسمع منه الوعظ والنصيحة وتعليم معالم الدين الواجبة والمندوبة وما يحرم ويحل واذا ترك المحافظة عليه لم يظفر بذلك الامر الديني لكنه يحتاج هذا الى جهاد النفس في اخلاص النية لئلا يشوبها أمر دنيوي لان النفس غرور مائلة الى الدنيا فقد يغتر أولاً أنه لاجل الدين ثم ينقلب لأجل

١) لهج بالشيء لهجاً من باب تعب أولع به انتهى مصباح .

الدنيا فليس الا الاستعانة بالله تعالى على خلوص العمل ليكون موصلا الى رضاه (وأما الشهوات ففي الحلال غنية عن غيره فيقتصر منه على قدر الضرورة) وهي تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان وقد جعل الله للعبد العقل والشرع يدلانه على الصواب أو يردانه عن ما لا يحسن فلا يطلب الزيادة على ما لا بد منه ليهون عليه الامر ويظفر بالفوز بالسعادة في الدارين بعون الله تعالى (وعلى العبد مجاهدة النفس وليس له مع ذلك الا اعانة الله ومادته) أي امداده وهو الزيادة في الهدى كما قال تعالى « والذين اهتدوا زادهم هدى » (ولطفه ورحمته) ولا يحصل ذلك الا مع الاقبال على الله بأداء ما أوجب والانتهاء عما نهى عنه ومما أوجب الله مجاهدة النفس عما لا يجوز مما تقدم ويأتي وليس على العبد غير ذلك

فصل

ومما يجب اجتنابه (محبة الجاه و) محبة (الشهرة) المحرمة (وهي نوع خاص من محبة الدنيا) المذمومة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (دعا الى افرادها بالذكر مسيس الحاجة الى التحرز عنها ومعنى الجاه) وحقيقته (ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها) لمن له الجاه (ليستعمل) طالب الجاه (اربابها) اي

أرباب القلوب (في اغراضه ومآربه) وغباً منهم لا رهباً منه لان صاحب الجاه يطلب أن يسترق الاحرار ويستعبدهم طوعاً لان القلوب تابعة للاعتقادات الواقعه فيها لصاحب الجاه من فضل أو علم أو كمال أو غير ذلك والعبرة بحصول الاعتقاد وان لم يكن مطابقاً للواقع فاذا وقع الاعتقاد ملك صاحب الجاه قلب المعتقد فيه طوعاً فعلمنا أن معنى الجاه قيام المنزلة في القلوب لاعتقاد صفة من صفات الكمال وبقدر الاعتقاد في صاحب الجاه تذعن له القلوب ويملكها طوعاً فهذه حقيقته (وأصل الجاه انتشار الصيت وحصول الشهرة وهما مذمومان) قال الله تعالى « تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً » فجمع بين ارادة العلو والفساد وبين أن الدار الآخرة للخالى عن الارادتين وقال تعالى « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها » الى قوله « وباطل ما كانوا يعملون » وهذا متناول بعمومه لقبح حب الجاه ومن السنة النبوية قول الامام عليه السلام (وكفى في ذمهما ما رواه أنس « حسب امرىء من الشر الا من عصمة الله أن يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ») وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام « انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثناء » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » وقد ذكره ذكر الحسن البصري رضي الله عنه تأويلا حسناً للحديث الذي ذكره الامام عليه السلام لما قيل

له يا أبا سعيد ان الناس اذا رأوك أشاروا اليك بالاصابع قال انه لم يعن هذا انما عني به المبتدع في دينه الفاسق في دنياه قال الامام المؤيد بالله يحي بن حمزة وأقول لقد أصاب فيما ذكره فان الرسول صلى الله عليه واله وسلم والائمة من بعده كانوا يشار اليهم بالاصابع ولكن لما كانوا أئمة الحق وهداة الدين وسالكين طريق الآخرة وفي الانوار المضيئة للامام يحي عليه السلام. وقال صلى الله عليه وآله وسلم «لا يستكمل عبد الايمان بالله تعالى حتى يكون لا يُعْرفُ أحب اليه من أن يُعْرف وحتى يكون قلة الشيء أحب اليه من كثرته» (وعن علي عليه السلام تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر تعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الكفار) وصدق صلى الله عليه وآله وسلم فان مع الخمول تزكو الاعمال ويلتفت الانسان الى اصلاح أمر الآخرة الذي هو العمدة (وذم الشهرة مدح للخمول وتنبيه على فضله ويدل عليه ماروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم رُب أشعث أغبر ذى طمرين[1] لا يؤبه له لو أقسم على الله لابره) تمامه منهم البراء بن مالك وفي حديث آخر «رب أشعث ذى طمرين لو قال أسألك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا» (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم «ان من أمتي من لو أتى أحدكم يسأله ديناراً لم يعطه إياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأله فلساً لم يعطه اياه ولو سأل الله تبارك وتعالى الجنة

---

(١) الطمر الثوب الخلق والجمع اطمار مثل سبب واشبان انتهى مصباح .

لأعطاه إياها ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ، وما منعه إياها لهوانه عليه) بل[1] لكرامته عليه(وكفى بهذا الحديث مزهدا في حب الجاه ومرغباً في مجانبته وكفى في هذا الترفيب عنه بما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم (حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أدلكم[2] على أهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره وأهل النار كل متكبر جواظ » وهو الذي جمع ومنع وقيل هو كثير اللحم المختال في مشيته ، وقيل الأكول ، وقيل الفاجر ذكره في الضياء وقال أبو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « ان أهل الجنة كل أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له اذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذنوا وان خطبوا النساء لم ينكحوا واذا قالوا لم يعث لقولهم حوائج أحدهم تتجلجل في صدره لو قُسِم نوره على الناس يوم القيامة لوسعهم » وروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «ان(٣) الله يحب الأخفياء الأتقياء الذين اذا غابوا لم يفقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى

(١) قوله بالكرامة عليه هذا من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم وليس هو من كلام الشارح واما اثابه تتمة للخبر وهو بكماله في التصفية للامام يحيى وحمزة عليه السلام انتهى والحديث اخرجه هناد عن سالم ابن ابي الجعد مرسلاً .

(٢) اخرجه احمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجة عن حارثة بن وهب .

(٣) اخرجه الطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك وعن معاد ولفظه ان البشير من الرياء شرك وان من عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة وان يحب الابرار الاخفياء الخبر بلفظه .

ينجون من كل فتنة غبراً مظلمة . وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان[1] أغبط أوليائي عندي عبد مؤمن خفيف المؤنة خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة أحسن عبادة ربة وأطاعه في السر وكان غامضاً في الناس لا يشار اليه ،الأصابع فمن صبر على ذلك » ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وقال : « عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه » وهذا كله ذماً لطلب الشهرة ومحبتها فأما وجودها من جهة الله تعالى من غير تكلف من جهة العبد ولا عناية فليس مذموماً وذلك كشهرة الانبياء والائمة وفضلاء أهل العلم والزهد ، ولذا قال عليه السلام :

(تنبيه) اعلم ان الجاه في الحقيقة وسيلة الى الأغراض ووصلة اليها وما كان وسيلة فحسنه وقبحه بحسب المتوسل اليه فإن كان المقصود من الجاه التوصل الى أمر ديني كأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ما لا بد في المعاش منه لم تقبح محبته وان كان الغرض غير ذلك فقبيح التعرض له والسعي له كما تقدم) وعلاج حب الجاه المذموم من طريقين علمي وعملي فيعلم أولا طالبه الآفات الطارئة عليه والاخطار الحاصلة فيه بالنظر الى أهل الجاه في الدنيا فان كل صاحب جاه محسود مقصود بكل أذية خائف على تغي جاهه محترز عن تغير منزلته في القلوب فانها

(١) اخرجه ابو داود الطيالسي واحمد والترمذي قالوا حسن والطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب وسعيد بن منصور عن ابي امامة .

أشد تغيراً من القدر في غليانه مترددة بين الاقبال والادبار والقبول والاعراض لا تثبت بحال قط كما لا يثبت البناء على الأمواج في البحار اذ قلوب الخلق بيد الله يقلبها كيف شاء ، فيعلم هذا من ضعفت بصيرته وهو العلاج من طريق العلم ، وأما من قويت بصيرته وايمانه فانه لا يلتفت الى الدنيا ولا يعرج على شيء منها . وأما العملي فأولا العزلة عن الناس حتى لا يشتهر وأن يلابس أفعالا تقطع رغبة الناس عن الوصول اليه ليستريح عن المجاهدة للنفس ويقبل على ما ينفعه بعد الموت فيفوز بغاية المطلوبات وهو الرضوان من الله تعالى كما قال تعالى : « ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم »

فصل

وأما (حب المدح وكراهة الذم ، وهما نوعان من جنس محبة الدنيا خصا بالذكر لنحو ما تقدم) وهو مسيس الحاجة الى التحرز عنهما (واعلم أن هلاك أكثر الناس لخوف مذمة الناس ورجاء امتداحهم بأن جعلوا حركاتهم وسكناتهم على حسب ما يوافق رضا الناس ويستجلب ثناءهم طلباً للمدح وهرباً من الذم ، وذلك من المهلكات فنعوذ بالله من سلب توفيقه) والذم

هو الغيبة والوقيعة والمدح هو الثناء ولذلك آفات فآفات المادح أربع : الأولى أنه ربما يفرط في المدح فينتهي الى الكذب . الآفة الثانية أنه يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمراً له فيكون مرائياً منافقاً . الثالثة أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه . الرابعة أنه قد يمدح الممدوح وهو ظالم أو فاسق فذلك غير جائز . قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : « ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق . وأما آفات الممدوح فهي آفتان : الاولى أنه يحدث فيه كبراً وعجبا وهما مهلكتان . الثانية أنه اذا أثنى عليه بالخير فرح به ورضي وفتر من نفسه وقل تشميره لأنه لا يشمر الا من رأى نفسه مقصراً ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم للمادح « قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما أفلح » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اذا مدحت أخاك في وجهه فكانما أمررت على حلقه الموسى » وقال أيضاً لمن مدح رجلا « عقرت الرجل عقرك الله » وقال أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم « لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف لكان خيراً له من ان يثنى عليه في وجهه » وهذا كله لان المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان كالذبح فان سلم المادح والممدوح عن هذه الآفات لم يكن به بأس ولهذا فان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أثنى على نفسه بقوله « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » أي ليس افتخاراً كما يفعله الناس لان افتخاره انما هو لقربه من الله وقوله « أنا أول شافع وأول مشفع وأول من تنشق عنه الارض » وقال في أمير المؤمنين علي عليه السلام أقوالا كثيرة في مناقبه وفضائله

(وينبغي معالجة النفس لتزول منها هذه الخليقة الذميمة كان يستحضر الممدوح ان الذي مدح به ان كان من صفات الكمال الدنيوية فهو كالفرح بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما[1] وان كان من الصفة الدينية فذلك مما لا ينبغي الفرح به لان الخاتمة غير معلومة وخطرها[2] باق ففي الخوف من أمرها ما يشغل عن الفرح بكل ما في الدنيا) فانتفاء الفرح عن أي الصفتين الدينية والدنيوية فلا ينبغي الفرح بشيء من المدح حتى ان بعض الفضلاء وكاملي العقول يستأذون منه وهو المحسوس لان أقل أحواله يوجب مجاهدة النفس عن ما يحدث فيها تلك الحال (وعلى كل حال فالمادح ان صدق فلا وجه للفرح بمدحه بل بالصفة التي مدح لأجلها وهي من فضل الله عليك) فيكون لك عجب أو كبر بسببها ولم تكن الا من الله فكيف[3] عصيانه بما تفضل به عليك فان عصيان المنعم بسبب نعمته من أفحش العصيان وان كان هذا يصدق على كل معصية لان نعمة الله لا تفارق العبد البتة (وان كذب فينبغي ان يعمك ذلك ولا تفرح به وأما المذموم فليعالج نفسه باستحضار أن من ذمه لا يخلو من ثلاثة أوجه : أحدها الصدق وقصد النصح فينبغي شكره وتقلد منته والفرح بقوله) اذ هو فعل ما يجب عليه من النصيحة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « الدين النصيحة الدين النصيحة الدين

---

(١) الهشيم النبات اليابس ولا يقال له هشيم وهو رطب انتهى مصباح .

(٢) الخطر الأشراف على الهلاك وخوف التلف انتهى . مصباح .

(٣) هنا حذف تقديره فكيف يصدر منك عصيانه انتهى .

النصيحة فقيل يا رسول الله لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين » وفي حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم « قال الله تعالى أحب ما تعبد به عبدي النصح » وعن جرير بن عبد الله قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فاشترط على النصح لكل مسلم وفي آداب الاخوة ويديم نصيحته . قال ميمون بن مهران لبعض اخوانه : قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره ذكر ذلك في الارشاد (فان من يهدي عيوبك اليك فقد أرشدك من الهلكة لتتقيها الثاني) من الأوجه التي لا يخلو منها الذام (الصدق وقصد الايذاء والتعنيت[1]) فاذا قصد الذام لك ذلك (فينبغي) لك (ان تحضر خاطرك انك قد انتفعت بقوله اذ أرشدك الى عيبك ان كنت جاهلا له وأذكرك اياه ان كنت غافلا عنه وقبحه في عينك تقبيحاً يبعث حرصك على ازالته ان كنت قد استحسنته وكل ذلك من أسباب السعادة وقد استفدته منه وما صفتك) معه (الا صفة رجل أراد الدخول على ملك وفي ثوبه عذرة فقيل له أيها المتلوث بالعذرة طهر ثوبك عنها فتلك غنيمة في حقه اذ ربما لو دخل على الملك وحالته تلك لم يأمن أن يسلبه حياته) وهذا مثال في الشاهد ضربه الامام عليه السلام لمن ينبهك على عيبك فانه أحسن اليك في الحقيقة وان ذمك بذلك في الظاهر (فأما قصد الذام هذا الايذاء والتعنت فجنايته منه على

(١) العنت الخطأ وهو مصدر باب تعب والعنت المشقة يقال اكمةٌ عنوت اي شاقة . انتهى . مصباح .

نفسه في دينه لا عليك فلا تغضب عليه) لانه أحسن اليك في الحقيقة وضر نفسه (الثالث) من الاوجه التي لا يخلو منها الذام لك (أن يكون مفترياً عليك وأنت بريء مما عابك به فلا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه) فتفتح بابا لا يكون فيه الا مشقة عليك دنيا وأخرى (و) لكن (انظر في ثلاث جهات احداها انك ان خلوت من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله فاشكر الله سبحانه) على تنبيهك على أمثاله (اذ لم يطلعه على عيوبك بل دفعه عنك فاشتغل بذكر ما أنت بريء منه) لتحذر منه (الثانية) من الجهات التي تنظر اليها (ان الذي صار منه من مكفرات ذنوبك ومساويك[1] فكأنه بذمه لك يطهرك من ذنوب تلوثت بها اذ كل مغتاب لك مهدٍ حسناته اليك) فأي فائدة لك تلقاها مثل هذه الفائدة لأنه لا يعتمد بما كان في الدنيا فلا عَيْش إلاّ عَيْش الآخرة (وكل مادح لك قاطع ظهرك فما شأنك تفرح بقطع ظهرك ، وتغتم بهدايا الحسنات المقربة الى الله تعالى وأنت تزعم أنك تحب القرب منه) وأي هدية أجل قدراً وأعظم من هذه الهدية المقربة الى الله تعالى في وقت الضرورة الى ذلك . قال في كتاب المنذري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ، ولا متاع فقال : ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكوة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيعطي

(١) هي نقايصه ومعايبه انتهى . مصباح .

هذا من حسناته ، وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » . رواه مسلم والترمذي وغيرهما . دل ذلك على ما ذكره عليه السلام . (الثالثة) من الجهات التي تنظر اليها (ان ذلك الذامّ المسكين قد جنى على دينه حتى سقطت منزلته عند الله وهلك بافترائه وتعرض للعقاب فلا تجمع عليه الى غضب الله غضبك فتشتد شماتة[1] الشيطان به) وليس لك فائدة في ذلك (بل قل اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ضربه قومه « اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » وكما دعا ابراهيم بن أدهم لمن شجه بالمغفرة ، وقال اللهم اعلم اني مأجور بسببه فلا أرضى أن يكون هو معاقباً بسببي هكذا ذكره علماء الطريقة) قال الله تعالى في ذلك **﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ؛ والله يحب المحسنين﴾** (قلت الترقي الى هذه الدرجة من خواص افراد أولياء الله وقلّ من ينتهي به حظه الى هذا المقام) الارفع الذي يبلغ به العبد الى الفوز الاكبر من رضاء الله تعالى (لكن على العبد استفراغ الوسع في التخلق بأخلاق الصالحين) في جميع أخلاقهم (ولا يمنعه العجز عن بلوغ الدرجة القصوى عن الترقي الى الدرجة الوسطى) أي العليا لأن الوسط الخيار . قال الله تعالى **﴿أمة وسط﴾** أي العليا لأن أي خيارا (والله الموفق والمعين) ويمكن أن مراد الامام عليه السلام ان العبد اذا لم يمكنه بلوغ الدرجة العليا

(١) الشماتة والفرح بالمصيبة . انتهى . مصباح .

وهي الاحسان الى من أساء اليه بذم أو نحوه فلا يمنعه العجز عن الترقي الى الدرجة الوسطى وهي العفو من حيث أن ترتيبها في الآية فوق كظم الغيظ ودون الاحسان ولعله مراده هنا . ويكون مراده بالوسطى هنا من التوسط بين الشيئين لا من الوسط الخيار والله أعلم . وقد تقدم شيء مما ورد في العفو وكفى بقول الله تعالى ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾ والحديث الوارد عن الحسين عليه السلام : اذا كان يوم القيامة جمع الله الخلائق في صعيد واحد حيث ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي فيقوم منادٍ من له على الله أجر ويد عنده فليقم فلا يقوم الا من عفا . وفي رواية أنس : اذا وقف العباد نادى مناد ليقم من له أجر على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذي أجره على الله قال : العافون عن الناس . قال : فقام كذا وكذا الفا فدخلوها بغير حساب ومن المعلوم أن من أحسن وأعظم أجراً ممن عفا ؟

فصل

ومن الخلائق المذمومة (الجبن وهو نوع خاص من جنس محبة الدنيا لان الحامل عليه الاخلاد اليها) ومحبة البقاء فيها (وعدم السمحان[1] بها وأفرد بالذكر لما تقدم) وهو مسيس

(١) سمح بكذا يسمح بفتحتين سموحا وسماحاً وسماحة جاد واعطاء أو وافق على ما لا بد منه . انتهى مصباح .

الحاجة الى التحرز عنه لوجوبه . وحقيقته وحده (وهو البخل بالنفس، ولا شك في تحريمه حيث يجب بذلها في طلب عدو مدافعته لقوله تعالى ﴿ومن يولهم يومئذٍ دبره﴾وقوله تعالى﴿كتب عليكم القتال﴾ ونحو ذلك من أدلةالجهاد و(ما جاء في الكتاب والسنة من أدلة وجوبه وتحريم الجبن معروفةمقررةفي مواضعها) من ذلك قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾وتحريم الجبن معروفةمقررةفي مواضعها من ذلك قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾وقوله﴿ واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾الآيات وقوله عز قائلاً ﴿انفروا خفافاً وثقالاً.وجاهدوا بأموالكم و أنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وقوله تعالى : ﴿قل إن كان آبائكم وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارةتخشون كسادها ومساكن ترضونها احسن اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله﴾وكم وكم من آية وخبر في الجهاد في سبيل الله . ومن السنة قال في الشفاء خبر وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم« الجهاد واجب عليكم مع كل أمير بر وفاجر »دل على ذلك وجوب الجهاد وهو معلوم من الدين ضرورة ودل أنه فرض كفاية قوله عز من قائل ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم﴾ الآية. وخبر وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث الى بني لحيان وقال « يخرج من كل رجلين رجل ثم قال للقاعدين أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج »

خبر . وما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من جهز غازياً فقد غزا » خبر وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « والذي بعثني بالحق نبياً لوددت ان أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحي فأقتل » ثلاثا . وكان أبو هريرة يقول ثلاثا أشهد يعني أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك . وغزا صلى الله عليه وآله وسلم سبعاً وعشرين غزوة وبعث خمسا وثلاثين سرية » خبر وروى الهادي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ان الله بعثني بالرحمة واللحمة ـ وهي القرابة وسمع الملحمة ـ وجعل رزقي في ظل رمحي ولم يجعلني حراثا ولا تاجرا الا ان من شر عباد الله الحراثين والتجار الا من أعطى الحق وأخذ الحق » خبر قال الهادي عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ما اغبرت قدم في سبيل الله فطعمته النار » خبر . وروى الهادي باسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لنومة في سبيل الله خير من عبادة ستين سنة في أهلك تقوم ليلك لا تفتر وتصوم نهارك لا تفطر » وفي حواشي الشفاء : من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من لم يغز أو يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « مثل أعمال البر مع الجهاد كمثل المجة الواحدة في البحر اللجي » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم

« اذا رجف قلب المؤمن في سبيل الله تحاتّت عنه خطاياه كما يتحاتّ عذق النخلة » وفي حديث معاذ رضي الله عنه أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم « ان رأس هذا الامر ان تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن قوام هذا الأمر إقام الصلاة وايتاء الزكاة وان ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله انما أمرت ان أقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » . وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ذروة سنام الاسلام الجهاد لا يناله الا أفضلهم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « جاهدوا في سبيل الله فان الجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة » وفي ذلك أحاديث أخر ذكرتها في كتاب الرضوان في كتاب السير (فان قيل ما تقول في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « الجبن والجرأة غريزتان يضعهما الله حيث يشاء فان الغرائز لا مدخل لها في حل ولا حرمة » قلت المدح والذم والتحريم متعلقة بالممكن المتوقف على الاختيار) الذي يتعلق به التكليف (وهو الاقدام والفرار) من الزحف على شروطه كما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز (ولا اشكال في تسميتهما شجاعة وجبنا في لغة العرب) كما لا يخفى (وقد حمل الخبر ان المراد بالجبن والجرأة فيه سببهما تجوزا) من باب تسمية السبب باسم المسبب (والا فهما حقيقة الاقدام ونقيضه) وبهذا يزول الاشكال

وأما الدليل على وجوب الإقدام حين وجوبه فانّ الادلة في

وجوب الجهاد هي الادلة عليه . وأما تحريم الفرار من الزحف فانه قد عد من الكبائر . قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً[1] فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ وفي كتاب عبدالعظيم المنذري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكلُ الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وروي عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » رواه الطبراني في الكبير وعن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب الى اهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات فذكر فيه « وان أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير حق والفرار في سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمي المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل ما اليتيم » الحديث رواه ابن حبان في صحيحه وفي ذلك أخبار كثيرة ومن أدعية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الصباح والمساء « اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الجبن

---

(١) زحف اليه شيء وبابه صح ويرجف اليه مشى انتهى . مختار .

والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » رواه في العدة

فصل

ومما يجب مجاهدة النفس عنه لانه من المهالك (البخل)[1] هو (عبارة عن شدة حب المال الحاملة على منعه وان وجب بذله وهو في التحقيق نفس المنع وانما الحب سببه كما تقدم في الجبن) قال الامام المؤيد بالله في التصفية ما معناه قيل : حد البخل هو منع الواجب وليس هذا بكاف فانه من رد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقص حبة خردل فانه بخيل بالاتفاق وكذا ما أشبه ذلك والصحيح أن البخيل من منع من بذل واجب الشرع أو واجب المروءة والسخي عكسه ، فواجب الشرع هو الزكاة . قلت وكذا الفطرة والكفارات ان وجبت وقضاء الدين وما يجب من الانفاق على النفس ومن تجب نفقته وواجب المروءة منع ما يجب من المضايف مكافأة أو كان في البوادي والوبر والاستقصاء في المحقرات فمن كثر ماله فانه يستقبح منه الملاحقة في الدانق وقد قال الله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم﴾ قال عز من قائل ﴿الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل﴾ وقال تعالى ﴿ومن يوق﴾

(١) البخل في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل يفضل عنده انتهى . مصباح .

شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « اياكم واشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » . رواه مسلم ، والشح هو مجموع البخل والحرص وقيل الحرص على ما ليس عندك والبخل بما عندك »وقال صلى الله عليه وآله وسلم « اياكم والشح فانه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة » وفي رواية « ولا ختار ولا منان » الخب بفتح الخاء المعجمة وبكسرها هو الفاجر المكار وقيل الخداع الخبيث . قالت امرأة في زوجها :

من يشتري مني شيخاً خبا
اخب من ضب يباهي ضبا

وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ثلاث مهلكات : شح مطاع وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله يبغض ثلاثة : الشيخ الزاني ، والبخيل المنان ، والفقير المختال » . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثوبيهما الى تراقيهما . فأما المنفق فلا ينفق شيئاً الا سبغت أو وفرت على جلده حتى يختفي ثيابه . وأما البخيل فلا يريد أن ينفق الا

قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أعلا تراقيه فهو يوسعها ولا تتسع » وقال صلى الله عليهوآله وسلم « خطتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق رواه الترمذي وغيره عن ابي سعيد الخدري . وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم أنه قال : « السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل »رواه الترمذي وفي حديث عن أبي هريرةرضي الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من الجواد ومن البخيل ؟ قال : الجواد من جادبحقوق الله في ماله والبخيل من منع حقوق الله وبخل على ربه وليس الجواد من أخذ حراماً وأنفق إسرافاً » . رواه الاصبهاني وعن الحسن رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أراد الله بقوم خيراً أولى أمرهم الحكماء ، وجعل المال عند السمحاء ، واذا أراد الله بقوم شراً أولى أمرهم السفهاء وجعل المال عند البخلاء » . رواه أبو داود في مراسيله . وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « السخاء خلق الله الاعظم . رواه أبو الشيخ بن حبان (وقد ذمه الله بقوله ﴿الذين يبخلون يأمرون الناس بالبخل﴾ فاقتضى قبحه وقال « فانما يبخل عن نفسه » والمنع المذموم منع المال عما يجب صرفه فيه من أداء حق) وقد تقدم شرح الحقوق اللازمة

شرعاً ومروءة (أو تحصيل نفع أو دفع ضرر أو ذم ، وكفى في البعث على اجتنابه والترغيب في تركه بقوله تعالى في غير موضع ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وما في هذه الآية الكريمة المكررة من أنواع التأكيد لفلاح من وقى من الشح على ما يعرفه من له مسكة[1] بعلم البلاغة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « اتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يجتمع شح وايمان في قلب مؤمن » رواه النسائي وغيره) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « شر[2] ما في الرجل شح هالع وجبن خالع » رواه الامام المؤيد بالله في تصفيته . وفيها وعن ابن عباس قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجود من جود الله فجودوا يجد الله لكم إلا ان الله تعالى خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعسه اسه أي أساسه راسخاً في اصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغضن من أغصانها أدخله الجنة إلا ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل أسه راسخاً في أصل شجرة الزقوم ودلى بأغصانها الى الدنيا فمن تعلق بغضن منها أدخله النار . إلا ان البخل من الكفر والكفر في النار » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « السخاء

---

(١) وليس لامره مشكلة الحاصل يعول عليه وليس عليه مشكلة أي عقله وليس به مشكلة اي فوه انتهى . مصباح .

(٢) اخرجه البخاري في تاريخه وابو داود عن ابي هريرة بلفظه .

شجرة في الجنة فلا يلج الجنة إلا السخي والبخل شجرة في النار فلا يلج النار إلا بخيل .» .

فصل

(والتقتير نوع من البخل) وحدُّه (هو ان ينفق من المال دون الكفاية مع سعته لما يكفي وقد ذمه الله تعالى بقوله سبحانه ﴿**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**﴾ فان سياق الآية قاض بقبح التقتير وقبح الاسراف والتبذير أيضاً وهما صرف المال فيما ليس فيه نفع ولا دفع ضرر عن نفس أو مال أو عرض قال تعالى : ﴿ **ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** ﴾ ومن السرف المذموم صرف المال لمجرد الثناء ومما (يدل على قبحه قوله تعالى ﴿ **الذي ينفق ماله رئاء الناس**﴾ وأيضاً :) فإن السرف والتبذير في الشرع أضاعة المال أو صرفه في وجه قبيح) .

تنبيه في علاج البخل واعلم أن علاجه يكون بأمرين : وهما العلم والعمل . فالعلمي معرفة آفة البخل وفائدة الجود وذلك من ثلاث جهات : الأولى ان يكثر التأمل

لأحوال البخلاء وما يحصل من نفار الطباع عنهم واستقباحه لهم لان كل بخيل يستقبح البخل من غيره ويستثقله لا محالة فبذلك يعلم قبح ما هو فيه . الثانية ان يخدع نفسه في البذل للاشتهار لتسمح[1] بذلك ثم يعالج الرياء وينظر ماورد في السخاء وحسنه . الثالثة بأن يعلم مقاصد المال ولماذا فائدته فلا يحفظ الا قدر حاجته والباقي يبذله ليحصل له ثواب بذله من الله تعالى . العلاج الثاني العملي ، فسبب البخل انما هو حب المال وسببه حب الشهوات التي لا يصل اليها الا به مع طول الامل أو ليخلفه لولده ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم « الولد مجبنة مبخلة » ومن المعلوم أن أزمة الامور كلها بيد الله تعالى فما أمله فقد لا يصل اليه وماله ذلك معرض للذهاب والآفات لا سيما مع ما ورد أن الله تعالى يبعث مناديا في كل يوم يقول : اللهم ارزق كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا أو كما قيل وان ولده ان كان في علم الله كثير الرزق فانه يأتيه بلا كلفة وان لم فلا ينفعه ما خلفه له فكم من وارث لا ينفعه ما ورثه بالمشاهدة . الثاني ان يحب عين المال فذلك داء يكون في بعض الناس فيشح ببذل ما يجب عليه وما ينفعه وان كان في أموال كثيرة وليس الا لمحبة عين الدينار والدرهم ونحوهما لا سيما مع كبر السن فان علاجه عسر فعلاج طول الامل بتكرير ذكر الموت وفجأته وموت أقرانه وأحبابه وما

(١) اي تجود انتهى مختار .

نفعهم تعبهم في جمع الدنيا بل صاروا بعد موتهم مسؤلين عنه معاقبين على ما كان من غير حل ويعالج قلبه أيضاً بالاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله سبحانه على البخل وعقاب من منع ما يجب عليه اخراجه من ماله . ومما حكى من عجائب البخلاء . فمن أعجب ذلك أن رجلا بالبصرة بخيلا وكان موسرا فدعاه يوما بعض جيرانه وقدم اليه طباهجه وهو نوع من أنواع الطبائخ فأكل منها وأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوى فلما جهده الأمر وصف حاله لطبيب فقال له : لا بأس عليك تقيأ ما أكلت . فقال : هاه . أتقيأ طباهجة بيض ؟ أموت ولا أتقيأ طباهجة بيض . فمات . وعلى الجملة فلا داء أدوى من البخل في الدنيا والدين

(تنبيه قد يتوهم من لا تأمل له أن التقتير المذموم نوع من الزهد وليس كما ظن فان التقتير داعية حب الدنيا والحرص عليها والزهد تركها . ورفضها فهما ضدان في الحقيقة) اذ الموجب للتقتير هنا شدة محبة المال وكيف يكون مثل ذلك عن الزهد فان الزهد ترك الدنيا بغضاً لها ومحبة للآخرة

فصـــل

ومن المذمومات التي تجب المجاهدة للنفس عنه (الفرح) وحده (هو سرور تقترن به أفعال طرب يظهره) صاحبه عند حدوثه فيه وليس كله مذموماً (و) انما (المذموم ما كان مقترناً بمحظور) كالفرح بالدنيا الشاغلة عن الله تعالى (ودليل تحريمه أن الله لا يحب الفرحين ونحوها) كقوله تعالى ﴿**ولا تفرحوا بما اتاكم**﴾ وغير ذلك قال في الكشاف وقول القائل :

ولست بمفراح اذا الدهر سرني

وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن اليها . وأما من قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن قريب لم تحدثه نفسه بالفرح وما أحسن ما قال القائل :

أشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

(فائدة* اعلم أن الافعال التي تقترن بالسرور فيكون مجموعها فرحا) فلا تخلو (ان كانت محظورة لم يحل النظر اليها مطلقا) ومنه ما قال الله تعالى ﴿**ومن الناس من يشتري لهو**

الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ قال في الشفاء نزلت في شراء القينات للغناء وهن الاماء المغنيات قال في هامشه : قال الهادي عليه السلام لهو الحديث الغناء والملاهي من شطرنج ونرد ووتر يطرب به أو شيء من الملاهي التي حرم الله على عباده . ومعنى يشتري يختار ويؤثر هذا اللهو على غيره من الخير الذي هو عبادة الله تعالى وطاعته واتباع مرضاته وفي الشفاء خبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « لكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نعمة لهو ولعب ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة » خبر : وعنه صلى الله عليه وآله وسلم بئس البيت بيت لا يعرف الا بالغناء » خبر : وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « لست من الددولا الددمني » أي اللهو اللعب . خبر وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ما أنا الدد ولا الددمني » قال دل ذلك على أنه لا يجوز اظهار شيء من الملاهي عند النكاح ولا يجوز ضرب الدف والطنبور فيه ولا الرباب ولا الغناء . وهذا اجماع العترة عليهم السلام فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم « شيدوا بالنكاح واضربوا عليه بالدفوف والغرابيل واجعلوه في المساجد » فمن الائمة من حمله على المجاز في عدم الاخفاء فيشاع ويشهر كما يقال طبل بهذا الامر أي اشاعه . وهذا قول الهادي عليه السلام والناصر عليه السلام ومنهم من حمله على الضرب بالدف لا على شكل المغنين وأهل اللهووالطرب وانه مستحب وهذا قول المؤيد بالله وطوع قال المنصور بالله وضرب الدبادب المطرب

للعب بالسلاح جائز ولا يجوز ذلك في المعاصي ذكره في الشفاء . وفي هامشه وأما الرقص والتصفيق فمحرم لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « الرقص ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من رقص من أمتي من الرجال أو النساء قل دينه وعقله » وقوله « من صفق بيده فكأنما خرب مسجد مكة » الخ وأما قول الاشعار ونحوها اذا لم يكن فيها محظور فجائز لعدم الانكار على ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والائمة عليهم السلام (واذا كانت مباحة كاللعب بالخيل فهي اما فرح محظور فتبيحة للآية) المتقدم ذكرها (ولا يحل النظر اليها لقبحها) ولعل ذلك كالنظر الى ما يفتخر به الكفار والفساق والظلمة من زينة الدنيا والتباهي بها وما أشبه ذلك قال الله تعالى **﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياةالدنيا لنفتنهم فيه﴾** الآية (وأما فرح لموجب مباح أو مندوب أو نعمة حصلت فلا اثم فيها ولا في النظر اليها ومن هذا القبيل التدفيف المباح في الاعياد والعرسات) وفي قوله عليه السلام المباح يحترز مما تقدم ذكره مما يشبهه أفعال أهل اللهووالطرب المحرم فما لم يكن كذلك فلا بأس به (والذي يعتاد من اللعب بالخيل وشبهه لنصر المحقين) قلت واذا كان في ذلك إرهاب على العدو وزيادة في النصر فان هذا من المشروع فعله لقوله تعالى **﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾**الآية ونحوها (وقد روي عن عدة من الصحابة ان الرجل منهم كان

يحجل(١) عند حصول مسرة ببشرى تبلغه وهو نوع لعب عند فرح وينبه على جوازه قوله تعالى ﴿ويومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله ﴾ قوله عليه السلام يحجل أصله مشى المقيد وهو وثب واهتزاز ولعله أراد ما روى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضوان الله عليه « أنت مني وأنا منك » فحجل وقال لزيد « أنت أخونا ومولانا » فحجل وكذلك حجل جعفر لما قضا له بابنة حمزة وهذا ليس من الرقص المحرم إن صحت الرواية عنهم وكذلك اللعب بالسلاح تأهبا للكفاح(٢) وتدربا(٣) على استعمال السلاح في حرب أعداء الله والجهاد في سبيل الله وتمرينا على الكر وعدم الفر والطعن والضرب وكذلك التبختر بين الصفين كما فعله أبو دجانة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن هذه لمشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموطن » أو كما قال وفي كتاب ابن حجر الهيتمي عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب الا ملاعبة الرجل امرأته وتأديب الرجل فرسه » الحديث رواه النسائي وفي رواية « اللهو في ثلاث تأديب فرسك ورميك بقوسك وملاعبتك أهلك » وعن عائشة قالت

(١) الحجل ان يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح وقد يكون بالرجلين إلا أنه قفز وقيل احجل مشي المقيد انتهى . تهامة .

(٢) اي المباشرة .

(٣) درب الرجل درباً فهو درب من بـاب تعب والاسم الدربـة وهي الضراوة والجراة . انتهى . مصباح.

سابقت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقته فسبقني فقال هذه بتلك رواه الشافعي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والبيهقي من حديث هشام بن عروة عن أبيهَ عن عائشة

فصل

(والجزع هو الغم الذي يقترن به فعل كخمش وَجه وشق جيب وكسر سلاح وعقر بهيمة ورفع صوت وهو محرم وتحريمه ظاهر والنهي عنه متكاثر و لا ريب في حظره وهذا حيث كان على مصيبة دنيوية حادثة من فعل الله سبحانه وكذا ما كان من جهة غيره تعالى) قال الله تعالى **﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾** قال في الكشاف المصيبة في الارض نحو الجدب وافات الزرع والثمار وفي الانفس نحو الأدواء والموت قال ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال « لكيلا تأسوا » يعني أنكم إذا علمتم أن كل شيء مقدر مكتوب عند الله قلَّ أساكم على الفايت وفرحكم

بالاتي لان من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم[1] جزعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل اليه فان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله . قال في الثمرات : وثمرة هذه الآية لزوم الصبر على المصايب فلا تحزن على فائت ولا تفرح بحاصل وقبح الاختيال والافتخار والبخل بالواجب والامر بالبخل بذلك . وفي عين المعاني ليس أحد الا وهو يفرح ويحزن ولكن ينبغي أن يكون الفرح شكراً باعطائه لا بطراً والحزن صبراً على قضائه لا ضجراً إنما يدم من الحزن الضجر والجزع ومن الفرح الاشر والبطر وأيضا فان الفائت لا يتلافى بالْعَبْرَة والآتي لا يستدام بالجرة .[2] وعن قتيبة بن سعيد دخلت على بعض أحياء العرب فاذا أنا بفضاء مملوء من الابل الميتة بحيث لا تحصى ورأيت شخصاً على تل بالقرب وهَوُ الكثيب من الرمل يغزل صوفا فسألته فقال كانت باسمي فارتجعها من أعطاها وأنشأ يقول :

والذي أنا عبد من خلايقه
والمرء في الدهر نصب الرزء والمحن
ما سرني أن أبلي في مباركها
وما جرى من قضاء الله لم يكن

(١) وتفاقم الأمر عظم انتهى . مختار .

(٢) وجرت الشيء جراً من باب قتل زينته وفرحته انتهى . مصباح .

ومن كلام الصادق رضي الله عنه : يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود ولا يرد اليك ومالك تفرح بموجود ولا يترك في يديك وفي شمس الأخبار قال وبالاسناد الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « صوتان ملعونان فاجران في الدنيا والآخرة صوت رنة عند مصيبة وشق جيب وخمش وجه ورنة الشيطان وصوت عند نعمة صوت لهو ومزامير شيطان » وباسناده الى علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ليس منا من حلق ولا من سلق[1] ولا من خرق ولا من دعا بالويل والثبور » وباسناده الى عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما قيل له وقد بكى على ابنه ابراهيم : أتبكي وأنت تنهى عن البكاء ؟ قال « اني لم أنه عن البكاء ولكني نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ومزامير شيطان وصوت عند مصيبة لطم وجه وشق جيوب وهذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم » وفي رواية أنه قال « تدمع[2] العين ويحزن القلب ولا تقول ما يسخط الرب لولا أنه وعد صادق وموعد جامع وان الآخر تابع على الأثر الأول لوجدنا عليك يا ابراهيم أفضل ما وجدنا وانا بك يا ابراهيم لمحزونون » وباسناده الى النبي صلى

---

(١) وسلقه بلسانه خاطبه بما يكره انتهى . مصباح .

(٢) اخرجه احمد ومسلم وأبو داود عن انس مع حذف بشير واخرجه ابن ماجة عن اسماء بنت يزيد بكماله .

الله عليه وآله وسلم أنه قال « النياحة[1] من عمل الجاهلية » هذا وليس المشروع الا ما قال الله تعالى ﴿**الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنالله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ ؛ فأما الجزع لمصيبة دينية كمعصية يكتسبها أو فاحشة يرتكبها فالأقرب جوازه اذ لم ينكر صلى الله عليه وآله وسلم على من أتى يحثو التراب على رأسه لمواقعة زوجته في نهار رمضان) وكذلك ما حكاه الله تعالى في كتابه العزيز عن رسله صلوات الله وسلامه عليهم من آدم ونوح وداود وسليمان وغيرهم كما هو مذكور في كتب التفسير .

---

(١) اخرجه مسلم وابن ماجة عن ابي مالك الأشعري .

الفصل الثاني

(مما يليق بالعبد ملازمته من الطرائق القويمه وامعان النظر في تحصيله واستفراغ الوسع في التخلق به من الخلائق الحميدة المنجية) هذا الفصل الذي وعد به الامام رضوان الله عليه في أول الكتاب . والطرائق جمع طريقة وهي ما يلازمه العبد من الافعال والاقوال والقويمة صفة لها بالاستقامة . والامعان هو التحقيق . والمراد بالنظر هنا القلبى ، واستفراغ الوسع كناية عن ابلاغ الجهد في الرياضة والتمرن للافعال الحميدة لتكون بها سعادة الدارين (والذي نذكره منها) أي من الخلائق الحميدة (ثمانية عشر خلقا) تأتى فصولا ان شاء الله تعالى

فصل

والأول منها (النية) وهي القصد والارادة بالقلب لفعل الشيء من الأعمال وهي العمدة في جميع العبادات فلا تصح الا بها قال الله تعالى ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له

الدين حنفاء﴾ أي مائلين عن كل دين الا دين الاسلام (قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « الاعمال بالنيات » الخبر رواه البخاري ومسلم . وقال صلى الله عليه وآله وسلم « يبعث الناس على نياتهم » رواه ابن ماجه) قال في الشفاء خبر ، وعن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « لا قول الا بعمل ولا قول ولا عمل الا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية الا باصابة السنة » وفي كتاب المنذري « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . وعن أبي هريرة « ان الله لا ينظر الى أجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » رواه مسلم . وعن ابن عباس أن رسول الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك في كتابه فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هو همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة زاد في رواية أو محاها لعله والله أعلم اذا فعل شيئا من المكفرات من التوبة و نحوها ولا يهلك على الله الا هالك » . رواه البخاري ومسلم . وعن أبي

الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « من أتى فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه » رواه النسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه (فينبغي ان يضمر العبد في قلبه ويستحضر في ذهنه ما مؤدّاه وحاصله) ان يقول (اللهم ما أتيته من كل فعل) يعني من طاعة الله تعالى (وتجنبته منه) أي من ما نهى الله عنه (فان ذلك) أي اتيان الفعل وتجنبه (لكل وجه حسن تريده على الوجه الذي تريده) يعنى أن (الواجب) أفعله (لوجوبه و) أفعل (المندوب لندبه و) أفعل (المباح لما يقترن به) من النيةّ التى أحررها (مما يصيره) أي المباح (قربة) بسبب النية اذ بها تصير الاعمال كلها طاعة (واجتناب القبيح لقبحه) حيث نهى الله تعالى عنه فصار محلا لسخطهٔ فكان قبيحاً (وترك المكروه لكراهته) أي لكراهة الله سبحانه لفعله (وما أمكنه من الاستكثار من النيات) الصالحات (في) كل (فعل) يفعله (أو ترك) يتركه (فهو أولى) وذلك (كالجلوس في المسجد مثلا) فان فاعله (ينوي به القربة) وهي خمس (لفضل) اللبث في (المسجد) هذه الاولى من القرب (و) الثانية (الاقتداء بالصالحين و) الثالثة (انتظار الصلاة و) الرابعة (سماع العلم) أو قراءته (و) الخامسة (الاعتكاف) ان كان مذهبه (على رأي) من يقول يصح الاعتكاف من غير صوم فهذه خمس قرب اذا نواها العبد عند

جلوسه في المسجد كتبها الله تعالى له كلها من جوده وفضله (كالاكل والشرب ينوي أن ذلك) لخمس قرب الأولى (لدفع الضرر عن النفس و) ثانيها (الاستعانة على الطاعة) لانه لا يمكن فعلها بدونه كما قال الله تعالى ﴿وما جعلناهم جسداً لا يألكون الطعام﴾ لكنه ينبغي تخفيفه لئلا يثقل عن ذهنه الطاعة اذ هي المقصودة (و) ثالثها (لقرع النفس عما لا يجوز) من الاخلال بما يجب من سد الرمق وما لا يتم الواجب الا به مما لا يمكن اقامة العبادة الواجبة الا به (و) رابعها (اظهار نعمة الله تعالى) على عبده لقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ولما رواه في الشفاء خبر ، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله اذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثر نعمته » وفي خبر أن الله اذا أنعم على ٧
العبد نعمة أحب أن ترى عليه (و) خامسها (اتباع السنة) التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « والانبياء من قبله صلوات الله وسلامه عليهم » فانهم كانوا يأكلون الطعام وقد تعالى ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين﴾ و قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون﴾ ومن المشروع التسمية عند الاكل والشرب لما رواه ابن حبان في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله عليه فان نسي في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره » ورواه أبو داود أيضاً هذا مع أن الله سبحانه قال ولا تأكلوا مما

لم يذكر اسم الله عليه مع قوله ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ وان كان المذكور عند الذبح فانه يشرع أيضا عند الاكل والشرب فكم ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « في ذلك وروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه » عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « انه قال « من سره أن لا يجد الشيطان عنده طعاماً ولا مقيلا ولا مبيتاً فليسم اذا دخل بيته وليسم على طعامه » رواه الطبراني . وعن جابر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طِعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء واذا دخِل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت واذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان المبيت والعشاء » رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وفي ذلك أحاديث أخر ذكر هذا عبد العظيم المنذري في كتابه وفي التصفية للامام يحي رضوان الله عليه كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ما يجد وكان[1] أحب الطعام اليه ما كثرت عليه الأيدي وكان اذا وضع الطعام قال بسم الله اللهم اجعله نعمة مشكورة تَصِلُ به نعمة الجنة وكان كثيراً اذا جلس يجمع بين ركبتيه وقدميه ولا يأكل الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله لا يطعمنا نارا فأبردوه وكان يأكل مما يليه ويأكل بأصابعه الثلاث وربما

(١) اخرجه بو يعلي والطبراني وابو الشيخ في كفاف الثواب بلفظ ان احب الطعام الى الله ما كثرت عليه الايدي .

استعان بالرابعة ولم يأكل بأصبعين ويقول ان ذلك أكل الشياطين وكان يلعق أصابعه حتى تحمر واحدة واحدة ويقول انه لا يدري في أي الأصابع البركة فاذا فرغ قال اللهم لك الحمد أطعمت وأشبعت وأسقيت وأرويت لك الحمد غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى عنه وكان يغسل بعد أكل الخبز واللحم ويمسح بفضل الماء على وجهه وقد حصرت المندوبات حال الأكل :

غسل وتسمية، وحمد بعده   وتضرع وتناول بيمينه
واللقف والمضغ(١) الطويل وأكله   مما يليه فذاك من مسنونه
واللقمة الصغرا وكون قعوده   كقعود صفوة ربه وحبيبه

وقد جمعت المكروهات حال الأكل والمندوبات عكسها

أكل الطعام بيسراه ومتكئا   فيه على يده مع أكل ذروته

وكثرة القول ثم الضد منه كذا   تكرار نظرته أيضا لخبرته

أو كان مستلقيا أو كان منبطحا   ومسحه يده اليمنى بذروته

وشغلة الضعيف باستخدامه وبه   تنحط رتبته في عكس عزته

(١) مضخة كمضغه لأكله بسّنه انتهى . قاموس .

وكان يشرب في ثلاث دفعات له فيها ثلاث تسميات وفي آخرها ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصاً ولا يعب عبا ويعب اللبن عباً وربما كان يشرب بنفسه واحد حتى يفرغ وكان لا يتنفس في الاناء (وهكذا في نية النكاح ويختص به طلب النسل) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « تناكحوا تكاثروا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة » وغيره مما ورد في طلب الولد وما يترتب على ذلك من الأجور العظيمة أحياء وأمواتاً وامتثالا لأوامر الله تعالى في كتابه بقوله تعالى **﴿فأنكحوا ما طاب لكم من النساء﴾** وقوله **﴿والايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾** وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من تزوج فقد حصن ثلثى دينه فليتق الله في الباقي » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ايما[1] شاب تزوج في حداثة سنه عج شيطانه يا ويله عصم مني دينه » ذكره في الجامع وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « تزوجوا[2] الودود الولود فاني مكاثر بكم » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « تزوجوا[3] فاني مكاثر بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية النصارى » ذكر ذلك في الشفاء وهامشه وفي مجموع الامام زيد بن علي عليه السلام عن أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) اخرجه ابو يعلي عن جابر بلفظه .

(٢) اخرجه ابو داود والنسائي عن معقل بن بشار بلفظه .

(٣) اخرجه بيهقي في سننه عن ابي إمامة بلفظه .

« اذا نظر العبد الى زوجته ونظرت اليه نظرهما الله تعالى برحمته واذا أخذ بكفها وأخذت بكفه تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما فاذا تغشاها حفت بهم الملائكة من الارض الى عنان السماء وكانت كل لذة وكل شهوة حسنات كامثال الجبال فاذا حملت كان لها مثل أجر الصائم القائم المجتهد المجاهد في سبيل الله فاذا وضعت لم تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين » وفي رواية أخرى في الشفاء عن علي عليه السلام حين جاء الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عثمان بن مظعون فان(١) العبد اذا أخذ بيد زوجته كتب الله له مائة حسنة ومحا عنه مائة سيئة فان قبلها كتب له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات فان ألم بها حضرتهم الملائكة فإن اغتسلا لم يمر الماء على شعرة منهما إلا كتب الله لها بها حسنة ومحا عنهما سيئة وقال الله للملائكة انظروا الى عبديّ هذين اغتسلا في هذه الليلةالباردة علماً أني ربهما أشهدكم أني قد غفرت لهما فان كان لهما في وقعتهما تلك ولد فتقدمهما كان شفيعا لهما وان تأخرهما كان نورا لهما فان لم يكن وقعتهما تلك ولد كان لهما وصيف(٢) في الجنة وعنه صلى الله عليه وآله

(١) حذف صدره ولفظه خبر وعن امير المؤمنين علي امير المؤمنين عليه السلام والرهاء عثمان بن مظعون الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله غلبني حديث النفس ولم احدث شيئاً حتى استأمرك قال ما تحدث نفسك يا عثمان قال هممت فذكر أشياء فيها طول ثم قال هممت انه اخرج خولة زوجتي على نفسي قال فلا تفعل يا عثمان فإن العبد الح ها هنا بلفظه .

(٢) الوصيف الخادم غلاماً كان أو جار به انتهى مختار .

وسلم « من تزوج توجه الله بتاج الكرامة » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ما استفاد[1] عبد بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة ان أمرها أطاعته وان نظر اليها سرته وان أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله (وفي اللباس) أربع أولها (اتباع السنة) فمن المعلوم فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقوله « خير[2] ثيابكم البياض » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله يحب من عبده إذا خرج الى إخوانه أن يتزين لهم ويتجمل » وعنه صلى الله عليه آله وسلم « من لبس[3] ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ذكر ذلك في الشفاء . وثانيها (امتثال ما أمر الله به من ستر العورة) قال الله تعالى « يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشا » الى غير ذلك وثالثها (التجمل الذي يتوجه على العبد لقول الله تعالى ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ وقوله عز قائلا ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ ولذا قال عليه السلام ورابعها (اظهار النعمة) التي أنعم الله تعالى بها على عبده وقد تقدم ما يدل على ذلك ومنه ما رواه المنذري عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) اخرجه ابن ماجة عن ابي امامة بلفظه .

(٢) اخرجه ابن ماجة والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن ابن عباس لفظه خير ثيابكم البياض فكفنوا فيها موتاكم والبسواها احياءكم .

(٣) اخرجه أبو داود و بكماله والحاكم في المستدرك من دون قوله وما تأخر .

وسلم ما أنعم الله على عبد نعمة فيعلم أنها من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها وما أذنب عبد ذنبا فندم عليه الا كتب الله له مغفرة قبل أن يستغفره وما اشترى عبد ثوباً بدينار أو نصف دينار فلبسه فحمد الله الا لم يبلغ ركبته حتى يغفر الله له » رواه ابن أبي الدنيا والحاكم والبيهقي وعن ابن عباس رضي الله عنه « البسوا من ثيابكم البياض فانها خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وابن حبان في صحيحه وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « البسوا البياض فانها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم » رواه الترمذي وقال حسن صحيح فهذه النيات الاربع ينويها العبد في اللباس (وغير ما ذكر من النيات الحسنة وعلى هذا فقس) في جميع الأفعال والاقوال الواجبة والمسنونة والمندوبة والمباحة (فما من مباح الا ويمكن جعله قربة بمثل هذه النيات) مثال ذلك المسير والحركة في البر ونحوه يقصد بها التقوى لطاعة الله بازالة الداء الذي يكون في البدن من البرد ونحوه من العفونة والبخارات التي يجلبها عدم الحركة وكذلك المشي فيما يحتاجه العبد لنفسه ومن يموت في زراعة أو تجارة أو صناعة أو أي عمل فان ذلك من أفضل الأعمال الواجبة التي يستغنى بها عن الناس ويتخلصُ بها مما يجب عليه من الانفاق على نفسه ومن يجب نفقته عليه قال في كتاب المنذري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « طلب الحلال واجب

على كل مسلم» رواه الطبراني في الاوسط واسناده حسن وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» رواه الطبراني والبيهقي وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «من أكل طيبا وعمل في سنة وأمن الناس بوائقه دخل الجنة قال يا رسول الله إن هذا في أمتك كثير قال وسيكون في قرون بعدي» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن فصيح العشى عن ركب المصري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله» رواه الطبراني وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيذهب به الى الجبل فيحطب ثم يأتي به فيحمله على ظهره فيأكل خير له من أن يسأل الناس ولان يأخذ تراباً فيجعله في فيه خير له من أن يجعل في فيه ما حرم الله عليه» رواه احمد باسناد جيد وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له «انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت عليها حتى ما تجعله في امرأتك» . رواه البخاري ومسلم في حديث طويل . وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه

قال « اذا أنفق الرجل على أهله نفقة وهو محتسبها كانت له صدقة » رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن كعب ابن عجرة رضي الله عنه قال « مرّ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل فرأى أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جلده[1] ونشاطه فقالوا يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله » فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وان كان خرج يسعى رياء أو مفاخرة فهو في سبيل الشيطان » رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح وروى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم « ما انفق المرء على نفسه و ولده و أهله وذي رحمه وقرابته فهو صدقة » رواه الطبراني في الاوسط وشواهده كثيرة وفي رواية « أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله »

(١) الجلد بفتحتين الصلابة انتهى . مختار .

فصل

وينوي في غرس الاشجار والزرع ما يوجب له رضاء الله تعالى فانه قد ورد فيه من السنة عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما[1] من مسلم يغرس غرساً الا كان ما أكل منه له صدقة وما سرق منه له صدقة ولا[2] يرزأه أحد الا كان له صدقة الى يوم القيامة » وفي رواية « فلا يغرس المسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه انسان ولا دابة ولا طائر الا كان له صدقة الى يوم القيامة » وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجراً جارياً انتفع به من خلق الرحمن تبارك وتعالى » رواه احمد وفي ذلك أحاديث كثيرة مع أنه داخل في قوله تعالى **﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾** ذكر الجميع المنذري في كتابه . وعلى الجملة فان النية هي العمدة في كل عمل ولذا قال عليه

---

(١) اخرجه مسلم عن جابر

(٢) يرزأه بسكون الراء وفتح الزاي بعدهما همزة معناه يصيب منه وينقصه انتهى منذري .

السلام (فانما الاعمال بالنيات وإنما لكل امريء ما نوى) وقد تقدم ذلك مروياً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وإن أمكن استحضار النية الحسنة الكاملة في المندوبات والمباحات على سبيل التفصيل عند كل فعل فعل) يعنى كلما فعل فعلا استحضر النية الصالحة عند أن يفعله حتى لا يفعل فعلا من دون نية (فهو أتم وأفضل والا) يمكن ذلك (فعلى سبيل الجملة ولو) نوى (قبل وقت الفعل) فانها تجزيه (على ما ذكره بعض العلماء رحمهم الله تعالى ففيه خير كثير) هذا في المندوبات والمباحات (وأما الواجبات فنياتها واجبة لازمة لا بد منها) ولا تصح وتجزى إلا بها في جميع العبادات البدنية والمالية كما لا يخفي (ولا ينبغي أن ينوى العبد بما يفعله مجرد حصول الثواب والهرب من العقاب فان هذه النية لا تجزيه ولا تطابق مراد ربه ولا ترضيه) إذ لا يطلب بها العبد إلا حفظ نفسه لارضاء ربه و مالكه جل وعلا (بل يكون صفة نيته ما تقدم) في قوله عليه السلام « اللهم ما أتيته من كل فعل وتجنبته منه فان ذلك لكل وجه حسن تريده على الوجه الذي تريده الخ » (ثم) بعد هذه النية (ليعلم ان الثواب حاصل له لا محالة عندها و) كذلك (العقاب) فانه (منتف) عنه (لكن) لا يحصل الثواب وينتفي العقاب ويكون رضاء الرب عز وجل الا (بشرط القبول فليجتهد فيما به يحصل القبول من الاخلاص) في العمل بعد النية لله تعالى خالصة لا يشوبها شائب (وتجنب المحبطات) من رياء أو

عجب ونحو هما وقد تقدم ذكرهما عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض » رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال حين بعث الى اليمن يا رسول الله أوصني قال « اخلص دينك يكفك العمل القليل » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وروى عن ثوبان قال سمعت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء » رواه البيهقي وعن الضحاك بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تبارك وتعالى يقول « أنا خير شريك فمن أشرك معي شريكا فهو لشريكي يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم فان الله تبارك وتعالى لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له فلا تقولوا هذه لله وللرحم فانها للرحم وليس لله منها شيء ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم فانها لوجوهكم وليس لله منها شيء » رواه البزار وروى عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « قد أفلح من أخلص قلبه للايمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقاً ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل أذنه مستمعة وعينه ناظرة فاما الأذن فتعي والعين مقرة[1] بما يوعى القلب وقد أفلح من جعل قلبه

(١) أي راضية بما يقرع القلب أي يحفظه انتهى .

واعيا » رواه أحمد والبيهقي وعن أبي امامه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أرأيت رجلاً غزا يلتمس الاجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لاشيء له » فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ثم قال « ان الله عز وجل لا يقبل من الاعمال الا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه » رواه أبو داود والنسائي باسناد جيد وعن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله » رواه الطبراني باسنادلا بأس به وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : يجاء بالدنيا يوم القيامة فيقال ميزوا ما كان منها لله عز وجل فيماز ويرمى سائره في النار رواه البيهقي موقوفا . وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من أخلص لله أربعين يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ذكر هذه الاحاديث المنذري في كتابه المشهور(فائدة* ينبغي للانسان حسن النية فيما يفوت من ماله بعلمه وبغير علمه والمستحسن له أن ينوي بقلبه) لان محل النية هو القلب (ولا بأس بأن يجريه على لسانه وينطق به ما حاصله اللهم ما صار من مالي وما أملكه الى غيري بحضوري أو غير حضوري برضى مني أو بغيره ولم يكن لي قصد في مصيره الى من صار اليه ولا ثبت في معلومك أنه يعود الي ولا الى وارثي في الدنيا ولا عوضه فإنه من اوجب حق

علي من حقوقك كان أو يكون فان لم يكن علي حق أو كان من صار اليه ذلك ليس أهلا له فصدقة على الآخذ تقرباً اليك يا الهي واحساناً اليه)قال عليه السلام(وكون هذا) يعني القصد وتحرير هذه النية (من الاحسان والسخاء أمر لا شك فيه واذا كان منهما) أي من الاحسان والسخاء (فقد توارد العقل والنقل على حسنهما كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « في كل كبد حرّى أجر » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما جبل ولي الله عز وجل الا على السخاء وحسن الخلق ») عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ان الله ليربي لاحدكم التمرة واللقمة كما يربي أحدكم فلوه[1] أو فصيلة[2] حتى تكون مثل أحد » رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه الفلو المهر ولد الفرس والفصيل ولد الناقة . روي عن أبي برزة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان العبد ليتصدق بالكسرة تربو عند الله عز وجل حتى تكون مثل أحد » رواه الطبراني في الكبير . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله عز وجل » رواه مسلم والترمذي وروي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « يا أيها الناس توبوا الى

(١) الفلو بتشديد الواو المهر والأنثى فلوة انتهى . مختار .

(٢) والفصيل ولد الناقة انتهى . مختار .

الله قبل أن تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل أن تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا » رواه ابن ماجه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أيكم مال وارثه أحب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا أحد الا ماله أحب اليه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر » رواه البخاري والنسائي وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فذكر الحديث الى أن قال فيه ثم قال يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أدلك على أبواب الخير قلت بلى يا رسول الله قال الصوم جُنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار » رواه الترمذي وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء » رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه وفي رواية « ان الله ليدرأ بالصدقة سبعين باباً من ميتة السوء ». وعن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر » رواه الطبراني في الكبير باسناد حسن ذكر هذه الاحاديث المنذري (لكن لا احسان الا مع حسن القصد وألا يعلم المعطي استعانة المعطى له بما يصير اليه على المعصية وإلا تجحف العطية بحال المعطى فمتى

كملت هذه الشروط في لعطية فهي المرغب فيها بالآيات والاخبار وتتفاوت في الفصل بحسب حال النية والعطية والوقت والشخص والحاجة) أما حسن القصد فقد تقدم ذكر النية وان تكون خالصة لوجه الله تعالى لا يشوبها قصد شيء من طلب الدنيا فيحبط العمل قال الله تعالى ﴿**من كان يريد الحياةالدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرةإلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون**﴾ وكفى بهذه الآية حثاً على اخلاص النية لله تعالى وتطهيرها عن كل ميل الى شيء من الدنيا وكذلك قوله تعالى ﴿**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**﴾ وقوله تعالى : ﴿**من كان يريد العاجلة**﴾ الآية وأما الاخبار النبوية وقد تقدم منها شيء في الرياء وقوله وألا يعلم استعانة المعطى الخ هذا مع علم المتصدق بحال المعطى قبل أن يتصدق عليه فمن المعلوم أن التخير للصدقة مشروع وإلا فقد ورد الخبر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « قال رجل لا تصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد سارق فأصبحوا يتحدثون تُصدق الليلة على سارق فقال اللهم لك الحمد على سارق لا تصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية لا تصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني

فأصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غني قال : اللهم لك الحمد على سارق وزانية وغني . فأتى فقيل له : أما صدقتك فقد تقبلت ؟ أما صدقتك على السارق فلعله ان يستعف عن سرقته ؟ وأما الزانية فلعلها ان تستعف عن زناها . وأما الغنى فلعله أن يعتبر فينفق مما أعطاه الله » رواه مسلم والنسائي واللفظ لهما . وفي البخاري بأكثر اللفظ وهو في كتاب عبد العظيم المنذري . فدل الخبر على ان العبرة بالنية مع عدم العلم بحال المعطى قوله . والا تجحف الخ لعله عليه السلام أشار الى الخبرالوارد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « خير الصدقة ما أبقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول تقول امرأتك أنفق علي أو طلقني ويقول مملوكك أنفق علي أو بعني ويقول ولدك الى من تكلنا » رواه ابن خزيمة في صحيحه ولعل قوله تقول امرأتك الى آخره من كلام أبي هريرة مدرج ذكره المنذري هذا مع أنه قد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم حين قيل له : أي الصدقة أفضل ؟ قال « جهد المقل وابدأ بمن تعول » رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « سبق درهم مائة الف درهم فقال رجل وكيف ذاك يا رسول الله قال : رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة الف درهم تصدق بها ورجل ليس له الا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به » رواه النسائي وابن خزيمة

وابن حبان في صحيحه . قلت : ويمكن الجمع بينهما بأن العبرة بحال المتصدق فان من كان يخشى ان يتوجه عليه واجب مثل الانفاق على من تجب عليه نفقته فلا ينفق الا عن غناء . وان لم يخش ذلك وعرف من نفسه الصبر على المشقة بحيث لا يؤدي الى محظور فجهد المقل أفضل . وأما قوله عليه السلام وتتفاوت في الفضل .. الخ فالنية ان تكون خاصة لله تعالى سالمة مما يشوبها من كل مطلب دنيوي . وأما العطية ففي كثرتها وحسنها قال الله تعالى ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وأما الوقت فذلك كالأوقات الفضيلة مثل رمضان لا سيما العشر الأواخر منه ويوم عرفة والجمعة وليلتها ونحو ذلك . وأما الشخص فكأن يكون من أهل التقوى ومن أهل البيت النبوي وشيعتهم ونحو ذلك . وأما الحاجة فذلك ظاهر فانها تتفاوت الأحوال فيها والضرورات ونحو ذلك نسأل الله تعالى ان يكفينا من فضله ويقود بنواصينا الى ما فيه رضاه آمين

فصل

في (الجود) وهو الثاني من الثمانية عشر (قد اختلف في معنى الجود فقيل بذل الموجود وقيل الانفاق بحسب التدبير وهو ما قضى به العقل والشرع أو أحدهما) يعني العقل

والشرع وذلك (كالواجبات) وهن قسمان واجب بالشرع مثل الزكاة وسد رمق محترم الدم وانفاق من يجب عليه انفاقه والضيافة على أهل البوادى التي لم يكن فيها من يصلح الزاد للوافد ولو بأجرة وهذا من القسم الثاني وهو واجب المروءة ويلحق به عدم الاستقصاء في المحقرات ومكافأة من أحسن اليه . فمن منع من هذين القسمين كان بخيلا ومانع واجب الشرع أبخل . ومن لم يمنع من ذلك بل بذلها بطيب نفس فقد اتصف بالجود الواجب شرعا ومروءة . وأما الانفاق فالمحمود الوسط كما قال الله تعالى ﴿والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوام﴾ وقال تعالى مخاطباً لرسوله صلى الله عليه واله وسلم ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعقد ملوماً محسوراً﴾ وقد تقدم شيء مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « السخاء خلق الله الاعظم » رواه أبو الشيخ ابن حبان وروى عن عائشة عنه صلى الله عليه وآله وسلم « ما جبل ولي الله عز وجل الا على السخاء وحسن الخلق » رواه أبو الشيخ أيضاً وروى عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله استخلص هذا الدين لنفسه فلا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما » (ثم المندوبات) وذلك كالصلات التي لم تكن واجبة سواء كانت

للأقارب والارحام أو غيرهم والصدقات وكل نفع للمسلمين وقضاء حاجاتهم وادخال السرور عليهم كما روى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « إن الله عز وجل عباداً مفاتيح للخير مغاليق للشر وإن لله عز وجل عباداً مغاليق للخير مفاتيح للشر وطوبى لعبد جعل الله مفاتيح الخير على يديه وويل لعبد جعل الله مفاتيح الشر على يديه » ذكره في شمس الأخبار وفيه أيضاً باسناده الى النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « الخلق[1] كلهم عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله خيركم[2] من يرجى خيره ويؤمن . شره استتمام[3] المعروف خير من ابتدائه » وباسناده اليه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « اصنع[4] المعروف الى من هو أهله والى من ليس هو بأهله فان أصبت أهله فهو أهله والا كنت أهله » وباسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « تهادوا[5] تزدادوا حباً » وباسناده الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم « الهدية[6] تذهب بالسمع والبصر » وباسناده اليه صلى الله عليه وآله

---

(١) اخرجه ابو يعلي والبزار عن انس .

(٢) اخرجه ابو يعلي عن انس .

(٢) اخرجه الطبراني في الاوسط عن جابر .

(٤) اخرجه الخطيب عن ابن عمر

(٥) اخرجه ابن عساكر عن ابي هريرة .

(٦) اخرجه الطبراني في الكبير عن عصمة بن مالك ولفظه الهدية تذهب بالسمع والقلب والبصر .

وسلم أنه قال « تهادوا[1] فان الهدية تذهب الضغائن »
وباسناده الى انس عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال
« من لقم أخاه المسلم لقمة حلو صرف الله عنه مرارة الموقف
يوم القيامة » (وما جرت به العادات) بين الناس من الهدايا
والضيافات التي لم تكن واجبة وايضاً هذا في المبتدي . وأما
المكافآت فإنها واجبة (وما قدمه الانسان لنفسه
فكنز موضوع لوقت حاجته) يعني أن الأعمال الصالحة
التي يعملها العبد ويحتسبها عند الله تعالى كالكنز
الموضوع الذي ينتفع به عند الضرورة اليه كما قال الله تعالى
﴿**وما تقدموا لأنفسكم من خير تجده عند الله هو خيراً
وأعظم أجراً**﴾ مع أن الله تعالى جعله كالفرض الذي يجب
قضاؤه في أول هذه الآية بقوله : ﴿ **وأقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾
وقوله تعالى : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له
أضعافاً كثيرةً** ﴾ وغير ذلك من الآيات الدالة على مضاعفة
الأعمال . وفي قوله كثيرة ولم يبين قدرها أشعار بكثرة الاضعاف
مع أن هذا قول أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين . فكيف بمبالغته
بمضاعفة ثوابه في كتابه الكريم . وعن رسول الله صلى الله عليه و
وآله وسلم حين سأله أبو ذر رضي الله عنه ما الصدقة ؟ قال :
« أضعاف مضاعفة وعند الله المزيد » ثم قرأ هذه الآية قال في
الثمرات : قال الثعلبي : لما نزلت الآية : ﴿ **من ذا الذي يقرض
الله**﴾ الآية . قال أبو الدحداح : فداك أبي وأمي يا رسول الله ان

(١) اخرجه البيهقي في الشعب عن انس .

الله يستقرضنا وهو غني عن القرض . قال نعم يريد ان يدخلكم الجنة قال : فإني أن اقرضت ربي عز وجل قرضاً تضمن لي بالجنة قال : نعم من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة . قال : وزوجتي أم الدحداح معي ؟ قال : نعم قال : وصبي الدحداحة ؟ قال : نعم . قال : ناولني يدك ؟ فناوله صلى الله عليه وآله وسلم يده فقال : ان لي حديقتين احداهما بالسافلة والأخرى بالعالية والله لأ أملك غيرهما قد جعلتهما قرضاً لله عز وجل . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اجعل احداهما لله عز وجل والأخرى معيشة لك ولعيالك» قال : وأشهدك يا رسول الله اني قد جعلت خيرهما لله وهو حائط فيه ستمائة نخلة . قال : اذاً يجزيك الله به الجنة . قال : فأنطلق أبو الدحداح حتى أتى أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول :

بيني عن الحائط بالوداد[1] فقد مضى قرضاً الى التناد
أقرضته الله على اعماد بالطوع لا منّ ولا إنكاد[2]
ألا رجاء الضعف في المعاد فأرتحلي بالنفس والأولاد
والبر لا شك فخير زاد قدّمه المرء الى المعاد

قالت أم الدحداح : ربح بيعك بارك الله لك فيما أشتريت وأجابته أم الدحداح وانشأت تقول :

(١) وددت بالكسر ودا بالضم احببته انتهى مختار . والمعنى اتركيه لله سبحانه محبة له واتركيه وانت محبة له لقوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبوا﴾ الآية .
(٢) نكد اي عشر وجمعه انكاد . انتهاى . مختار . اي جاد أي اعطاه انتهى مختار .

بشّـــرك الله بخـير وفــرح
مثلك أدّى ما لديه وسمح
أن لك الحظ اذا الحظ وضح
قـد متع الله عيـالي ومنـح
بالعجوة[(١)] السوداء والزهو[(٢)] والبلح[(٣)]
والعبد يسعى وله ماقد كدح[(٤)]
طول الليالي وعليه ما اجترح

ثم أقبلت أم الدحداح الى صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى افضت الى الحائط الآخر . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كم من عذق رداح ودار فياح في الجنة لأبي الدحداح » قال في الضياء الرداح هو الشجرة العظيمة والفياح البيت الواسع . (ومن عرف من نفسه الصبر عند الحاجة الى الناس) أي عرف انه يتعفف من سؤال الناس ويصبر حتى يفتح الله عليه (أو عرف بمقتضى جري العادة أنه يقع له خلف عما أنفق حسن منه انفاق جميع ماله أو بعضه حسبما يعرف من حاله ومن لم يعرف ذلك من نفسه ولم يثق به ابقى قدر كفايته بعد اخراج الواجب وعليه في أمر دنياه بالاقتصار على

(١) العجوة ضرب من جود التمر بالمدينة ونخلتها تسمى لينة انتهى . مختار .
(٢) زها النخل يزهو زهواً والاسم الزهو بالضم ظهرت الحمرة والصفرة ف في الثمرة انتهى . مصباح .
(٣) البلح ثمرة النخل ما دام اخضر قريباً الى الاستدارة الى ان يغلظ النوى انتهى . مصباح .
(٤) القدح العمل والسعي والحرص انتهى . نهاية

المحتاج) لأن الله قد تكفل به بقوله تعالى : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه**﴾ وقوله تعالى ﴿ **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين**[1]﴾ وقوله تعالى :﴿ **قل من يرزقكم من السماء والأرض قل الله**﴾ الآية الى غير ذلك . وفي كتاب الحافظ عبد العظيم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لن تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له فأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام » رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يا أيها الناس اتقوا الله واجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وان أبطأ عنها فأتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم » رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ليس من عمل يقرب من الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطئن احد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فأتقوا الله أيها الناس واجملوا في الطلب فإن أستبطأ احد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصيته » رواه الحاكم . وعن أبي ذر

---

(١) الشديد العقوبة انتهى . مقباس

رضي الله عنه قال جعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يتلو هذه الآية : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ فجعل يرددها حتى نعست فقال : يا أبا ذر لو أن الناس اخذوا بها كفتهم رواه الحاكم . وقال صحيح الاسناد وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لو فر احدكم من رزقه ادركه كما يدركه الموت » رواه الطبراني بأسناد حسن . وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما خلق الله من صباح يعلم ملك في السماء ولا في الأرض ما يصنع الله في ذلك اليوم وان العبد له رزقه فلو اجتمع عليه الثقلان الجن والانس ان يصدوا عنه شيئاً من ذلك ما استطاعوا » رواه الطبراني . وعن حبة وسواء ابني خالد انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يعمل عملاً : يبني بناء فلما فرغ دعانا فقال : « لا تنافسا في الرزق ما تهزهزت رؤ وسكما فإن الانسان تلده امه احمر وهو ليس عليه قشر ثم يغطيه الله ويرزقه » رواه ابن حبان في صحيحه . وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يناديان يسمعان أهل الأرض يا أيها الناس هلموا الى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهي ولا آبت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين اللهم اعط منفقاً خلفاً واعط ممسكاً تلفاً » رواه احمد بأسناد صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه . وعن عمران بن حصين رضي

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من انقطع الى الله عز وجل كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها » رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول « اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع » رواه مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وماله وسلم « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى اليهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »و رواه البخاري ومسلم .

فصل

في (الزهد) وهو الخلق الثالث من الثمانية عشر وهو (في الشرع ترك المباحات التي يخاف المتولع بها ان يحمله على التوليج في الشبهات للمحافظة عليها) قال الامام يحيى بن حمزة عليه السلام بعد ان ذكر حقائق الزهد فحصل من مجموع ما ذكرنا أن الزهد عبارة عن رغبة في الدنيا عدولاً الى الآخرة وعن غير الله تعالى عدولاً إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا ، قلت وإنما يكون الزهد عن الدنيا مع اقبالها والقدرة عليها وفضيلته معلومة عقلاً وشرعاً في قصة قارون ﴿ **وقال الذين أوتوا العلم**

ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ وقبلها قوله تعالى: ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون﴾ وقال تعالى في أهل الزهد ﴿ اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾ وقال تعالى : ﴿ أنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ قيل معناه أيهم أزهد ، وصف الزهد بأنه أحسن عملاً وقال : ﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ وقال لرسوله وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾ وقال تعالى في وصف الكفار : ﴿ الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾ فمفهومه أن المؤمن يستحب الآخرة عن الدنيا . ولما سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى قوله تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾ قال : « إن النور اذا دخل انشرح له الصدر وانفسح » قيل يا رسول الله فهل لذلك من علامة قال نعم . « التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب للموت قبل نزوله » فأنظر كيف جعل الزهد شرطاً للاسلام وهو التجافي عن دار الغرار وقال صلى الله عليه وآله وسلم « استحيوا من الله حق الحياء . قالوا إنا نستحي قال تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون » فبين ان ذلك يناقض الحياء من الله عز وجل . وعن الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم انه قال : « من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودوائها وأخرجه منها سالماً الى دار السلام »

فصـــل

في بيان علامات الزهد وهي ثلاث : الأولى أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ فلا ينبغي للزاهد إلا ضد ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده فهذه علامة الزهد في المال العلامة الثانية : أن يستوي عنده مادحه وذامّه وهذه علامة الزهد في الجاه فمن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين . العلامة الثالثة : ان يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة العبادة والطاعة لله تعالى إذ لا يخلو لقلب عن حلاوة المحبة إما محبة الدنيا وإما محبة الله تعالى فهما في القلب كالماء والهواء في القدح لا يجتمعان أبداً ولك من أنس بالله اشتغل به دون غيره ولذا أن غاية الزهد الانس بالله تعالى فعند ذلك يستوي الغني والفقر والعز والذل والمدح والذم لأجل الانس بالله جل جلاله ولذا قيل : « جعل الله تعالى الشر كله في بيت ومفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد ، قال الله

تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ والهوى عبارة عن جميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد حاصلاً فيه والمهم منه خمسة أصناف المطعم والملبس والمسكن والمنكح وما يحتاج اليه من أثاث البيت فالمطعم أقله الخبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والذرة وأعلاه خبز البر بغير نخل فإن نخل فهو ترفه وأقله نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد هذا في اليوم والليلة وأما الأدام فأقله البقل والخل أو الملح وأوسطه الزيت وسائر الأدهان وأعلاه اللحم وأما وقته فاقله في اليوم والليلة أكلة وأوسطه الغداء والعشاء وأعلاه أن يطوي ثلاثة أيام على قدر الامكان الثاني الملبس فأدناه كساء غليظ يستر به العورة وأوسطه قميص وقلنسوه ونعلان وأعلاه قميص وسراويل وملحفة وما زاد على هذا فليس من الزهد في شيء . الثالث المسكن فأعلاه أن لا يطلب موضعاً يقعد فيه ويكفيه زوايا المسجد وغيرها كأصحاب الصفة وأوسطه أن يطلب لنفسه موضعاً خاصاً من سعف أو خوص وأدناه يعني الى الدنيا أن يتخذ حجرة مبنية وما عدا ذلك فليس زهداً . الرابع النكاح فإن لم تشغله المرأة عن ذكر الله فلا بأس بها لتحصين النظر وإزالة الشبق(١) وميل القلب وكل على قدره فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الزهاد توفي عن تسع نسوة وأمير المؤمنين أزهد الصحابة توفي عن اربع حرائر وبضع عشرة سرية . الخامس

---

(١) الشبق شدة الغلمة انتهى . مختار .

اثاث البيت فأقله أن لا يستعمل إلا ما لا بد منه من الخزف[٢] ولا يبالي كيف كان مكسوراً أو مثلوماً أذ القصد قضاء الحاجة وليكن الاناء مما يصلح لحوائج كثيرة يستغني به عن غيره ، وأوسطها أن يكون له أثاث بقدر الحاجة صحيح وأعلاه إلى الدنيا أن يكون له آلة بقدر كل حاجة من المنازل خفيف الحمل ثقيل في القيمة والأولى للزاهد تتبع ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولقد كان ينام على السرير فتؤثر حباله في جسمه الشريف لعدم الفراش وكانت له وسادة من ادم حشوها ليف ذكر معنى ما ذكرته الامام المؤيد بالله يحيى ابن حمزة عليه السلام (والزهد في الشرع مندوب اليه وردت به الاخبار والآثار لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا وان من زهد في الدنيا أراح قلبه وبدنه في الدنيا والآخرة » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال له دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس عليه فقال : « اما العمل الذي يحبك الله عليه فأزهد في الدنيا وأما العمل الذي يحبك عليه الناس فأنبذ اليهم ما في يدك من الحطام » الى غير ذلك مما فيه كفاية) وقد تقدم من ذلك شيء وفي كتاب عبد العظيم المنذري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الزهد في الدنيا يريح القلب والجسد » رواه الطبراني وعن الضحاك قال أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقال يا رسول الله من أزهد الناس ، قال « من لم ينس القبر والبلى

---

(٢) هو الطين المعمول آنية قبل ان يطبخ انتهى . سجاعي .

وترك أفضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقي على ما يفني ولم يعد غداً من أيامه وعد نفسه من الموتى » رواه ابن أبي الدنيا مرسلاً وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قضى نهمته في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة ومن مد عينه الى زينة المترفين كان مهيناً في ملكوت السماوات ومن صبر على القوت الشديد صبراً جميلاً أسكنه الله من الفردوس حيث شاء » رواه الطبراني في الاوسط والصغير وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله عز وجل ناجى موسى بمائة الف وأربعين كلمة في ثلاثة أيام فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام الرب جل وعز وكان فيما ناجاه ربه ان قال : « ﴿ **يا موسى إنه لم يتضع لي المتضعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب إليّ المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد لي المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي** ﴾ قال موسى : « يا رب البرية كلها ويا مالك يوم الدين ويا ذا الجلال والاكرام ماذا أعددت لهم وماذا جزيتهم ؟ قال : ﴿ **أما الزهاد في الدنيا فإني أبحتهم جنتي يتبوءون منها حيث شاؤوا وأما الورعون عما حرمت عليهم فاذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته وفتشته إلا الورعون فإني استحييهم واجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب وأما البكاءون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه** ﴾ رواه الطبراني والاصهبائي وروي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله علية وآله وسلم يقول : « ما

تزين الأبرار في الدنيا بمثل الزهد في الدنيا » رواه أبو يعلي (فينبغي للعبد أن يقتصر من الدنيا على قدر كفايته حسبما تحتمله نفسه فإن هذا أمر اعتباري اضافي فقد يكون شيء من صفة المعاش ، هذا في حق رجل لأنه لا يحتمل دونه دون الآخر لامكانه الاقتصار على أقل منه وقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى جنس هذا في صور منها أن قالوا فيمن أراد ركوب البحر ان عرف من نفسه القوة بأعانة الله سبحانه على ذلك فعل وان عرف الضعف ترك) لأن الاحوال تختلف بأختلاف القوة والضعف في القلوب والاجساد والاشخاص والاوقات والتعود من أول النشأة كما ورد (واعط كل بدن ما عودته) أو كما قال والاولى لمن تعود الرفاهية في أول نشأته أن يرتاض قليلاً قليلاً بحيث لا يضر بنفسه ولا يتبع هواه حتى يتم له المراد . وهذا والعمدة الكبرى خلوص النية وحسن الطوية فلا يظن ظان ان ترك المال واظهار الخشونة في الملبس والمطعم هو الزهد فكم من الزهاد ردوا أنفسهم كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازموا ديراً لا باب له وإنما مَسِرَّتهم معرفة الناس بحالهم ونظرهم اليهم ومدحهم لهم وهذا طلب الجاه عند الناس وانه لمن حب الدنيا فلا بد للزاهد من ترك المال والجاه وجميع حظوظ الدنيا فلا يأخذ من الدنيا إلا ما يدفع الضرر عنه وقد تقدمت علامات الزهد (وكذا الكلام في التداوي مما يصيب) العبد من الآلام والاسقام (و) كذا في (طلب الرزق وغير ذلك) من كل ما يطلبه العباد في الدنيا فإن حالاتهم مختلفة في ذلك (فمن عرف من نفسه الرضى والصبر على المضرة والالم

والفقر) وقد بلغ هذه المرتبة العظمى (وارقته حالته الى هذه الدرجة الشريفة) العالية المنيفة (فالأفضل في حقه ترك الطلب) للرزق (والتداوي) من ما يناله من الأمراض والاسقام توكلا على الله تعالى واحتساباً لما أعد الله له من الجزاء في الآخرة التي لا يفنى جزاؤها (ومن ضعف عن ذلك) فعرّف من نفسه عدم الصبر (تداوى أو طلب الشيء) أي الرزق والدواء (مع حسن القصد وأعتقاد أن الأمر بيد الله) الذي بيده أزمة[1] الأمور العالم بمصالح عباده فيقسم لكل امرء ما يصلحه (وإنما هذه امور اعتيادية) للعبد (يفعل الله عندها ما يعلم) له (المصلحة فيه) (و) العبد (عليه الرضى بقضاء الله) تعالى وتسليم الأمر اليه على كل حال هو فيه (ومعرفة أنه) أي خالقه ورازقه هو (المحسن) اليه (على كل حال و) ايضاً فإن (عليه مع هذه الوظيفة) المتقدم ذكرها (بالاستشعار للموت وقربه والاستعداد له قبل نزوله) وقد اشار الله سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله :﴿ و يخافون سوء الحساب﴾ وكذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « وحاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا » وقد جعل العلماء رحمهم الله المحاسبة للنفس من شروط الورع وقسموا المحاسبة الى درجات قيل عقيب كل فعل أو في كل ساعة أو في كل وقت صلاة أو عند النوم أو في كل يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وهذا يختلف بأختلاف الأشخاص والاحوال والاوقات فمن

---

(١) ازم ازما امسك عن المطعم والمشرب انتهى . مصباح . والمعنى بيده امساك ما يريد امساكه عن عباده والله اعلم .

المعلوم أن كل عاقل يتيقن أن الموت يطلبه ولا يدري متى يأخذه فمن حق من هو هكذا أن لا يغفل عن التثبت لنزوله وقد تقدم شيء مما ورد في ذلك (ولتسره حسنته لا على وجه العجب) اذ العجب ممقوت عقلاً وشرعاً كما تقدم ذمه (ولتسؤه سيئته لا على حد القنوط) وكيف القنوط من رحمة الله مع قوله تعالى ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ الآية (تنبيه* لا زهد في ثلاث) الأولى (المرأة الحسناء وان غالى في مهرها لما في ذلك من تكميل دينه) بتحصين فرجه ونظره عن محارم الله تعالى التي حرمها عليه (وهذا ما لم تكن فاتحة لباب الدنيا) بأن تكون طالبة للدنيا (غير قانعة بالكفاية) الذي لا بد منه من النفقة والكسوة التي تليق (بل نفسها طامحة الى استيفاء اللذات في المطاعم) على اختلاف أصنافها وألوانها (والملابس) وأجناسها) المختلفة (وان كانت هكذا توجه اجتنابها) لأنها شاغلة عن الله تعالى ولذا حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ذات الدين بقوله : « تنكح المرأة على احدى خصال لجمالها ومالها وخلقها ودينها فعليك بذات الدين والخلق تربت يمينك » رواه احمد بأسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فأظفر بذات الدين تربت يداك » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة قوله تربت يداك كلمة معناها الحث والتحريض وقيل هي هنا دعاء عليه بالفقر وقيل بكثرة المال

ويمكن أن يكون الدعاء عليه على شرط محذوف تقديره تربت يداك ان تركت ذلك واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما والآخر هنا أظهر ومعناه أظفر بذات الدين ولا تلتفت الى المال اكثر الله مالك ذكر هذا عبد العظيم المنذري في كتابه وفيه ايضاً عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » . رواه الطبراني في الاوسط وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى مالهن أن يطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين وَلَأَمَةٌ خرماء سوداء ذات دين أفضل » رواه ابن ماجة والثاني مما لا زهد فيه قوله عليه السلام (ولا في استعذاب الماء) يعني طلب الماء العذب ولو من بعد ما لم يكن محتاجاً الى بذل مال كثير وطالبه متعين عليه ما هو أهم منه مما يجب عليه (فقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يستعذب له الماء من الامكنة النازحة) دل على أنه لا بأس به (قيل ووجهه أنه لا يحتاج في ذلك الى كسب مال فيخاف منه الوقوع في الشبهات) فهذه العلة اذا وجدت فينبغي تركه وان لم تكن تلك العلة فقد ذكر الامام عليه السلام وجهاً آخر بقوله (قلت مع ما فيه من استدعاء خالص الشكر) عند تناوله لأنه لا أعظم منه نعمة . وكان امام زماننا عليه السلام يستعذب له الماء

من بعد فشرب يوماً فحمد الله تعالى ثم قال نعمة الماء نعمة * ثم أشار إليَّ بتمام البيت فقلت : لا تكافؤها النعم * فأرتشفها على الظما * واعطها الاتم * الى آخر الابيات . في السفينة قيل ومما يمتن الله سبحانه على عبده يوم القيامة بقوله : ﴿ ألم أسقك من الماء البارد ﴾ في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم لتسئلن يومئذٍ عن النعيم﴾ والثالث مما لا زهد فيه قوله عليه السلام (ولا في تخير المسكن السليم عن الوباء الجامع للمرافق[1] اذ لا يحتاج الى غرامة لأن الأرض لله تعالى) فإن احتاج الى غرامة وغيره أهم منه ترك لا سيما مع عدم خشية الضرر أو ما أشار اليه عليه السلام بقوله (ألا حيث يكون الدين في غيره أكمل فإن تركه حينئذٍ من الزهد المندوب اليه) قلت : وقد يجب الترك كما اذا كانت الأرض الطيبة دار كفر أو دار فسق أو كان فيها منكر لا يمكنه تغييره كما ورد في الحديث « لا يحل لعين ترى الله يُعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل » او كما قال وفي هذا مبالغة في قوله « فتطرف » كما لا يخفى (ما أحسن ما قيل الزهد في الدنيا راحة فإنك اذا تأملت لم تر تعباً في الدنيا ولا نصباً ولا هماً ولا غماً ولا كداً ولا نكداً إلا وسببه في الغالب الضنة بالدنيا) أي محبتها والتهافت عليها (وعدم الزهد فيها ومصداقه الحديث المتقدم ذكره) وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم ألا وان من زهد في الدنيا أراح الله قلبه وبدنه[2] » وغير ذلك من الأحاديث الواردة فيه (والله ولي

---

(١) الجماعة انتهى . مختار

(١) اخرج الطبراني في الاوسط وابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب عن ابي هريرة =

التوفيق)

فصل

في (الشكر) وهو الخلق الرابع من الثمانية عشر . وهو أعم من الحمد موردا لأنه يكون بالقلب واللسان والأركان يعني البدن فلذا أن جميع العبادات تسمى شكراً وأخص متعلقاً من الحمد اذ متعلقة النعمة فقط عند بعضهم والحمد أخص مورداً اذ لا يكون الا باللسان وأعم متعلقاً لأنه متعلق بالنعمة وغيرها هكذا ذكره بعض أهل الاصول . وعند الامام عليه السلام تعلق الشكر بالنعمة وغيرها وهو المختار . ولذا قال عليه السلام (يجب على العبد شكر ربه على نعمه التي لا تحصى غاية جهده بقلبه ولسانه على الحد اللائق به) وان كان لا يقدر على القيام ببعض شكره على أصغر نعمة فضلا عن جليلها فكيف بالعبد الضعيف المحتج الى خالقه القوي القادر على كل شيء في كل لحظة وطرفة بحيث لا يزال محتاجاً اليه في كل حال كما قال بعضهم : ان قيل لك ما حجتك على الله ؟ فقل حجتي عليه حاجتي اليه وهي لا تحصى ويكفيك قواي وحفظي وحسي

= مرفوعاً والبيهقي فيها عن عمر موقوفاً ولفظه الرهد في الدنيا يريح القلب والبدن والرغبة فيها يتعب القلب والبدن .

وغمضي وامساك سمائي وأرضي والمضاء والمضي ورزقي ووعظي . قلت : وقد صدق الله تعالى بقوله﴿ **وان تعدوا نعمة الله ولا تحصوها**﴾ وكما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم « كم لله من نعمة في عرق ساكن » أو كما قال ، مع أن نعم الله معلومة بالضرورة على كل حال وانه لا يقدر العبد على مكافآت نعمة منها فليس له الا فضل ربه ورحمته الواسعة فهو المسئول ان يشملنا بها وبرضاه آمين » (وعلى) العبد أيضاً شكر (ما يصل اليه من النعم بواسطة المخلوقين مع شكرهم أيضاً لأن لهم يداً ظاهرة في نفعة واعطائه) ولما ورد في حديث « لا يشكر[1] الله من لا يشكر الناس » أو كما قال ولما ورد في الدعاء للاخ المؤمن بظهر الغيب فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ان أسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب » رواه أبو داود والترمذي عن عبد الله بن عمر ورواه المنذري وفيه أيضاً عن سيد أم الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « اذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب قالت الملائكة ولك مثل » رواه مسلم وأبو داود وفي رواية ولك مثل ذلك. وروى ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « دعوتان ليس بينهما وبين الله حجاب دعوة المظلوم ودعوة المرء لأخيه بظهر الغيب » رواه الطبراني ولما في ذلك من المكافأة الواجبة ان لم يتمكن من بذل ما يجب منها من المال ونحوه إذ كل حال بمقتضاه . ولما في ذلك من

(١) اخرجه احمد وأبو داود وابن حبان عن ابي هريرة بلفظه .

مكارم الاخلاق التي أتت بها الشريعة الغراء كتاباً وسنة في قوله تعالى ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ ومن الاخبار الكثيرة كما لا يخفى (لكن الشكر لله تعالى على ذلك أوجب لانه) تعالى (خالق الجميع) وهو الميسر لاسباب ذلك والباعث عليه بما وعد من الثواب والمكافآت على الاحسان) والوعيد على التقصير عن ما يجب . ولذا فان القرآن والاخبار النبوية مشحونة بالوعد والوعيد (وليشكر ربه على ما يبتليه به من الآلام والغموم لان فيها من المنافع الاخروية ما لايكاد يتصوره) أحد من الخلق (لكثرته وعظمه) قال في كتاب عبد العظيم المنذري : وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « عجبا لأمر المؤمن ان أمره له كله خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » رواه مسلم . وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ان الله قال يا عيسى أني باعث من بعدك أمة ان أصابهم ما يحبون حمدوا الله وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم[1] ولا علم قال يا رب كيف يكون هذا قال أعطيهم من حلمي وعلمي » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط البخاري . وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « يؤتى بالشهيد يوم القيامة فيوقف للحساب ثم

(١) الحكم بالكسر الأناءة انتهى . مختار .

يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يؤتى بأهل البلايا فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصب عليهم الاجر صبا حتى ان أهل العافية ليتمنون في الموقف ان أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله » رواه الطبراني في الكبير . وروي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا أحب الله عبداً وأراد ان يصافيه صب عليه البلاء صباوشجه شجافاذا دعا العبد قال يا رباه قال الله لبيك عبدى لا تسألني شيئاً الا اعطيتك اما ان أعجله لك واما ان أدخره لك » رواه ابن أبي الدنيا . وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله تعالى اذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط » رواه احمد ورواته ثقات . وعن مصعب ابن سعيد عن أبيه قال : قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الارض وما عليه خطية » رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وعن أبي سعيد لخدري انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو موعوك أي محموم عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة . فقال : ما أشد حماك يا رسول الله ! قال : انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر . ثم قال يا رسول الله من أشد الناس بلاء قال الأنبياء قال ثم من قال العلماء قال ثم من قال الصالحون كان

أحدهم يبتلي بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد الا العباءة يلبسها ولاحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء » رواه ابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وله شواهد كثيرة وعن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب[1] ولا هم ولا حزن ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفَّر الله بها من خطاياه » رواه البخاري ومسلم وفي رواية « ما من مؤمن يشاك شوكة في الدنيا يحتسبها الا نقص بها من خطاياه يوم القيامة » وفي رواية « إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطية » وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطية » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « الحمى حظ كل مؤمن من النار » رواه البزار باسناد حسن .

فصل

عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله عز وجل قال « اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه

(١) الوصب بفتح الصاد المرض انتهى . مختار .

فصبر عوضته منهما الجنة » يريد عينيه رواه البخاري والترمذي ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل « اذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة » وفي رواية له « من أذهب حبيبتيه فصبر كريمتي واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة » .

فصل

في كلمات يقولهن من آلمه شيء في جسده . عن عثمان بن أبي العاص أنه شكى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعاً يجده في جسده منذ أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي . وعند مالك « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد » قال ففعلت ذلك فاذهب الله ما كان بي فلم أزل آمر بها أهلي وغيرهم ، نعم ولما ذكرناه من الجزاء الاعظم والحظ الأفخم لمن صبر واحتسب الأجر عند الله على ما يناله في هذه الدار من البلايا والمحن . قال الامام عليه السلام (فصارذلك الابتلاء نعمة منه تعالى في الحقيقة) فمن عرف ذلك وتأمله غاية التأمل ومنحه الله تعالى باليقين الصادق بما وعد الله في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله

وسلم من الدرجات العالية في الدار الباقية والخلود في النعيم الدائم الذي هذه الدار وما فيها بالنسبة اليه كلا شيء علم أن تلك البلايا نعمة عظيمة فما أحقها عند ورودها بالسرورالكامل والرضا بها على أي حال حتى ينقلب الألم التذاذا لعظم اليقين بالجزاء كما تنقلب المسرات في الدنيا ان كانت غير موافقة لمراد الله عند من عرف مآلها ووبالها من العقاب عليها في الآخرة وتيقنه مساءات يتألم بها وبهذا تعلم يقينا أن لا أجلّ ولا اعظم من العلم النافع واليقين الصادق اللذين بهما تعرف الحقائق (ويتضح مما ذكرناه أن شكر الله سبحانه وتعالى واجب في السراء والضراء والشدة والرخاء في كل حال من الأحوال فله الحمد والشكر كذلك وأبلغ من ذلك واضعاف ذلك كما يحب ويرضى وحسبما هو أهله جل وتعالى) وبهذا الاعتبار يكون متعلق الشكر هو النعمة إذ الكل في الحقيقة نعم من الله وانه ما خلق الخلق الا لينعم عليهم في الدنيا والآخرة فله الفضل والمنة على خلقه وله الحمد كله والثناء البالغ غاية ما أثنى به على نفسه ونسأله موجبات رضوانه آمين (ويجب علينا أيضاً شكر من أحسن الينا وأنعم علينا نعمة دينية أو دنيوية من نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وأئمتنا ومشايخنا ووالدينا واخواننا ومن سائر الناس فينبغي شكره ودعاء الله أن يجازيه عنا بأفضل الجزاء ويحسن اليه عنا أكمل الاحسان) لأن الله سبحانه وتعالى جعله سبباً لما أسداه الينا من نعمه الدينية والدنيوية جل وعلا فينبغي لنا المكافأة بالشكر والدعاء لذلك السبب وقد تقدم بعض ما ورد في ذلك

فصل

في (الصبر) وهو الخامس من الاخلاق الثمانية عشر و(هو من خصال الايمان وأجلها وأنفسها وهو قسيم الشكر لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « الايمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر » وشهدت بذلك الاخبار والآثار وهما من أصول الايمان فالشكر من جهة الأوامر والصبر من جهة المناهي ، واعلم أن ماهية الصبر مخالفة الهوى والميل عن الشهوات الدنيوية ، والمراد بالصبر العمل بمقتضى اليقين لان اليقين يعرفه أن المعصية ضارة للطاعة غير نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة على الطاعة الا بالصبر وهو أيضا استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل وهو ينقسم الى أربعة أقسام الأول فرض وهو عن المحظورات وعلى أداء الواجبات الثاني نقل وهو عن المكروهات وعلى فعل المندوبات والثالث المكروه وهو على الاذى من جهة مكروهة شرعاً الرابع المحظور وهو على الاذى المحظور كمن يقطع يده أو يد ولده أو يقتله وهو يصبر على ذلك فان هذا محظور. وفضائل الصبرمصهورةكتاباًوسنةواثار(وكفى بقوله تعالى ﴿ان اللهمع الصابرين﴾وقال تعالى﴿وجعلنامنهم ائمةيهدون بأمرنا لما صبروا﴾وقال عزقائلاً﴿وتمت كلمةربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا﴾وقد وصف الله الصابرين بأوصاف

كثيرة منها قوله﴿أولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا﴾وقال عز وجل﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشرالصابرين الذين إذاأصابتهم مصيبة قالواإنالله وإنا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون﴾وقد ذكر الله سبحانه الصبر في القران في نيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الخيرات ورفيع الدرجات الى الصبر (و) أورد على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فضله (بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ما أعطى أحد خيراً أوسع من الصبر » رواه البخاري ومسلم) وفي المنذري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد عطاء خيراً أوسع من الصبر » رواه البخاري وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « عجباً لأمر المؤمن ان أمره له كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له » رواه مسلم وقد تقدم . وروي عن سخبرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت فقالوا يا رسول الله ما له قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » رواه الطبراني وفي التصفية للامام المؤيد بالله يحيى بن حمزه رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار »

وروى جابر أنه سئل عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقال أيضا أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس وعن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الأنصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر : نعم يا رسول الله . فقال : ما علامة ايمانكم ؟ فقالوا : نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء . فقال : مؤمنون ورب الكعبة » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « في الصبر على ما نكره خير كثير » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لو كان الصبر رجلا لكان كريماً والله يحب الصابرين » وعن أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه : الايمان على اربع دعائم : اليقين والصبر والجهاد والعدل . وقال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له . وقال ابن عباس رضي الله عنه : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله فله ثلاثمائة درجة ، وصبر على محارم الله وله ستمائة درجة وصبر في المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة نسأل الله عز وجل أن يرزقنا صبراً يبلغنا رضوانه آمين (وقال عبد الله : الصبر نصف الايمان وقد رفعه بعضهم) وقد ذكره الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الصبر نصف الايمان » (فليصبر العبد على الطاعات وعن المعاصي وليتق ما ورد عليه من مصائب الدنيا آلامها وغمومها ونقص الاموال وتلفها وغير ذلك بالصبر الجميل) وهو أن يرضى بما قضاه الله عليه رضاءً صادقاً لا يشوبه سخط ولا ضجر ولا شك بل يظهر السرور به ويوطن نفسه على

ذلك حتى يتعوده وليقرر في نفسه اليقين الخالص عن كل ريب ان الله سبحانه وله الحمد لا يريد للعبد المؤمن وغيره الاّ الأصلح له والأحسن وان كل ما ناله في الدنيا من قليل وكثير من المحن فهي اما تكفير سيئة أو زيادة درجة تقربه الى الله تعالى فهي في الحقيقة أجل وأعظم مما يناله فيها من النعم اذ لا خير إلا خير الآخرة بهذا وردت الشريعة . وقال تعالى **﴿ولا يظلم ربك احداً ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾** فجل من لا يعلم بسعة فضله وعلو قدره سواه . نعم فعلى العبد ما ذكرناه (ليفوز بالأجر الجزيل) ويرتقي به الدرجات العلى في دنياه واخراه فيهون عليه ما ناله من المصائب في دار البلوى التي لم تكن الا لها قال تعالى « ليبلوكم أيكم أحسن عملا » وقد تقدم شيء مما ورد نقلاً (و) أما عقلا (فلو لم يكن الصبر مما يحصل به عظيم الاجر لكان أرجح من الجزع) غاية الرجحان عند كل عاقل (و) أيضاً فانه (أوفق منه) أي من الجزع (وأنفع وساحته أوسع) اذ به يكون الفوز بعظيم الثواب والنجاة من أليم العقاب والسلامة من الفتن وكل الأوصاب فنسأل الله أن يرزقنا أحسن الصبر الموافق رضاه

فصل

والسادس من الآخلاق الثمانية عشر قول الامام عليه

السلام (الذكر) لله عز وجل وهو نوعان : الاول بالقلب والثاني باللسان فالأول هو الافضل الذي ورد فيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال : ذكر الله » رواه في العدة أخرجه الترمذي وأحمد ومالك أوّله بعض العلماء على ذكر الله بالقلب على كل حال واستدل بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « انه ليغان على قلبي فاستغفر الله سبعين مرة » أو كما قال وبعضهم يفضل الذكر مطلقاً على سائر الاعمال الثاني باللسان (قال الله تعالى﴿ **واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار**﴾ وقال تعالى﴿**والذاكرين الله كثيراً والذاكرات**﴾) وهذا في معرض المدح وقال « واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة »الخ(وقيل له صلى الله عليه وآله وسلم ان شرائع الاسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث[1] به فقال : لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه) وذكره المنذري عن عبد الله بن بشر وعن معاذ رضي الله عنه : آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن قلت : أي الاعمال احب الى الله قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله : رواه ابن ابي الدنيا والطبراني وغيرهما (وَهُو

---

(١) التشبث بالشيء التعلق به انتهى مختار .

بالقلب واللسان كتلاوة القرآن وملازمةالادعية المأثورة والاذكار النبوية في الاوقات المخصوصة) فتلاوة القرآن مع تدبر معانيه أفضل ذكر لانه يضيف الى الذكر التعلم النافع الذي هو مراد الله بانزال القرآن وأما الادعية المأثورة والاذكار النبوية فكما قيل شعراً :

واذا علمت بأنه متفاضل
فاشغل فؤادك بالذي هو افضل

وأفضلها بعد القرآن الاذكار النبوية وسيأتي إن شاء الله تعالى شيء من ذلك . وأما أوقات الاجابة للدعاء فقال في عدة الحصن الحصين : أوقاتها ليلة القدر ويوم عرفة وشهر رمضان وليلة الجمعة يوم الجمعة وساعة الجمعة وهي ما بين أن يجلس الامام الى أن تقضى الصلاة قلت : وقد اختلف فيها كما ذكرته في كتاب الرضوان فخذه منه والاقرب أنها عند غروب الشمس لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « ارقبيها عند غروب الشمس » وغير ذلك قال في العدة : وجوف الليل ونصفه الثاني وثلثه الاول وثلثه الاخير ووقت السحر وعند النداء بالصلاة وبين الاذان والاقامة وبين الحيعلتين للمخبت المكروب وعند الاقامة وعند الصف في سبيل الله وعند التحام الحرب ودبر الصلوات المكتوبات وفي السجود وعند تلاوة القرآن لا سيما الختم وعند قول الامام ولا الضالين وعند شرب ماء زمزم وصياح الديكة واجتماع المسلمين وفي مجالس الذكر وعند تغميض الميت وعند نزول

الغيث . هذه أوقات الاجابة وقد ورد فيها أخبار نبوية ومن أماكنها عند رؤية الكعبة قال وورد مجرباً في مواضع كثيرة : المساجد الثلاثة وبين الجلالتين من سورة الانعام وفي الطواف وعند الملتزم[1] وداخل البيت وعند زمزم على الصفا والمروة والمسعى وخلف المقام وفي عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات وعند قبور الأنبياء والصالحين (وعند الحوائج المهمة الدينية وعند رقة القلب ونزول العبر) وهذه من أوقات الاجابة (قال تعالى ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾) وقال تعالى : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ وقال ﴿ **وأذكروه كما هداكم** ﴾ وفي « العدة » عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى : ﴿ **أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه** ﴾ اخرجه البخاري ومسلم وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « وما صدقة افضل من ذكر الله » اخرجه الطبراني في الأوسط وهو من حديث ابن عباس (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم حكاية عن ربه تقدس وتعالى حبب اليّ من دنياكم ثلاث بدن صابر وقلب شاكر ولسان ذاكر) وفي العدة « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت » اخرجه البخاري ومسلم وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ثلاث مرات » رواه الطبراني في الكبير وابن أبي

---

(1) وهو ما بينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ما بين الركن والمقام ملتزم ما يدعو به صاحب عاهة الا برى اخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس .

شيبة وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « لو أن رجلاً في حجره[1] دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله افضل .

فصل

في آداب الذكر ينبغي أن يكون المكان الذي يذكر الله فيه نظيفاً خاليا والذاكر على أكمل الصفات بان يكون فمه نظيفاً وأن يزيل تغيره بالسواك وأن يستقبل القبلة ويتدبر ما يقول ويتعقل معناه وان جهل شيئاً تبينه قال والمواظب على الاذكار المأثورة صباحاً ومساء وفي الاحوال المختلفة هو من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات ذكر هذا في العدة قلت وينبغي المحافظة على الأذكار والدعاء ، والاعمال للخير أحب الاعمال الى الله أدومها وإن قل.

فصل

والدعاء من ذكر الله تعالى وعبادته لقوله صلى الله عليه وآله

(١) وحجر الانسان بالفتح وقد يكسر حصنه وهو ما دون ابطه الى الكشح والكشح مثل فلس ما بين الخاصرة الى الضلع انتهى . مصباح .

وسلم « الدعاء هو العبادة » ثم تلا « ادعوني أستجب لكم » الآية أخرجه أهل السنن الاربع وغيرهم وفي خبر « الدعاء مخ العبادة » وفي خبر « الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض » اخرجه الحاكم وأبو يعلي من حديث علي رضوان الله عليه وفي خبر « ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه إياها اما أن يعجلها له وإما أن يدخرها له » أخرجه احمد . قال المنذري وأخرجه البخاري في الأدب المفرد . قلت ولعل ذلك حسبما يعلم الله للداعي من المصلحة إذ هو أعلم بمصالح عباده منهم وفي فضل الدعاء أحاديث كثيرة والميل الى الاختصار

فصل

في آداب الدعاء وآكدها تجنب الحرام مأكلا وملبساً ومشربا والاخلاص لله تعالى وتقديم كل عمل صالح والوضوء واستقبال القبلة و الصلاة والجثو على الركب والثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أولا وآخراً وبسط يديه ورفعهما حذو منكبيه وكشفهما مع التأدب والخشوع والمسكنة والخضوع وأن يسأل الله تعالى بأسمائه العظام الحسنى والأدعية المأثورة ويتوسل الى الله تعالى بأنبيائه والصالحين بخفض صوت واعتراف بالذنب ولا يخص نفسه ان كان اماماً ويسأل بعزم ورغبة وجد

واجتهاد ويحضر قلبه ويحسن رجاءه ويكرر الدعاء ويلح فيه ولا يدعو باثم ولا قطيعة رحم ولا بأمر قد فرغ منه ولا بمستحيل ولا يتحجر وله أن يسأل حاجاته كلها ويؤمن الداعي والمستمع ويمسح وجهه بيده بعد فراغه ولا يستعجل أو يقول دعوت فلم يستجب لي ذكر ذلك في العدة وكلها أخبار مرفوعة وفيها فصل فيمن يستجاب دعاؤهم ومما يستجاب : المضطر والمظلوم مطلقا ولو فاجراً أو كافراً والوالد على ولده والامام العادل والرجل الصالح والولد البار بوالديه والمسافر والصائم حين يفطر والمسلم لاخيه بظهر الغيب والمسلم ما لم يدع بظلم أو قطيعة رحم أو يقول دعوت فلم أجب والتائب ومما يستجاب الاستفتاح بياذا الجلال والاكرام وكذا يا أرحم الراحمين ثلاثا وكذا لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أول الدعاء وآخره وغير ذلك

فصل

فيما يقال في الصباح والمساء مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه في العدة ، جلها من الصحاح « بسم[1] الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء وهو

---

(١) اخرجه أهل السنن الأربع عن عثمان بن عفان .

السميع العليم ثلاثا«أعوذ[1] بكلمات الله التامات من شر ما خلق » ثلاثا مساء وصباحاً مرة « أعوذ[2] بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم » ثلاثا « هو الله الذي لا اله إلا هو عالم الغيب والشهادة » الى آخر سورة الحشر « قل[3] هو الله أحد ثلاثا « قل أعوذ برب الفلق » ثلاثا « قل أعوذ برب الناس » ثلاثا* « فسبحان[4] الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون » آية[5] الكرسي أصبحنا[6] وأصبح الملك لله والحمد لله لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رب أسألك خير ما في هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده رب وأعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر رب وأعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر اللهم[7] اني أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم اني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر

(١) اخرجه الترمذي والطبراني في الاوسط عن أبي هريرة .

(٢) اخرجه الترمذي عن معقل بن يسار .

(٣) اخرجه ابو داود والترمذي عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن ابيه .

(٤) اخرجه ابو داود عن ابن عباس

(٥) اخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود .

(٦) اخرجه مسلم وأبو داود عن ابن مسعود

(٧) اخرجه ابو داود عن ابن مالك الاشعري .

ما فيه وشر ما بعده اللهم[1] بك أصبحناوبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشوراصبحنا[2] وأصبح الملك لله والحمد لله لا شريك له لا اله إلا هو اليه النشور اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ربّ كل شيءومليكه أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان الرجيم وشركه وان[4] اقترف على نفسي سوء أو أجره الى مسلم اللهم[5] اني أصبحت اني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك أربع مرات اللهم اني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم[6] اني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وام روعتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن اغتال من تحتي لا[7] اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير رضينا[8] باللهربا

---

(١) سبق مكرر صححه اهل السنن الأربع عن ابي هريرة .

(٢) اخرجه البزار وابن السني عن ابي هريرة .

(٣) اخرجه ابو داود والترمذي وابي حبان عن ابي بكر .

(٤) اخرجه الطبراني في الاوسط

(٥) اخرجه الطبراني في الاوسط عن انس ولم يذكر اربع مرات واخرجه بها ابو داود والترمذي عنه .

(٦) اخرجه ابو داود وابن حبان عن ابن عمر .

(٧) اخرجه ابو داود والنشائي عن ابن عياش الزملي .

(٨) اخرجه أهل السنن الأربع والطبراني في الكبير عن خادم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا رضيت[1] بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ثلاثا اللهم [2] ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر اللهم[3] عافني في بدني اللهم عافني في سمعي اللهم عافني في بصري لا اله الا أنت ثلاثا اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر لا اله إلا أنت ثلاثا سبحان[4] الله وبحمده لا قوة الا بالله ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اعلم ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما أصبحنا[5] على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين يا حي[6] يا قيوم برحمتك استغيث اصلح لي شأني كله ولا تكلني الى نفسى طرفة عين اللهم[7] أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فأغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا انت اللهم[8] أنت أحق

---

(١) اخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه عن ابي سعيد الخدري .

(٢) اخرجه ابو داود وابن حبان عن ابي غانم البياضي .

(٣) اخرجه ابو داود والنسائي عن أبي بكر .

(٤) اخرجه ابو داود والنسائي عن عبد الحميد مولى بني هاشم .

(٥) اخرجه الطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن ابزا .

(٦) اخرجه النشابي والحاكم في المستدرك عن انس .

(٧) اخرجه ابو داود وابي الشني عن اويس بن اويس واخرجه احمد والبخاري .

(٨) اخرجه الطبراني في الكبير عن ابي امامة .

من ذكر وأحق من عبد وانصر من ابتغى وأرأف من ملك وأجود من سئل وأوسع من اعطى أنت الملك لا شريك لك والفرد لا تذّلك كل شيء هالك الا وجهك لن تطاع الا باذنك ولن تعصى الا بعلمك تطاع فتشكر وتعصى فتغفر أقرب شهيد وأدنى حفيظ حلت دون النفوس وأخذت بالنواصي وكتبت الآثار ونسخت الآجال القلوب لك مفضية والسر عندك علانية الحلال ما أحللت والحرام ما حرمت والدين ما شرعت والامر ما قضيت الخلق خلقك والعبد عبدك وأنت الله الرؤوف الرحيم أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والارض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك أن تقيلني في هذه الغداة أو في هذه العشية وأن تُجيرني من النار بقدرتك حسبي(١) الله لا اله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات لا اله(٢) إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات سبحان(٣) الله وبحمده مائة مرة سبحان(٤) الله العظيم وبحمده مائة مرة سبحان(٥) الله مائة مرة الحمد لله مائة مرة لا اله الا الله مائة مرة الله اكبر مائة مرة ويصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر مرات قلت فان صلى مائة فأفضل واذا

---

(١) اخرجه ابن الشني عن ابي الدرداء .

(٢) اخرجه النشابي وابن حبان عن ابي العرب الانصاري .

(٣) اخرجه مسلم عن ابي هريرة

(٤) اخرجه ابو داود

(٥) اخرجه الطبراني في الكبير عن ابي الدرداء .

ابتلى بدين أوهم فليقل اللهم[1] اني أعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال الى هنا يقال في الصباح والمساء جميعا الا أنه يقال في المساء موضع أصبح أمسى والتذكير والتأنيث ويبدل النشور بالمصير ويزاد في المساء فقط أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله ، أعوذ[2] بالله الذي يمسك السماء ان تقع على الارض إلا باذنه من شر ما خلق وذرأ وبرأ . ويزاد في الصباح فقط أصبحنا[3] وأصبح الملك لله والكبرياء والعظمة والخلق والأمر والليل والنهار وما يصحى فيهما لله وحده . اللهم اجعل أول هذا النهار صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا . أسألك خير الدنيا والاخرة يا أرحم الراحمين لبيك[4] اللهم لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك واليك اللهم ما قلت من قول أو حلفت من حلف أو نذرت من نذر فمشيئتك بين يدي ذلك كله ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بك انك على كل شيء قدير . اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعن فعلى من لعنت انك وليي في الدنيا والأخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين . اللهم اني أسألك الرضاء بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك من غير ضراء مَضَرَّةٍ ولا فتنة مضلة وأعوذ بك ان أظلم أو اظلم

---

(١) اخرجه ابو داود عن ابي سعيد الخدري

(٢) اخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عمر .

(٣) اخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه عن عبد الله بن ابي أوفى

(٤) اخرجه احمد والحاكم في المستدرك والطبراني في الكبير عن زيد بن ثابت .

أو اعتدي أو يعتدى علي أو اكتسب خطيئة أو ذنباً لا تغفره. اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والاكرام فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدا و اني أشهد ان لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وانك تبعث من في القبور وانك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب وخطيئة . واني لا أثق إلا بوجهك فاغفر لي ذنوبي كلها فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وتب على انك أنت التواب الرحيم .

فصل

فيما يقال في الليل والنهار جميعا (وكذا ينبغي المداومة على الاستغفار والاستعاذة فان في ذلك خيراً كثيرا) فمن ذلك سيد الاستغفار . أخرجه البخاري من حديث أوس بن أوس « اللهم أنت ربي لا إله إلا انت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت » من قالها من النهار موقنا بها فمات فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل الخ كذلك (وكذا لا إله إلا أنت الآية) سبحانك اني كنت من

الظالمين » (وما شاء الله ولا قوة الا بالله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ومما جربته لكل مهمة ورواه لي أخي احمد عن والدنا مطهر عن الوالد العلامة عبد الرحمن بن محمد الغشم رحمهم الله وكان له في علم الاسماء يد وذلك انه من خشي من شيء فليقرأ : يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل هولاء الاربع الآيات ثم يقول حسبنا الله ونعم الوكيل خمسين مرةثم الآيات الاربع مائة حسبنا الله ونعم الوكيل الآيات الى اربعمائة[1] حسبنا الله ونعم الوكيل بين كل خمسين الأيات الاربع ومن الادعية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اللهم[2] اني اسألك صحة في ايمانٍ وايمانا في حسن خلق ونجاحا[3] يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانا (وفتحنا عليهم بركات وأفوض

---

(١) قوله رحمه الله الى اربع مائة يعني يأتي أولاً بالأربع ولاناث يقول حسبنا الله ونعم الوكيل خمسين ثم يأتي بالأربع الآيات وحسبنا الله ونعم الوكيل خمسين تكمل مائة بالخمسين الأول ثم يأتي بالأربع الآثات ثم حسبنا الله ونعم الوكيل الى ان يكمل العدد ثمان مرات في الآيات الأربع واربعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(٢) اخرجه الحاكم في المستدرك والطبراني في الاوسط عن ابي هريرة في ا عن ابي هريرة بلفظه

(٣) النجاح بالفتح الظفر بالجوائح انتهى مختار .

أمري الى الله وما أشبه ذلك وان واظب العبد على آية الكرسي وآخره سورة الحشر وقل هو الله أحد فقد قيل ان فيها اسم الله الاعظم) الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى . وقد ورد انه لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين رواه مسلم اللهم اني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد أخرجه أهل السنن الاربع وابن حبان اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت الحنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام رواه أهل السنن الاربع وابن حبان وكذا ياذا الجلال والاكرام .
وقد قيل انه الاسم الشريف يعنى الله الا أنه يختلف الحال باختلاف الاشخاص في الخلوص واليقين ونحو ذلك وقيل يا حي يا قيوم ومما ينبغي المحافظة عليه أم الكتاب والاخلاص وآية الكرسي (وكذلك سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقد قيل انها الباقيات الصالحات) ومن دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله شيئاً الا وأعطاه لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وسمع[1] النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلا وهو يقول : يا ذا الجلال والاكرام فقال : قد أستجيب لك فسل ان[2] لله ملكا موكلاً بمن يقول : يا أرحم الراحمين فمن قالها ثلاثا

(١) اخرجه الترمذي وحسنه عن معاذ .

(٢) اخرجه الحاكم عن ابي أمامة .

قال الملك ان أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل (ووجد بخط بعض أئمة العبادة والفضل ولا يبعد ان يكون خبرا :من لازم سبع كلمات كان شريفا عند الله وعند ملائكته وغفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ووجد حلاوة الطاعة وحبي بخير وما بخير) قلت وعلى ذهني أنه قد ورد في كل واحدة من هؤلاء السبع أثر من الكتاب أو من السنة (أولها أن تقول عند ابتداء كل شيء اسم الله) وعليه الخبر كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع أو كما قال ، وله شواهد مع أنه المشهور في أقوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفعاله كما لا يخفى (وثانيها أن يقول عند فراغ كل شيء من عمله الحمد لله) وأيضاً فانه قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحمدله مالا يخفى فعلا وقولا وأولا وآخراً (وثالثها أن يقول بعد كل كلام ليس له استغفر الله) لانه قد ورد « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » هذا اذا فرضنا سلامته في كلامه عن ما يؤاخذ به وإلا فكلام ابن آدم كله عليه فلذا شرع الاستغفار وكفارة المجلس « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك » فان كان ختم المجلس بالتوسل الى الله تعالى بام الكتاب والاخلاص بعد دعاء شامل مع الاجتماع فنعما ذلك الختم (ورابعها أن يقول بعد قوله أفعل أولا أفعل ان شاء الله) وأما هذا فقد ورد به قول الله تعالى لرسوله صلى الله علبه وآله وسلم ﴿ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت﴾ (وخامسها اذا أصابه مكروه أن يقول

لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) وهذا أيضاً مشهور أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوله (وسادسها أن يقول عند كل مصيبة ﴿إنا لله وإنا اليه راجعون﴾) وهذا أيضا قد قال الله فيه عزمن قائل كريم ﴿**وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون**﴾ (وسابعها أن لا يفتر من لا إله الا الله) مع أنه قد ورد في هذا الذكر الاعظم ما لم يرد في غيره فان استطعت أن لا يزال لسانك رطبا منه على كل حال وفي كل حال فانك تفوز به في الدارين بكل بغية ومراد وما ظنك بذكر اخرج قائله من الشقاوة الى السعادة ونال المتمسك به الحسنى وزيادة ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم وقد ذكرت ما ظفرت به مما ورد فيه في كتاب الرضوان في أول أركان الاسلام ومن ذلك ما رواه جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله » رواه ابن ماجه والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح الاسناد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « ما قال عبد لا إله الا الله الا فتحت له ابواب السماء حتى يفضي الى العرش ما اجتنبت الكبائر » رواه الترمذي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « جددوا ايمانكم قيل يا رسول الله وكيف نجدد ايماننا قال أكثروا من قول لا اله الا الله » رواه احمد والطبراني . وعن[1] ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ليس على أهل لا إله إلا

(١) اخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عمر .

الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم وكأني أنظر الى أهل لا إله الا الله وهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد الله الذي أذهب عنا الحزن ».

فصل

والسابع من الاخلاق الثمانية عشر قول الامام عليه السلام (طهارة الباطن) وهي أهم من طهارة الظاهر فهي العمدة عليها يدور صلاح أمور الدارين والسعادة الأبدية التي هي الفوز الأكبر وتحقيق الطهارتين (أما تطهير الباطن فالمراد به تنظيف قلبه من الرذائل كالغل والحقد للمسلمين والحسد والكبرياء والرياء) والعجب وحب الدنيا والفخر والمباهاة وحب الجاه والذكر والسمعة (وغيرها من مساويء الاخلاق) ومذموماتها التي ورد الشرع الشريف بالنهي عنها في الكتاب العزيز والسنة النبوية (وقد تقدم ذكرها) فعليك بتأملها غاية التأمل ورياضة نفسك في ازالتها وقلع مغارسها من أصلها بحيث لا يبقى لها أثر مع الحزم الشديد وسوء الظن لكل داء من هذه الادواء التي هي أضر من السموم القاتلة اذ ضرر السموم نهايته الموت وضرر هذه الادواء هي موجب الخلود في دار الجحيم والتطهر منها مخلد في دار النعيم فأي شيء أهم من رياضة الباطن وتطهيره (وأما تطهير الظاهر فالمراد تنظيفه من التلوث بالنجاسات فان المتلوث بها لا يصلح

لمناجاة ربه والعبد مفتقر الى مولاه في كل حال وفي كل طرفة ولحظة) وأي افتقار أعظم من افتقار العبد الضعيف العاجز الى ربه القوي القادر على كلّ شيء فانه لا يزال مضطرا الى التوسل اليه بالاذكار والدعاء والتذلل والخضوع بانواع العبادات من الصلوات والصوم والحج ونحو ذلك فانه لا يليق به الا أن يكون في كل حال طاهراً باطناً وظاهراً قال الله تعالى ﴿**ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين**﴾ وهذا دليل على محبة الله تعالى للمتطهر باطنا وظاهراً لأن التوبة هي تطهير الباطن والتطهر هنا عام مع ان طهارة الظاهر لا تنفع الا مع طهارة الباطن اذ هي عمدة لكل خير ونجاة من كل شر (وفي الحديث « ولن يحافظ على الوضوء الا المؤمن » رواه ابن ماجه والحاكم وفيه « الوضوء سلاح المؤمن ») لانه مع الطهارة يكون أقرب الى ربه والى الملائكة (و) استجابة الدعاء والبعد عن ابليس وحزبه والعكس في عدم التطهر ولذا قال عليه السلام (وفيه « من اصابته مصيبة وهو على غير وضوء فلا يلومن الا نفسه ») دل هذا على التحذير عن ترك التطهر والبقاء في النجاسات لان الوضوء في الاصل مشتق من الوضاءة وهي النظافة ومهما أمكن الملازمة على الوضوء الشرعي فذلك افضل واجل اذ لا يبعد ان يكون هو المراد ولو في غير وقت الصلاةاذ من المعلوم ان حال المتوضيء افضل ولذا كان شرطاً في الصلاة ومن ما يدل على فضل الطهارة قوله تعالى فيه ﴿**رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين**﴾ (والوضوء على الوضوء نور على نور وبمدوامة العبد على الطهارة) الباطنة والظاهرة

(يوشك ان تتلألأ فيه الانوار الربانية) لان مراد الله تعالى ورضوانه مخبوء في طاعته تعالى ومن أعظم الطاعات الواجبة شرعاً تنقية الباطن من الخبائث التي هي الاخلاق المذمومة وتطهير الظاهر من النجاسات والحدثين نسأل الله تعالى ان يطهر قلوبنا بالايمان به واليقين الصادق الذي يوجب لنا به رضاءه في الدارين انه سميع قريب .

فصـــل

في فضيلة (لزوم الخلوة) وهذا هو الثامن من الاخلاق الثمانية عشر (وهي عبارة عن العزلة عن الناس ومن الشواغل واذا كانت في بيت مظلم فذلك أجمع لنور القلب) قال الله تعالى على لسان نبيه ابراهيم عليه السلام ﴿ **واعتزلكم وما تدعون من دون الله وادعو ربي**﴾ ثم قال ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً**﴾ وقال في قصة أهل الكهف : ﴿ **واذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله**﴾ وكل هذا في معرض المدح (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يحبب اليه الخلوة قبل النبوة وكان يتحنث) أي يتعبد (في جبل حراء الليالي والايام قبل أن يتنبأ بقدر خمس عشرة سنة) قيل بالتفكير والاذكار القلبية الموافقة

للعقل والله أعلم (وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال له أي الناس افضل قال : « مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قال ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه » وفي رواية « ويدع الناس من شره » رواه البخاري ومسلم) وفي التصفية للمؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعامر الجهني وقد قال له ما النجاة قال له : « ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك وابكِ على خطيئتك » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « انبئكم بخير الناس وأشار بيده نحو المغرب رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر أن يغير أو يغار عليه . ألا أنبئكم بخير الناس ؟ وأشار بيده نحو الحجاز رجل في غنيمة له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعلم حق الله في ماله اعتزل شرار الناس . وفي أمالي أبي طالب مستنداً الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « أن أعجب الناس إليّ رجلٌ يؤمن بالله ورسله يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعمر ماله ويحفظ دينه ويعتزل الناس » (وانما فضلت العزلة لأن النفس تأنس الى الناس والى اللهو واللعب فاذا حبسها العبد عن ذلك انقمعت حدتها ولانت شدتها) عن الحرص على الشهوات اذ مع الخلطة يشتاق العبد الى ما يراه من فعل غيره من أهل الشهوات فتتقوى دواعيها بسبب عدم العزلة عنهم ولا يتفرغ لما هو أهم من محاسبة نفسه والاستعداد للقاء ربه إلا بالخلوة (وحينئذٍ يتنور ويظهر برهانه وعن علي عليه السلام قال : العبادة حرفة حانوتها الخلوة أو كما قال ومن حبب

الله اليه الخلوة فقد تمسك بعمود الخلاص) ومن المعلوم عقلاً ان من اختلط بالناس اشتغل بهم وبما يفعلونه حتى يفوته ما هو أهم من ذلك من أصلاح أموره الدينية والدنيوية . وأعلم أن فوائد العزلة كما حكاه الامام المؤيد بالله يحيي بن حمزة رضوان الله عليه ست فوائد : « أولها الفراغ للعبادة . الثانية التخلص من المعاصي التي تكون مع الخلطة كالغيبة والنميمة والرياء والسكوت عما يجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسائر الاخلاق الرديئة التي يوجبها حب الدنيا والحرص عليها . الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات ، ولما ذكرت الفتن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اذا رأيت الناس مرجت[1] عهودهم وخفت أمانتهم وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه . قال الراوي : فما تأمرني يا رسول الله ؟ قال : ألزم بيتك وأملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر الخاصة ودع عنك أمر العامة » رواه في التصفية . الرابعة السلامة من شرور الناس فأنها كثيرة كسوء الظن والتهمة والاطماع الكاذبة والغيبة والكذب والحسد والعداوة والمكائد وغير ذلك . الخامسة أن تنقطع الأطماع فيما بينك وبين الناس فإن ارضاءهم لا يمكن ، والسلامة مما يجب عليك من حقوقهم كحضور جنائزهم وعيادة مرضاهم وحضور الولائم لأن قطع الأوقات في أصلاح نفسك أهم وأولى ، وأوقات الخلطة

(١) وأمر مزيج مختلط انتهى . مصباح .

كثيرة . السادسة السلامة من مشاهدة الثقلاء[١] ومكابدة[٢] طباع الحمقى فهذه فوائد العزلة (واعلم أن الناس في التمكن منها على درجات وقل من يستطيع الخلوة التامة المستمرة لكنه ينبغي أن لا يمنع العبد نفسه من الاخذ منها بنصيب أن تعذر التمام في حقه فإن القليل خير من العدم ولو لم تمكنه إلا ساعة من يومه أو ليله) فإنه من اشتغل بأمور الناس يعسر عليه الاعتزال عنهم والتجرد للاشتغال بنفسه وقطع العلائق بينه وبين الناس وكل على قدر مداخلته لهم يعسر عليه التخلص منهم (وبالجملة فلتكن العزلة على ذكر منه) قال : اجعله منك على ذكر أي لا تنسه حكى ذلك في شمس العلوم (وليحضر بذهنه ان مخالطة الناس لا تأتي بخير في الاغلب وأن لزوم الخلوة أشفى[٣] لقلبه وأذكر لذنبه وأقرب الى رضاء ربه) للسلامة من آفات الخلطة - التي ذكرناها والتفرغ للعبادة والاستعداد للآخرة .

(تنبيه * هذا الذي ذكرناه من الحث على الخلوة ولزومها إنما هو في حق من أحرز من العلم الديني ما يحتاج اليه في دينه) وأتقن ما يؤمن ان يضل فيه من ارتكاب بدعة يجهلها أو الاخلال بواجب أو نحو ذلك (فأما الجاهل فحاجته الى الخلطة

(١) واثقله الشيء اتعبه انتهى مصباح .
(٢) وكابد الأمر قاسى شدته انتهى مختار .
(٣) واشفيت على الشيء مالاً لف اشرعت انتهى مصباح .

للتعلم أكثر منها الى العزلة والله أعلم) . وفوائد المخالطة ست فوائد ذكرها الامام يحيي عليه السلام : أولها العلم والتعلم وهما من أعظم العبادات . الثانية النفع لغيره بأي وجه في الدين والدنيا وهو من أجل الطاعات والانتفاع بالناس ». فيما يحتاج اليه ديناً ودنيا . الثالثة الأنس والاستئناس بالعلماء وأهل الصلاح فإنه مما ينشط للاجتهاد في الطاعات بحسب حال من يخالطه ، ومهما كان في الوحدة وحشة ففي المجالسة ترويح القلب لكن ذلك يختلف بأختلاف الاشخاص والأحوال ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وليحرص من أراد ملاقات غيره ان لا يكون حديثه إلا عن أحوال الدين لا غير . الرابعة نيل الثواب وأنالته كحضور الجمع والجماعات فإنه لا رخصة في تركها إلا لعذر وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وادخال السرور على المؤمنين فينال الثواب بذلك بفعله لهم وينالونه بفعلهم له . الخامسة التواضع لأهل الصلاح فإنه من اعظم القرب فليحذر المعتزل ان يكون سبب اعتزاله التكبر عن المخالطة وعلامته محبة الجاه والثناء : السادسة ما يستفاد من التجارب والممارسة لأن من لم تحنكه(١) التجارب يبقى غراً(٢) مع أنه يكفيه البعض ليقيس عليها ما يرد عليه من الأمور ، ومنها وهو أهمها أن يجرب

(١) وحنكه تحنكاً ذلك حنكه والحنك محرك باطن اعلا الفم انتهى قاموس والمعنى من لم تتابع عليه التجارب يبقى غراً والله اعلم .

(٢) وغري به كرضي غرا وغِراء ولع به انتهى قاموس .

نفسه في أخلاق باطنه وصفاته ، وعلى الجملة ان الله سبحانه وله الحمد والثناء قد خلق للعبد العقل الذي يميز به بين الحسن والقبيح والمصالح وضدها ، فليأخذ في كل أموره بالوسط المحمود وكل ما كان مقرباً الى الله تعالى سالماً عن الشوائب ان هذا هو المقصد الأسنى والفوز الأعلى الموصل الى رضاء الله تعالى ، نسأل الله تعالى ان يمنحنا به انه سميع قريب آمين .

فصـــــل

وأما (مجالسة الصالحين) فهو التاسع من الاخلاق الثمانية عشر . اعلم أنه (قد تقدم ما في الخلوة من المصلحة وإنها ربما لا تمكن فاذا لم يتمكن منها العبد ولم تساعده نفسه عليها فعليه بمجالسة أهل الصلاح فإنه لا بد للمجالس ان يكتسب من قرينه ومجالسه ويأخذ من خلائقه وطرائقه قصد الى ذلك أو لم يقصد) ولهذا قيل شعراً :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه

فكل قرين بالمقارن أشكل

(فلذلك ينبغي أن يعمد الى من ترتضي خليقته وتحمد طرائقه فيجعله قرينه وأنيسه وخليطه وجليسه ليكون اخذه من

الطباع الحميدة والطرائق(١) السديدة(٢) ولعل الجليس الصالح خير من الوحدة) وهذا أيضاً يختلف بأختلاف الأحوال كما تقدم فلا يطرد في جميع الحالات . وللمجالسة آداب كثيرة : منها أن تلقى صديقك بوجه الرضى من غير ذلة ولا هم ولا هيبة من جهتهم وعليك بالوقار من دون تكبر بل تواضع من غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها ولا تنظر في عطفك(٣) ولا تكثر الالتفات ولا تقف عند الجماعات وتمكن في مجلسك ولا تشبك أصابعك ولا تعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وكثرة البصاق والتنخم والتمطي والتثاؤب في وجوه الناس ، وفي الصلاة وإدخال الأصبع في الأنف ونحو ذلك نعم وليكن حديثك حسناً منظوماً مرتباً ولا تحدث عن اعجابك بولدك وأهلك وشعرك وتصنيفك وجميع أفعالك وتوقف كثرة الاكتحال والاسراف بالدهن والالحاح في طلب الحاجات على العباد ولا تشجع أحداً على ظلم ولا قطيعة رحم . واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وتفكر في حجتك ولا تتكلم في حال غضبك إلا بعد سكونه واذا قربت الى سلطانه فأحذر منه وكن منه على حد السنان وان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشتهيه ولا تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وان كنت مستحقاً عنده فإن سقطة الداخل بين

(١) أي المذاهب انتهى

(٢) أي القائه بالحق انتهى مختار .

(٣) وعطف الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركيه والورك ما فوق الفخذ انتهى مختار .

الملك وأهله سقطة لا تنعش واذا دخلت مجلساً فأبدأ بالسلام ولا تتخطَّ من سبق واجلس حيث السعة وفيما هو أقرب الى التواضع وأن تحيي بالسلام من قرب منك وتغيث الملهوف وتعين المظلوم وترشد الضال وترد السلام وفي هذه أيضاً آداب لمن كان جالساً على طريق وان كان لا يحسن ومنها غض البصر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجانبة الكذب وصيانة السر وترك الملاعنة والكلام السيء فاذا كان من غيرك فتغافل عنه وان جالست العامة فأترك الخوض معهم في كل حديث غير مرضٍ وإياك وكثرة المزاح فإنه يميت القلب ويباعد عن الرب ويورث الغفلة والمذلة وتظلم منه السرائر وتكثر العيوب والذنوب وإياك أن تفشي سر الملوك أو تقدح في ملكهم فتهلك إلا أن يلطف الله بك فهو اللطيف الخبير.

(وليحذر من مجالسة من لا تقوى له ولا صلاح ، فإن ذلك من دواعي الشر) ، وقد حذر من ذلك الحديث النبوي وهو كما (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك اما ان يحذيك) بالجيم والدال أي يعطيك من مسكه (وإما أن تبتاع منه وأما أن تجد ريحاً طيباً ، ونافخ الكير أما أن يحرق ثيابك وأما أن تجد منه ريحاً خبيثة » رواه البخاري ومسلم) وروى ابو داود والنسائي بمعناه قال في التصفية قال صلى الله عليه وآله وسلم « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه

فقال عند أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك .

فصـــل

والعاشر من الاخلاق الثمانية عشر (الصمت) وهو الامساك عن الكلام فإنه محمود ودليله أنه (قال صلى الله عليه وآله وسلم « من صمت نجا » وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ وقد قال له يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما تتكلم به ؟ مستبعداً لذلك ، ومتعجباً منه فقال : « ثكلتك أمك وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ») قوله ثكلتك[1] أي حزنتك وهي كلمة زجر لا يراد بها الحقيقة (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « الصمت نصف العبادة ») وفي التصفية وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال : « امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وأبك على خطيئتك » رواه أبو داود وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « من يتكفل لي ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة » رواه البخاري والترمذي وعن أبي جحيفة قال قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أي الأعمال أحب الى الله ؟ قال

(١) الثكل بوزن القفل فقدان المرأة ولدها انتهى . مختار .

فسكتوا فلم يجبه احد قال : هو حفظ اللسان » رواه أبو الشيخ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « والذي لا إله غيره ما على ظهر الأرض شيء أحوج الى طول سجن من اللسان » وعن أبي رافع « من حفظ ما بين فقميه وهو اللسان وفخذيه دخل الجنة » رواه الطبراني وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال : « قل ربي الله » قال قلت يا رسول الله ما أخوف ما نخاف علي فأخذ بليسان نفسه ثم قال : هذا رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قال قلت يا رسول الله أي شيء اتقي ؟ فأشار بيده الى لسانه » رواه أبو الشيخ ، وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقة[1] » رواه احمد وعن أنس قال لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا ذر فقال : « يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر واثقل في الميزان من غيرهما قال بلى يا رسول الله قال عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما » رواه ابن أبي الدنيا وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً قال اذا أصبح بن آد م فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول : أتق الله فينا فإن استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا » رواه الترمذي وفي

(١) أي دواهيه وغوائله انتهى . واغتاله اذا اخذه من حيث لا يدري انتهى . مختار .

رواية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ليس من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان على حدته أي شره وفحشه » وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من سره أن يسلم فليلزم الصمت » رواه ابن أبي الدنيا وغيره وعن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين[1] فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب » رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي إلا أنهما قالا ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً » قوله ما يتبين فيها أي ما يتفكر هل هي خير أو شر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يلقى لها بالا[2] يرفعه الله بها درجات في الجنة وان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في جهنم » رواه مالك والبخاري والنسائي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم حكى هذه الاخبار عبد العظيم المنذري (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « من وقاه الله شر اثنين ولج الجنة ما بين لحييه وما بين رجليه » رواه مالك) وقد تقدمت اخبار بمعناه وفي فضل الصمت أحاديث كثيرة (وقيل الصمت حكم وقليل فاعله وقيل العبد اذا سكت عن فضول الكلام تكلم القلب ونوره الله

---

(١) ما يتبين فيها أي ما يفتكر هل هي خير أو شر انتهى . منذري .

(٢) البال القلب انتهى مختار . اي ما يفكر بقلبه فاطلق الظرف وأراد به المظروف الذي هو العقل والله اعلم .

تعالى فأشتغل بالطاعة وذكر وفكر) وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان اكثر الخطايا من ابن آدم في لسانه » وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره (وقيل في قوله تعالى ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ ان المراد الصمت الا من المهم) وروي عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه أنه قال يا رسول الله صلى الله عليك أوصني قال « اعبد الله كأنك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله وأشار الى لسانه » وعن صفوان بن سليم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن الخلق » (ومن محاسن الصمت وفضائله السلامة مما فشا وانتشر وعم الورى والبشر إلا من عصمه الله وقليل ما هم وهو الوقوع في الغيبة والتلوث[1] بدرن النميمة)

فصـــل

وحقيقة الغيبة أن تذكر أخاك الغائب عنك بما يكرهه لو

(١) لوث ثوبه بالطين تلويثاً لطخها ولوث الماء أيضاً كدره انتهى مختار .

بلغه سواء كان نقصاناً في بدنه أو في أي شيء ينسب اليه ولو ثوبه وداره وماله ونحو ذلك وحقيقة النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول اليه أو المنقول عنه أو كرهه ثالث وسواء كان النقل قولاً أو كناية أو رمزاً[١] أو إيماء وعلى الجملة فهي افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما أراده الانسان ورآه من أحوال الناس فينبغي أن يسكت عنه إلا أن يكون فائدة لمسلم أو دفع معصية كشهادة على من يأخذ مال غيره وأما من يخفي مال نفسه فلا تذكره لأنه نميمة فإن كان في النميمة نقصان في المحكي عنه أو ذكر عيب فقد جمع بين الغيبة والنميمة (فإن هاتين الرذيلتين الموبقتين ولا سيما الغيبة لا يكاد قليل الصمت يسلم منهما ومن التضمخ بهما ولا شك في قبحهما وعظم موقعهما في العصيان فإنه شأن[٢] نطق به القرآن وتكاثرت فيه الاخبار وورد فيه من الترهيب والوعيد الشديد ما لا يقدر قدره فنعوذ بالله من ورطات اللسان وهفوات الجنان) وأعلم أنه ورد فيهما ما لم يرد في غيرهما لعظم لهج الناس بهما وقبح ما يؤديان اليه اذ هما أساس كل فتنة وقد يكون بسببهما القتل والقتال وكل قبيح من الافعال (وكفى بقوله تعالى في الغيبة ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه** ﴾ وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تقبيح هذه الخصلة الذميمة وتشنيعها

(١) الرمز الاشارة والايماء بالشفتين والحاجب وبابه ضرب ونقر انتهى مختار .
(٢) الشأن الأمر انتهى مختار .

وتهجيها(١) وتفظيعها(٢)) وقد نبه الله تعالى في الآية على ثلاثة مكروهات الأول النهي عنها والثاني التشبه بأكل لحم الميت اذ هو أخبث مأكول الثالث قوله فكرهتموه (و) أما الأخبار النبوية (فقوله صلى الله عليه واله وسلم « ان الربا نيف وسبعون باباً أهونهن باباً من الربا مثل من أتى أمه في الاسلام ودرهم رباً أشد من خمس وثلاثين زنية وأشد الربا وأربى الربا وأخبث الربا انتهاك عرض المسلم وانتهاك حرمته رواه البيهقي وغيره) وفي كتاب عبد العظيم المنذري عن أبي بكرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في خطبة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت » رواه البخاري ومسلم وغيرهما وفي رواية لمسلم « كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » وروى البزار عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أربا الربا استطالة المرء في عرض أخيه المسلم » وفي بعض نسخ أبي داود « ان من الكبائر استطالة الرجل في عرض رجل مسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان(٣) بالسبة » وروي ابن أبي الدنيا أطول منه ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وآله سلم « الربا سبعون حوباً وأيسرها كنكاح الرجل أمه وأن أربى الربا عرض الرجل المسلم » والحوب هو الاثم وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال

(١) وتهجين الأمر تقبيحه انتهى مختار .

(٢) وفظع الأمر من باب صرف فهو فظيع أي شديد شنيع انتهى مختار .

(٣) تثنية سب والسبّ الشتم والقطع والطعن وبابه يرد انتهى مختار وزيادة صدره

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه : « تدرون أربى الربا عند الله قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا** ﴾ رواه أبو يعلي ورواته رواة الصحيح وعن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « ان من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق » رواه ابو داود وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته [1] » رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وقد روي من طرق كثيرة قلت وهذه حقيقة نبوية فلتحفظ وعن البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسمع العواتق[2] في بيوتهن فقال : « يا معاشر المسلمين من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته » وأوحى الله الى موسى عليه السلام انه من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « خمس ليس لهن كفارة

---

(١) وبهته أيضاً قال عليه ما لم يفعله انتهى مختار .

(٢) أي الشواب انتهى مختار .

الشرك بالله وقتل النفس بغير حق وبهت المؤمن والفرار من الزحف ويمين صابرة يقتطع بها مالاً بغير حق » رواه احمد .

فصــــل

وعن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من ذب عن عرض أخيه بالمغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار » رواه احمد بأسناد حسن وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من رد عن عرض اخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » رواه الترمذي وقال حديث حسن وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حمى عرض اخيه في الدنيا بعث الله عز وجل ملكاً يوم القيامة يحميه من النار » رواه بن أبي الدنيا وروي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من اغتيب عنده اخوه المسلم فلم ينصره وهو يستطيع نصره أدركه اثمه في الدنيا والآخرة » رواه ابو الشيخ وعن جابر بن عبد الله وابي طلحة الأنصاري قالا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما من امريء مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من أمرء مسلم ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضة وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته رواه أبو داود .

وأعلم أن أسباب الغيبة الباعثة عليها إحدى عشر سبباً ثلاثة تختص بأهل الدين وثمانية عامة لهم ولغيرهم فالأول من الثمانية شفاء الغيظ بسبب الغضب والحقد عليه الثاني الاستشعار بأن يخشى المغتاب من رجل أن يضره عند الرؤساء ونحو ذلك الثالث وهو أكثر ما يكون موافقة الأقران ومجاملة الاخوان والرفقاء بالتفكه بذكر أعراض الناس فيخشى أن يستثقلوه أن أنكر عليهم فيرى ان ذلك من حسن المعاشرة ولا يعلم انه من أعظم الموبقات . الرابع أن ينسب الى شيء فيريد أن يتبرأ منه بذكر غيره ولا يقتصر على تنزيه نفسه الخامس ارادة التصنع والمباهاة بأن يرفع نفسه بنقص غيره السادس الحسد وهو انه ربما يحسد من يحبه الناس ويثنون عليه فيريد زوال تلك النعمة من غيره بانتقاصه السابع اللعب والهزل والمطايبة وتزليج الوقت بالضحك وهذا دأب الأسافل من الناس وسقطهم . الثامن السخرية والاستهزاء والاستحقار بالغيبة ، وهذه كلها أوزار موبقة . وأما الأسباب الثلاثة الخاصة لأهل الدين فهي : أدقها وأشرها وأضرها . فالأول التعجب كأن يقول : من يرى أنه من أهل الدين تعجبت من فلان كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل . الثاني الرحمة وهو أن يغتم من بلوى أحد فيقول : مسكين فلان قد غمني أمره ، وإنما تكون غيبته في هذا وما قبله وما بعده إلا حيث يذكر اسم من يذكره . الثالث الغضب لله تعالى فإنه قد يغضب من منكر فعله انسان فيظهر غضبه ويذكر اسم الانسان . فهذه الثلاثة مما يغمض على

كثير من العباد.

تنبيه في علاج الغيبة * اعلم ان علاجها يكون بالعلم والعمل وعلاج كل شيء بضده فيعلم المغتاب أنه متعرض لسخط الله تعالى ولائمته لما تقدم من الآيات والاخبار ويعلم أنها محبطة لحسناته وان حسناته تكون لمن أغتابه عوضاً عن هتك عرضه ولينظر العبد أن كان لبيباً الى الأسباب المتقدم ذكرها الباعثة على الغيبة فيتأملها واحداً واحداً ويسعى في ابطالها وقطع عروقها حتى لا يبقى منها شيء رقد ذكر كل شيء في موضعه . ومما يجر الى الغيبة سوء الظن فإنه مهلك قال الله تعالى ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن أثم﴾ وايضا التجسس وقد قال تعالى ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ﴾ فهذه الثلاث مما يجب ويتحتم الاحتراز منها والتيقظ لأزالتها ومن أعظم البواعث عليها شفاء الغيظ وقد روى مولانا الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام بعد ان ذكر معنى ما تقدم قال وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « ان لجهنم باباً لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعصية الله » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من اتقى ربه كَلَّ لسانه ولم يشف غيظه » وقال صلى الله عليه عليه وآله وسلم « من كظم غيظه وهو يقدر على انفاذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره من أي الحور شاء .

فصـــل

وأما الأعذار المرخصة للغيبة فقد جمعها بعض العلماء بقوله شعراً :

الـذم ليس بغيبـة في ستـة   متـظلم ومعـرف ومحـذر
ولمظهر فسقاً ومستفت ومن   طلب الأعانة في ازالة منكر

وأما التوبة من الغيبة فإنها من أهم الواجبات والذي قرره أهل المذهب الشريف أنه ان بلغت الغيبة الى من اغتبته تحتم عليك الاستحلال منه مع الندم فيما بينك وبين الله تعالى فإن عفا عنك كان له الأجر الواسع وان لم يعف عنك فما عليك إلا ذلك وإن لم تكن قد بلغته فلا يجب اعلامه لأن في ذلك جرح صدره فيكفي الاستغفار والتوبة الى الله والندم الصادق وقد روي عن الحسن البصري أنه يكفي الاستغفار محتجاً بما رواه عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « كفارة من اغتبت أن تستغفر له » ويستدل لما تقدم بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من كانت عنده لأخيه مظلمة في عرض أو مال فليتحللها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم » ذكر معنى ذلك الامام المؤيد بالله رضوان الله عليه واختار عدم الوجوب إلا أنه قال يستحب المبالغة في الثناء والاعتذار والتودد ويلازم على ذلك حتى تطيب نفسه

نسأل الله تعالى أن يقود بنواصينا الى رضناه ويستعملنا فيما يرضيه .

فصــل

وأما ما وردِ في النميمة فكفى بقول الله تعالى ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين هماز مَشّاءٍ بنميم مناع للخير معتد أثيم عُتلّ بعد ذلك زنيم﴾ وقال تعالى ﴿ ويل لكل همزة لمزة﴾ قيل الهمزة النمام وكذا قال تعالى ﴿ حمالة الحطب﴾ قيل كانت تحمل الحديث وقال تعالى ﴿ فخانتاهما﴾ قيل كانت امرأة لوط تخبر قومه بالضيفان وامرأة نوح كانت تقول هو مجنون وغير ذلك ذكر ذلك المؤ يد بالله عليه السلام في التصفية قال وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل الجنة نمام » وفي حديث آخر « لا يدخل الجنة فتان »[1] » وهو النمام رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وقال أبو هريرة قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقاً الموطئون اكنافاً[2] الذين يألفون ويؤ لفون وان أبغضكم إليّ المشاؤ ون بالنميمة المفرقون بين الاحبة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبرآء العثرات » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله

(١) القتات والنمام بمعنى واحد وقيل النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثاً فينم عليهم والقتات الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون انتهى منذري .

(٢) أي جانياً وهي كناية عن التواضع والله اعلم

قال : المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقاً على الله عز وجل أن يذيبه بها يوم القيامة في النار » وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مر بقبرين يعذبان فقال : « انهما يعذبان وما يعذبان في كبير بلى انه كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من البول » رواه البخاري واللفظ له ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه حكاه المنذري في كتابه وفيه عن عبد الله بن يسر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه » ثم تلا صلى الله عليه وآله وسلم « والذين ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وأثماً مبيناً﴾ رواه الطبراني وفي التصفية روى كعب الاحبار انه أصاب بني اسرائيل قحط فأستسقى موسى مرات فما أجيب فأوحى الله اليه اني لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة . فقال يا رب من هو حتى اخرجه من بيننا فقال يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماماً فتابوا بأجمعهم فسقُوا .

تنبيه * اعلم أنه ينبغي لمن بلغته النميمة آداب ستة :
الأول ان لا يصدقه فيما قال لأنه مردود الشهادة قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً

بجهالة » الثاني أن ينهاه وينصحه ويقبح له ما فعله . الثالث أن لا تظن بأخيك الغائب سوءاً لقول الله تعالى ﴿ اجتنبوا كثيراً من الظن ﴾ الخ . الرابع ان تبغض النمام في الله لأنه بغيض عند الله . الخامس ان لا يحملك ذلك على التجسس لقوله تعالى ﴿ ولا تجسسوا﴾ السادس أن لا ترضى لنفسك ما نهيت النمام عنه فلا تقول حكى لي فلان كذا فتكون نماماً (وقوله تعالى في النميمة ﴿ هماز مشاء بنميم﴾ وما في سياق هذه الآية العظيمة من تعظيم قبح النميمة حيث نعتت الى أشد الناس كفراً ووسطت بين أصوفاه النميمة لا يغفل ذكرها في جنب كفره وعتوه ومنعه وغلوه) قال في الثمرات ونزولها في الوليد بن المغيرة وقيل في الأخنس بن شريق وقيل في الاسود ابن عبد يغوث قال جار الله وكفى به زجرة لمن اعتاد الحلف والهماز الغياب الطعان . وعن الحسن يلوي شدقه في أقفية الناس والمشاء بالنميم(١) وهو النقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم (وقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يدخل الجنة نمام » رواه البخاري ومسلم وغيرهما) وقد تقدم ما ورد في النميمة نعوذ بالله مما يباعد عن رضاه (ومن المصائب في الدين أن الوقوع في الأعراض والاغتياب المحض قد فشي في الناس فلا يكاد يخلو منه برٌّ ولا فاجر) بل (ولا عالم ولا جاهل بل تمكن الشيطان) نعوذ بالله منه (في التدخل من هذه الجهة واجلب بخيله ورجله من هذه

---

(١) لفظه في الكشاف والنميم والنميمة انتهى فاتى بها مذكرة ومؤنثة .

الجهة) فبلغ فيها مراده وبغيته (فيا مصيبتاه) كما يقال فيا غارتاه ونحوه والقصد التأسف والتوجع من كثرة اللهج بالغيبة والنميمة ليعلم المطلع خطرهما فيتجنبهما أعظم من تجنب السموم القاتلة لأنهما أضر وأمر اذ ضررهما دوام الخلود في النار نسأل الله سبحانه النجاة من النيران والفوز بالرضوان .

تنبيه * (و) أما (نفي الخواطر الرديئة) أي الموجبة للهلاك فقد (قال) الله (تعالى حاكياً عن الشيطان لعنه الله تعالى ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ وهذا دليل على اجتهاده في الاغواء فليجتهد العبد اللبيب في جهاده والحذر منه (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ليس أحد إلا ومعه ملك وشيطان فلمة[1] الملك إيعاد بالخير ولمة الشيطان إيعاد بالشر) ولعل مراده باللمة القرب والارادة والصحبة ان كان بضم اللام . قال في القاموس وبالضم الصاحب والأصحاب والمؤنس (وعليه قوله تعالى ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ والله يعدكم مغفرة منه تفضلاً والله واسع عليم » (قيل والخواطر أربعة أولها خاطر الحق ـ سبحانه وتعالى) وهو (يقع في القلب بلا سبب فيطمئن به) من خطر له ذلك الخاطر (ومنه نوع آخر وهو الإلهام وعليه قوله تعالى ﴿ فألهمها فجورها وتقواها﴾ قال في الكشاف ومعنى إلهام الفجور والتقوى إفهامهما

(٢) قال في النهاية لمتان لمة من الملك ولمة من الشيطان اللمة الهمة والخطرة تقع في القلب اراد الماِم الملك أو الشيطان به والقرب منه فما كان من خطرات الخير فهو من الملك وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان انتهى .

وإعقالها وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما بدليل قوله تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ انتهى وفي دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم «اللهم آتِ نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها» وهو من سؤال اللطف والتوفيق عند اهل العدل (وثانيها خاطر القلب ومنه قوله تعالى ﴿ وقلوبهم وجلة﴾ أي مطمئنة منطلقة من الشك والريب ﴿انهم الى ربهم راجعون﴾وهذا يكون بالتفكر والتأمل في كتاب الله تعالى ومواعظه والوعد والوعيد وغير ذلك وهذا من اجل المهمات في امر الدين اذ العمدة اصلاح القلب اذ بصلاحه صلاح الباطن والظاهر (وثالثها خاطر الملك وهو الذي يثلج[1] قلب المؤمن ويطمئن كما في الأثر : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقى جبريل عليه السلام وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين يلقاه جبريل اجود بالخير من الريح المرسلة) ولعل والله أعلم أن ذلك لهوان الدنيا عليه وان كانت عنده كذلك في كل حال إلا ان مجالسته لجبريل عليه السلام تزيده تباعداً عنها وشبهاً بالملائكة المعصومين سلام الله عليهم وقد ذكر الامام المؤيد بالله يحي بن حمزة رضوان الله عليه كلاماً مفيداً جداً في التصفية ومن ذلك ما معناه فحصل من مجموع ما ذكرناه ان تميز الانسان عن غيره يكون

---

(١) ثلج القلب ثلوجاً وثلجاً من باب قعد وقعب اطمأن انتهى مصباح .

بخاصتين الأولى العلم وأشرف أنواعه العلم بالله تعالى وصفاته الثانية الحكمة[١] وهي حالة للنفس يدرك بها الصواب من الخطأ في جميع افعاله وأقواله فتكون مطابقة لمنهاج الحق والصواب واليه الاشارة بقوله تعالى ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ فلا فضل يكون إلا بإحراز هذين الأمرين . وعلى الجملة فما من عضو من اعضاء الانسان إلا ويمكنه استعماله والاستعانة به فيما خلق له من طاعة الله تعالى والوصول به الى السعادة الآخروية فيكون لقاء الله تعالى مقصده والدار الآخرة مستقره والدنيا منزله فمن أجل ذلك كان الانسان متميزاً بما ذكرناه (ورابعها خاطر الشيطان والنفس) وهواها وشهواتها (ولا يحدث الشيطان في القلب إلا الوسوسة) الخبيثة الموجبة للهلاك في الدنيا والآخرة (وذلك بأن يدعو الى الضلالة) المفضية بمن قبلها الى الوبال (فإذا دعاه الى ذنب ودافعه العبد) بما يجب عليه ويتحتم من أن يدافعه (بالمجاهدة) النافعة (دعاه الى ذنب آخر) فعلى العبد مدافعته كلما ورد عليه من ذلك (وله لطائف في الاضلال) دقيقة وبيئة تحتاج الى التيقظ وشدة الاحتراز منها في كل حال (فيضل كل واحد بما يليق به) فيأتي أهل الدين من بابه . مثاله الشك في الطهارة والصلاة فيظن أنه زيادة في الدين وكذلك البدع المحدثة في أصول الدين وأصلها الغلو فيه بأن يأتي العبد بشيء لم ينزله الله في كتابه ولا نطق به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويظن أنه من

---

(١) الحكمة والحكيم المتقن للأمور انتهى . المختار

تنزيه الله ونحو ذلك وما هو إلا من أضاليل الشيطان نعوذ بالله منه لأن حقيقة البدعة الزيادة في الدين أو النقص منه ويأتي أهل الدنيا من بابها كالكبر والعجب والمباهاة والتكاثر والغضب والحقد والعجلة (والنفس توافقه) ومن أعظم المهلكات المهمة التي هلاك اكثر الناس بها التسويف (فتمني صاحبها بنحو) ان توسوس له أن (الأيام والأعوام كثيرة) طويلة وأنت في حال الصحة والعقل والتمكن (فتعمل الآن) ما تريد وأما العمل الصالح فالعبرة بحسن الختام (وعسى أن تعمل بذلك في آخر عمرك) ثم لا يزال به الغرور والتواني عن التوبة والتخلص والاستعداد (الى أن تأتيه المنية بغتة) فلا يستطيع لشيء مما كان يؤمله ويعزم على فعله فإن خالف نفسه وسارع الى فعل ما ألهمه الله تعالى فاز بالسعادة الابدية نسأل الله تعالى أن يستعملنا في مرضاته آمين (قال بعضهم جاءني الشيطان لما لزمت الخلوة فقال انك رجل عالم وعلمك بالانقطاع عن الناس يذهب فدافعته فجاءني من طريق فقال انك رجل عالم فلو جمعت كتاباً وسميته حبل الوريد على المريد كان ذخراً لك في الدنيا والآخرة فهممت بذلك فنهاني الشيخ عنه وقال هذا الشيطان يريد أن يشوش(١) عليك الخلوة فأحذره) قلت ولعل ذلك خشية من غلبة الشيطان له عند المجاهدة وإلا فقد قيل ترك العمل لأجل الرياء رياء والعبرة بالنية وقت الابتداء ثم ما خطر من الوساوس الشيطانية

(١) التشويش التخلبط وقد تشوش عليه الأمر انتهى مختار .

والنفسانية وجب عليه مجاهدتها مستطاعة بالعلاجات النافعة التي تقدم ذكرها في الرياء وأما لو ترك كل عمل خشية الرياء ما تم عمل ولا كان والاستعانة بالله تعالى وهو حسبنا وكفى .

فصــــل

ومما يحمد من الخصال (الاقلال من النوم) وهذا هو الخلق الحادي عشر من الثمانية عشر . اعلم أيها المطلع ان (النوم احدى الموتتين) والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ **الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى** ﴾ ومن دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند النوم « بإسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه أن أمسكتَ نفسي فأغفر لها وأن أرسلتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » ومن دعائه أيضاً « اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها لك مماتها ومحياها ان احييتها فأحفظها وان أمتها فأغفر لها اللهم أني أسألك العافية » قيل اجمع العلماء والحكماء ان كثرة النوم من كثرة الشرب وكثرة الشرب من كثرة الأكل فينبغي للعاقل أن يتجنب الكثرة في الأكل لما يترتب عليه فإن كثرة النوم مذمومة (وهو تضييع للعمر وتفويت للحياة التي هي مزرعة الآخرة) ومتجر الأعمال الربيحةالنفيسةالتي كل نفيس في الدنيا بالنسبة اليها لا شيء اذا الأعمال المقبولة للبقاء تورث النعيم الدائم في أعلى درجات الفردوس ونفائس الدنيا فانية في

أسرع الأحوال فلينظر العاقل كم بينهما من التفاوت حتى يحثه ذلك النظر على الحرص في الازدياد من العمل والاقتصاد في النوم على ما لا بد منه (ق) انه (يكفي بل يزيد على الكفاية ان يقتصر على نوم ثلثي الليل فهو ثلث العمر وكفى بتضييع ثلثه) مع أن ضياع ساعة بل لحظة منه غبن[١] عند أهل الهمم العالية فقد قيل ان العبد يندم في الآخرة حين ينظر ما يبلغ به أهل الدرجات العالية بسبب الحرص على الأوقات في رضى ربهم حيث لا ينفعه ندمه فيقول : « يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله » هذا فيمن كان من أهل العذاب وقد قيل ان من لم يكن من أهل الدرجات العالية يندمون على ما مر عليهم من اللحظات في الدنيا ولم يكن فيها رضي الله تعالى (ولا ينبغي نوم النهار إلا لمن يقوم الليل فإنه لقيام الليل كالسحور لصائم النهار ومن المقت أن يتسحر من لا يصوم) وهنا فإن من المقت أن ينام النهار من لا يقوم الليل لعبادة الحي القيوم وأيضاً فأنفع نوم النهار لذلك وقت القيلولة لا غيره وعلى الجملة فلا أضر من الغفلة عن التيقظ لما خلق له العبد من عبادة الله تعالى والنظر فيها بحثه عليها ويقوده الى الاجتهاد فيها فإن النظر في ذلك يثمر هداية القلب حتى يألف الطاعة ويرتاح لها كما قيل شعراً :

واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء

---

(١) أي نقص

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ارض بها يا بلال » يعني بالصلاة (ولا ينبغي لمن غلبه النوم وهو في ذكر أو صلاة أو قراءة فشوش ذلك عليه ان يغالبه بل ينام حتى يعقل ما يقول) قال في كتاب المنذري عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم اذا صلى وهو ناعس لعله يذهب فيسب نفسه » رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة والنسائي . وفيه أحاديث بمعناه وفي النهي أن ينام الانسان الى الصباح والترغيب في قيام الليل (واعلم ان النوم راحة البدن وأن المجاهدة اتعابه) أي أتعاب البدن (فاذا هجر العبد النوم والاستراحة) وَجَدَّ على نفسه ولو قسراً بعزم صادق لا يفل حده ولا يكل جده وترك توافي النفس وخدع الشيطان وساقها بتذكر الوعد والوعيد والشوق الى رضوان الله المزيد (ذابت الجوارح) وانقلعت مغارس الشهوات المردية (فحيي القلب) واشتاق واستروح بما يرجوه من رضى الخلاق (وارتفع عنه حجاب الشهوات فرأى من فضل ربه من العنايات والكرامات والتيسيرات ما يبهر العقول ويؤذن بالقبول (فنال بذلك خيراً كثيراً) غايته نعمي وملك كبير .

فصـــل

في قيام الليل عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربه الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الأثم رواه[1] الترمذي وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ورواه سلمان[2] الفارسي مرفوعاً وزاد فيه : ومطردة للداء عن الجسد وعن أبي أبي هريرة وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا ايقظ الرجل أهله من الليل فصليا او صليا ركعتين جميعاً كتبا في الذاكرين والذاكرات » رواه ابو داود وروي[3] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت أم سليمان بن داود لسليمان لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل

(١) لفظ المنذري رواه الترمذي في كتاب الدعاء من جامعة وابن ابي الدنيا في كتاب التهجد وابن خزيمة في صحيحه والحاكم كلهم في رواية عبيد بن صالح كاتب الليث قال الحاكم صحيح الى آخر ما هنا بلفظه .

(٢) اخرجه عنه الطبراني في الكبير ورواته عبد الرحمن ابن سليمان بن أبي الجون والترمذي من رواية بكري خنيش عن محمد بن سعيد الشامي وعبد الرحمن أصلح حالاً من محمد بن سعيد انتهى . منذري .

(٣) اخرجه ابن ماجة والبيهقي وفي اسناده احتمال للتحسين انتهى منذري بلفظه

فقيراً يوم القيامة وعن(١) عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في الجنة غرفة يَرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال أبو مالك الاشعري لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام واطعم الطعام وبات قائماً والناس نيام وعن أبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثَلاثَ عقدٍ يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فأرقد فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة وروي عن علي رضوان الله عليه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان في الجنة لشجرة يخرج من اعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت ولا تروث ولا تبول لها اجنحة خطوها مد البصر فيركبها اهل الجنة فتطير بهم الى حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم درجة يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة كلها قال فيقال لهم كانوا يصلون بالليل وكنتم تنامون وكانوا يصومون وأنتم تأكلون وكانوا ينفقون وأنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وانتم تجبنون رواه ابن ابي الدنيا وروي عن اسماء بنت يزيد عن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) اخرجه الطبراني في الكبير بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح على شرطهما . انتهى منذري .

وآله وسلم انه قال : « يحشر الناس في صعيد واحد يوم القيامة فينادي منادٍ فيقول اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب رواه البيقهي وفي ذلك احاديث كثيرة حكى الجميع في كتاب عبد العظيم المنذري .

فصـــل

والثاني عشر من الاخلاق الثمانية عشر قول الامام عليه السلام (المحافظة على الأمر الوسط في الطعام والشراب) وهذا اصل عظيم في الاستعانة على امر الدنيا والدين ففيه حفظ صحة البدن ونشاطه للطاعات والمحمود منه التوسط (بأن لا يشبع شبعاً مفرطاً ولا يجوع جوعاً مفرطاً ويدل عليه قوله تعالى ﴿ كلوا وأشربوا ولا تسرفوا﴾ وقال تعالى ﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ (والاخبار والآثار في ذم الشبع كثيرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم « إذا سكنت كلب الجوع برغيف فعلى الدنيا العفاء » قيل وفي الخبر هذا تعيين قدر المطعوم) وعن المقدام بن معد يكرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن

بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه رواه الترمذي وهو في كتاب المنذري (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « ان اكثر الناس شبعاً في الدنيا اكثرهم جوعاً يوم القيامة رواه ابن ماجة وغيره) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم وقد عمد الى حجر فوضعه على بطنه ثم قال « الأرب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ، الارب مكرم لنفسه وهو لها مهين ، الارب مهين لنفسه وهو لها مكرم » رواه بن أبي الدنيا وهو في كتاب المنذري (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم ليؤتين يوم القيامة بالعظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرأوا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً رواه البيهقي بهذا اللفظ والبخاري ومسلم بأختصار) وعن عائشة قالت رآني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد أكلت في اليوم مرتين فقال يا عائشة أما تحبين أن يكون لك شغل ألا جوفك ، الأكل في اليوم مرتين من الأسراف ، والله لا يحب المسرفين » رواه البيهقي وهو في المنذري . وقال في التصفية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس عمل أحب الى الله من جوع وعطش » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل ملكوت السموات والأرض من ملأ بطنه » وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل قال : « من قل أكله وضحكه ورضي بما يستر عورته » وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « أفضلكم عند

الله أطولكم جوعاً » وفي خَبرٍ سيد الأعمال الجوع « ولعظم موقع الشبع في المضرة قيل الآفات كلها مجموعة في الشبع والخيرات كلها مجموعة في الجوع) وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة » وفي خبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجوع من غير عوز أي مختاراً له وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله ليباهي الملائكة بمن قل طعامه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته في الدنيا بالطعام والشراب فتركهما أشهدوا يا ملائكتي أن ما من أكلة يدعها إلا أبدلته بها درجات في الجنة » وفي حديث أسامة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « أقرب الناس من الله يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا ، الاخفياء الاتقياء » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم » قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظمأ (وعن أمير المؤمنين عليه السلام في عدد آفات الشبع انها قدر سبع وعشرين آفة يقسي القلب ويضر الجسد ويذهب البهاء وينسي الرب ويمحق الدين ويذهب باليقين وينسي العلم وفيه ترك الادب وركوب المعاصي واحتقار الفقراء ونقصان العقل وذهاب السخاء وزيادة البخل وثقل النفس وزيادة الشهوات وقوة الجهل وكثرة الكلام والفضول وحب الدنيا وكثرة الضحك ويهيج دعاة السوء وينسي ذكر الموت ويهدم الصلاة ويقلل الاخلاص ويطيل النوم ويكثر الغفلة ويفرق الاصحاب ويكثر الغم يوم القيامة مع طول الحساب الى غير ذلك من الرذائل وفي الجوع

محامد بعدد هذه وهي أضدادها) ذكر منها في التصفية عشراً : أولها صفاء القلب وأيقاد القريحة ونفاذ البصيرة والثانية رقة القلب التي تدرك بها حلاوة مناجاة الله تعالى الثالثة الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشر الرابعة ان لا ينسى بلاء الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاء الخامسة كسر الشهوات الموجبة للمعاصي السادسة منع النوم ودوام السهر في طلب رضى الله السابعة تيسير المواظبة على العبادة ، الثامنة صحة البدن ودفع الأمراض ، التاسعة خفة المؤ ونة العاشرة التمكن من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين كما ورد في الخبر فما تأكله فخزائنه الكنيف وما تتصدق به فخزائنه فضل الله ورحمته (والشبع مانع من العلم والعمل وأجمعت الحكماء والزهاد على أن الجوع سبب نور القلب والشبع مانع عنه وما مرض قلب بأشد من القسوة وما صحت نفس بمثل الجوع) وتقليل الطعام له درجات خمس : الأولى أن يأخذ منه ما يقيم الروح الذي لا يبقى من دونه وهذا لا يكون إلا بالرياضة قليلاً قليلاً الثانية أن يستعمل نصف المد وهو رغيف وهذا قد يكون ثلث البطن وثلث للشراب الثالثة استعمال المد وهو رغيفان ونصف وقد يكون ثلثي البطن وثلث للشراب الرابعة أن يستعمل المن وهو أكثر من المد وما زاد على هذا فهو أسراف الخامسة أن لا يكون تقديراً لكنه يأكل عند صدق الجوع ويقبض يده إلا عند شهوة صادقة ذكر هذا في التصفية بالمعنى قال والمختار أن يقدر الانسان مع نفسه في الأكل القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها وخلق

لها وهو يختلف باختلاف الاشخاص والاوقات والمعاش وأما وقته فالمحمود ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روى أبو سعيد الخدري عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد ، وقال لعائشة : « اياك والاسراف فإن أكلتين في اليوم من السرف » وكان السلف الصالح يأكلون في كل يوم أكلة لا غير فعلم من هذا أن ذلك هو المحمود ويستحب أن يكون وقت السحر ليكون النهار صائماً ويستعين بجوع الليل على قيامه لعبادة ربه .

فصــــل

وأما أنواع الطعام فأعلاه مخ الحنطة وهو غاية الترفه وأوسطه الذرة والشعير المنخول وأدناه شعير بلا نخل . وأعلى الادام اللحم والحلاوة وأوسطه العدس بالدهن من غير لحم وأدناه الملح والخل وعادة السالكين طريق الآخرة ترك الأدام على الدوام وترك كل لذيذ يشتيه الانسان لتكون همتهم مقصورة على الاشتياق الى ما وعد الله به في الآخرة (ووجد بخط بعض أئمة العبادة قال داود عليه السلام لأن أترك لقمة من عشائي أحب اليَّ من قيام ليلة انتهى) وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة وقال سفيان العبادة حرفة حانوتها الخلوة وآلتها المجاعة (وقد قيل الجائع عفيف نظيف والشابع عاكف على الكنيف) وقيل

(الشابع حول الخلاء والنجاسات والجائع حول المساجد والجماعات) هذا مع أن الشبع يوج يوجب محبة الدنيا والشغل بها والولوع بها كما قيل شعراً :

واذا كانت النفوس كباراً   تعبت في مرادها الاجسام

واذا كانت الدنيا محبوبة أدت الى كراهة الموت ولقاء الله وقد ورد « من احب لقاء الله أحب الله لقاءه » والعكس في العكس فإن جهاد النفس في الدنيا يؤدي الى بغضها ومحبة لقاء الله تعالى

(تنبيه * وكما أن الشبع مذموم مشؤوم فأشنع منه وأدخل في الذم أن يكون مطعم الانسان ومشربه مما لا يتحقق حله فليجتهد كل الاجتهاد في توقي الشبهات فيما يتناوله من الطعام والشراب) فمراد الله تعالى بقوله من الطيبات في القرآن كما فسره الائمة وكم وكم ورد في ذم الحرام وقد تقدم في هذا الكتاب شيء منه وفي كتاب الرضوان كثير ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله أن يدعو له بأن يكون مجاب الدعوة فقال : « أطب طعمتك تستجب دعوتك » وفي خبر « ان لله ملكاً على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » قيل العدل الفريضة والصرف النافلة وفي خبر آخر « كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به » قال بعض الحكماء من أكل الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وعن بعض الزهاد من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ومن طعمته حلال أطاعته

جوارحه ووفقت للخيرات (فإن بئس الطعام الحرام وهو من الحواجز بين العبد وربه المانعة من قبوله وسماع دعائه وتلبية نداءه نسأل الله العصمة وأن يكفينا بحلاله عن حرامه ويغنينا بفضله عن من سواه بكرمه واحسانه) اعلم ان ما يحرم أكله انواع منها ما يحرم عينه كالخمر والخنزير والكلب والخيل والبغال والحمر الاهليات وكل ذي ناب من السبع ومخلب من الطير وكل ما يضر أو يغير العقل أو يستخبث النوع الثاني ما يحرم لصفة فيه كالمغصوب والربا والرشوة والزكاة على الهاشمي وكل ما لم يؤخذ بوجه شرعي كالأجرة على واجب أو محظور ونحو ذلك. الثالث ما يغل من الغنائم ونحوها وهدايا الأمراء ونحو ذلك وأما الحلال فما عدا ذلك مثل ما يؤخذ من المباح كالمعادن والحطب والحشيش والزراعة الثاني الغنائم والفيء والثالث اموال المعارضة كالبيع والشراء والاجارة والقرض والشركة ونحوذلك . الرابع الهبة والصدقة والوصية وكل ما كان بلا حيلة ولا حياء . الخامس الميراث اذا كان الموروث اخذها من حل . فهذه مداخل الحلال والحرام كما ترى فتأملها لتكون على بصيرة من امرك .

(فصــــل) : وأما الورع فإنه درجات . الأولى فعل جميع الواجبات وترك المقبحات وهذا ورع المؤمنين . الثانية ترك جميع الشبهات الوارد فيها «دع ما يريبك الى ما لا يريبك » وهو ورع الصالحين . والثالثة ترك ما لا بأس به حذاراً مما به البأس وهذا

ورع المتقين . الرابعة ترك ما لا يخاف ان يؤذي ولكنه يتناول لغير الله ولغير التقوى فيشغل الوقت ان يكون في رضا الله خاصة وهذا ورع الصديقين .

فصل

والثالث عشر من الاخلاق الثمانية عشر قوله عليه السلام (اللجا الى الله) وحقيقته وحدُّه (هو اعتقاد العبد أن لا حول له عن المعصية ولا قوة له على الطاعة إلا بالله العلي العظيم) وكل خير لا يبلغه إلا (بعنايته) أي بعناية الله تعالى وكل توفيق لا يكون إلا بتوفيقه (وهدايته فيطلب) العبد (ذلك) أي الاعانة والعناية والهداية (منه) أي من الله (بقلبه ولسانه وفي جميع) أحواله و (أزمانه) بحيث لا يفتر عن طلب ربه لذلك في حين من أحيانه (ولا يثق بنفسه ولا بغيره طرفة عين) ولا أقل منها (لكن بالله) فليكن وثوق العبد الصادق (وليفوض أمره اليه وليتوكل) في كل حال (عليه) فإنه نعم المولى ونعم النصير لعبده على جميع مهمات الدين (و كذلك في أمور دنياه من رزقه وأعانته وكلاءته وحمايته) قال الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في كتابه الكريم ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله** ﴾ فكيف بعد هذه الآية يظن ظانٍ أنه يملك لنفسه شيئاً (وقد ورد بذلك القرآن العظيم نحو قوله تعالى : ﴿ **وأفوض أمري الى الله** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وقالوا حسبنا**

الله ونعم الوكيل﴾ وقوله تعالى ﴿ فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ قال في كتاب عبد العظيم المنذري عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من جعل الهم هماً واحداً كفاه الله هم دنياه ومن تشعبته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك » رواه الحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح الاسناد وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من اصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء » وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ربكم يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقاً يا ابن آدم لا تباعد عني أملأ قلبك فقراً وأملأ يديك شغلاً رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وعن أبي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من كان يريد حرث الآخرة » الآية قال يقول الله ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وألا تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسد فقرك رواه ابن ماجة وابن حبان في صحيحه وقال الحاكم صحيح الاسناد قلت وكفي بقول الله تعالى في هذا المعنى ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (وقريب من ذلك التسليم لله والرضا بالله) بكل ما كان من أفعاله اذ كلها مبنية على المصالح الراجحة وعلى الحكمة التي في علمه تعالى وقد يظهر للعبد بعض وجوه الحكمة وبعضها لا يعلمها كما قيل :

وكـــل فـــعـــل لـــه في خـلـقـــه حـــســـن
لكنهـم لـــوجـــوه الحســن قـــد جهـلـوا

وقد قال الله تعالى : ﴿ وما زادهم إلا أيماناً وتسليماً﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يسلم وجهه الى الله ا﴾ الآية ﴿ وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (ويدخل في التسليم التفويض والانقطاع والتوكل) وحقيقة التوكل القاء الأمور الى الله في كل الأحوال قال الله تعالى ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وقال تعالى ﴿ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين﴾ وقوله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ وقوله تعالى ﴿ ان الله يحب المتوكلين﴾ وقوله تعالى ﴿ ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ وقال تعالى ﴿ فأبتغوا عند الله الرزق﴾ وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة الى غير الله تعالى بل حث على التوكل عليه في كل حال والانقطاع اليه في كل الأحوال ذكر معنى هذا في التصفية وذكر في حديث ابن[1] مسعود رضي الله عنه سبعون الفاً يدخلون الجنة من غير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله يا رسول الله ان يجعلني منهم فدعا له فقام آخر فقال كذلك فقال سبقك بها

(١) اخرجه البزار عن أنس من دون قوله فقام عكاشة الخ واخرجه البخاري عن أبي عباس والشيخان عن عمران بن حصين ومسلم عن أبي هريرة والطبراني في الكبير عن حبان ولفظه يدخلون الجنة من حتى سبعون الفا الخبر من دون قوله فقام عكاش الخ

عكاشة هذا معنى الحديث وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لو[1] توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً وقال صلى الله عليه وآله وسلم « من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا يحتسب » (والرضا بالقضاء من فقر ومرض وحزن وقبض غير ذلك) أما الفقر فقال في كتاب عبد العظيم المنذري وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب » رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وفي رواية « اذا أحب الله عز وجل عبداً حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء » رواه ابن حبان في صحيحه وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « اطلعت في الجنة فرأيت اكثر أهلها الفقراء وأطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء » وفي رواية « فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء رواه البخاري ومسلم وأحمد وعن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « تجتمعون يوم القيامة فيقال أين فقراء هذه الأمة فيقال لهم ماذا عملتم فيقولون ربنا ابتلينا فصبرنا ووليت الأموال والسلطان غيرنا فيقول الله جل وعلا صدقتم قال فيدخلون الجنة قبل الناس ويبقى شدة الحساب على ذوي الاموال والسلطان قالوا فأين المؤمنون يومئذٍ قال توضع لهم

---

(١) اخرجه احمد وابن ماجة والحاكم في مستدرك عن عمرو ولفظه لو انكم تتوكلون على الله حق الخبر بلفظه .

كراسي من نور وتظلل عليهم الغمائم يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار » رواه ابن حبان في صحيحه وعن اسامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء » رواه البخاري ومسلم وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لابره ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » رواه البخاري ومسلم وابن ماجة العتل الجافي الغليظ والجواظ هو الضخم المختال في مشيته وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله عليه وآله وسلم « ألا أخبركم عن ملوك الجنة قلت بلى قال كل رجل ضعيف مستضعف ذو طمرين لا يؤ به له لو أقسم على الله لأبره » رواه ابن ماجة ورواة اسناده محتج بهم في الصحيح وفي ذلك أخبار وآثار كثيرة وأما المرض ونحوه مما يصيب المؤمن من البلايا فقد تقدم شيء مما ورد فيه وهذا مزيد قال الله تعالى ﴿ ولنبلونكم بشيء﴾ الآية وقال تعالى﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم﴾ الآية ووصى الله سبحانه في كتابه بالصبر في سبعين موضعاً ووعد عليه بالأجر الأوفر ومن أصدق من الله قيلاً ومن الاخبار ما رواه في كتاب المنذري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ان العبد اذا سبقت له من الله

منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل » رواه احمد وأبو داود وأبو يعلي والطبراني في الاوسط وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « من يرد الله به خيراً يصب منه » رواه مالك والبخاري قوله يصب منه أي يصيبه ببلاء في الدنيا . وعن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب(١) ولا هم ولا حزن ولا غم(٢) حتى الشوكة يشاكها إلا كفّر الله بها من خطاياه » رواه البخاري ومسلم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا مرض العبد أو سافر كتب له ما كان يعمل مقيماً صحيحاً » رواه البخاري وأبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تبارك وتعالى **﴿ اذا ابتليت عبدي المؤمن ثم لم يشكني الى عواده أطلقته من أساري ثم ابدلته لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه ثم يستأنف العمل ﴾** رواه الحاكم وقال صحيح على شرطهما ومعناه أنه يغفر له ما مضى من ذنوبه ويكون له لحماً ودماً لم يذنبا والله

(١) الوصب بفتح الصاد المرض انتهى مختار .

(٢) الغمة الكربة والهم الحزن والحزن ضد الشرور انتهى مختار .

أعلم وعن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ان الصداع والمليلة لا تزال بالمؤمن وان ذنبه مثل احد فما تدعه وعليه مثقال حبة من خردل » رواه احمد . والمليلة هي الحمى في العظم .

فصل . وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : يقول الله عز وجل : « اذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة » يريد عينيه رواه البخاري وفي ذلك أخبار كثيرة تركتها اختصاراً وخشية التكرير حيث قد تقدم ومما يقوله من آلمه شيء من جسده ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم لمن سأله عن ذلك « ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وأما تعليق التمايم فقد نهى عن ذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من علق تيميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له » رواه احمد وفي رواية من علق فقد أشرك رواه احمد قال والتميمة الخرزة كانوا يعتقدون أنها تدفع عنهم نعوذ بالله من الاعتقاد بغير الله تعالى ونسأله أن يملأ قلوبنا رضاء بما قضاه علينا (فاذا حصلت هذه الخصلة الشريفة ظهرت شمس القلب وانهزمت عساكر الشك والريب فنسأل الله التوفيق) الى ما يبلغنا أعالى رضوانه والرفيق الاعلى في فردوس جناته آمين .

فصـــل

والخلق الرابع عشر من الثمانية عشر (الرجاء لله عز وجل) فإنه مما (ينبغي للعبد أن يكون راجياً لربه سبحانه في كل حالاته) يعني في حال الشدة والرخاء والفقر والغنى وأحوال العافية والأمراض والاسقام وعند حدوث المصائب على أصنافها ونحو ذلك فلا يزال العاقل (منتظراً) من ربه (الفرجه ورحمته ولطفه وإحسانه) . أعلم أن حقيقة الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عندك مع حصول أكثر أسبابه اذ لو كان الرجاء مع عدم حصول الأسباب انقلب غروراً وحمقاً وتمنياً كما قيل :

ترجـو النجـاة ولم تسلك مسـالكهـا
إن السفينـة لا تجـري عـلى اليبس

مثاله رجاء رضوان الله تعالى فلا يكون إلا مع الأعمال المرضية لله تعالى قال الامام المؤيد بالله في تصفيته قال[1] صلى الله عليه وآله وسلم « لا يموتن أحدكم إلا وهو حسن الظن بالله »

---

(١) اخرجه احمد ومسلم وابو داود وابن ماجة عن جابر بلفظه إلا أنه قال لا يموت احد منكم الحد بلفظه .

وقال[1] صلى الله عليه وآله وسلم « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » ودخل[2] صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله على رجل وهو في النزع فقال : « كيف تجدلك فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما راجه وأمنه مما يخاف » وعنه[3] صلى الله عليه وآله وسلم « حسن الظن من حسن العبادة » رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه ورواه في المنذري وفيه وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « إن شئتم أنبأتكم ما أول ما يقول لله عز وجل للمؤمنين وما أول ما يقولون له » قلنا نعم يا رسول الله قال إن الله عز وجل يقول للمؤمنين « هل احببتم لقائي فيقولون نعم يا رب فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد وجبت لكم مغفرتي » رواه احمد وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : قال الله تعالى عز وجل ﴿ انا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني ﴾ الحديث رواه البخاري ومسلم وفي رواية أخرى « أنا عند ظن عبدي بي إن ظن خيراً فله وإن ظن شراً فله » رواه احمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي وفي رواية أنا عند حسن

(١) اخرجه الشيخان عن أبي هريرة ولفظه قال الله انا عند ظن عبدي بي وانا معه حيث يذكرني .

(٢) اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وابن ماجة وابن أبي الدنيا عن أنس قال المنذري اسناده حسن .

(٣) اخرجه ابو داود وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة بلفظه

ظن عبدي بي فينبغي للعبد أن يكون في عمره خائفاً راجياً وان يرجح الرجاء في اخر عمره لا سيما حال مرض الموت (ويعلم أنه أرحم من والديه وأقرب اليه من ساعديه) بل أقرب اليه من حبل الوريد كما ذكر ذلك في كتابه العزيز (وانه يثيب على الطاعة عند القبول (فليجتهد) العبد (في اصلاحها) وعمود اصلاحها حسن النية وخلوصها عن الشوائب كلها حتى تقبل وليعلم العبد من ربه (انه يغفر الذنوب عند التوبة فليسارع إليها .) وكفى بقول الله تعالى : ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً** ﴾ الآية (وليحسن العبد الضعيف ظنه بهذا الرب اللطيف خاصة قرب الموت فعنه صلى الله عليه وآله وسلم « لا يموتن أحدكم إلا وهو محسن الظن بربه) وتحصيل الرجاء يكون بالنظر الى ما ورد فيه من الآيات القرآنية والاخبار النبويةوالنظر بالفكر والتأمل لعظيم حكمة الله تعالى ورحمته وعدله ورأفته على عباده في هذه الدار الفانية فضلاً عن دار الدوام الابدي السرمدي فمن الآيات والأخبار ما تقدم ومنها قول الله تعالى ﴿ **والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض**﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ **ذلك الذي يخوف الله به عباده يا عبادي فأتقون**﴾ وقوله تعالى ﴿ **واتقوا النار التي اعدت للكافرين**﴾ وقوله تعالى ﴿**ولا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى**﴾ وقوله تعالى: ﴿ **وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم**﴾ وقوله تعالى ﴿ **ولسوف يعطيك ربك**

فترضى﴾ ذكر معنى ذلك الامام يحيى عليه السلام ومن الاخبار أيضاً قول الامام عليه السلام (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « أمر الله عز وجل بعبد الى النار فلما وقف على شفيرها التفت فقال أما والله ان كان ظني بك حسن فقال الله عز وجل ردوه أنا عند ظن عبدي بي » رواه البيهقي) وفي التصفية للامام يحيى بن حمزة عليه السلام أخبار كثيرة في ذلك، منها قوله وفي الخبر الصحيح ان[1] رجلاً كان يداين الناس فيسامح الموسر ويتجاوز عن المعسر فلقي الله عز وجل ولم يعمل خيراً قط فقال الله عز وجل من أحق بذلك مني » فعفا عنه لحسن ظنه ورجاء أنه يعفو عنه مع افلاسه من الطاعات (ولكن من شرط حسن الظن الاجتهاد في الطاعة والتحرز عن المحبطات) وهذا من المعلوم إذ حسن الظن مع عدم الطاعة غرور بين لا شك فيه وأماني باطلة كما تقدم من الرجاء بلا سبب ، هذا مع أن أقتران الوعد من الله سبحانه بالوعيد دليل على ان مراد الله من عبده اقتران الخوف بالرجاء ليحثه ذلك على العمل وهو من كرم الله تعالى على عبده ليبلغه أعلى درجات الكرامة والرضوان نسأل الله تعالى ذلك من فضله وإحسانه آمين .

(١) اخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة .

فصــــل

و (الخوف من الله تعالى) وهو الخلق الخامس عشر من الثمانية عشر و (هو خليقة محمودة حميدة العاقبة لأنه من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل) وحقيقة الخوف هي تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل . وأعلم أن الخوف قامع للشهوات ومكدر للذات إذ يصير كل محبوب من المعاصي مكروه كالعسل المسموم وتبادر الجوارح بالأعمال الصالحة ويحصل في القلب خشوع وذلة واستكانة وتفارقه آفات الباطن من كبر وحسد وحقد وغير ذلك فلا يكون همه إلا ما ينفعه في الآخرة وفي هذا مراد الله تعالى وهو يحصل ببيان فضيلة الخوف قال الله تعالى: ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ فوصفهم بالعلم لخشيتهم . وقال الله تعالى ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾ بل جعله شريطة في الايمان لقوله عز قائلاً : ﴿ وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وأوجبه بالأمر به كما ترى وقال تعالى : ﴿ولم يخش إلا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين﴾ وأيضاً فإ الخوف ثمرة العلم فكلٌ ما دل على فضيلة العلم دل على فضله . وأما الأخبار فروى الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه

السلام في تصفيته قول[1] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه تعالى ﴿ **لا اجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له امنين فاذا أمنني في الدنيا اخفته يوم القيامة واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة**﴾ وقال[2] صلى الله عليه وآله وسلم « ما من عبد تخرج من عينيه دموع وان كانت مثل رأس ذباب من خشية الله عز وجل ثم يصيب شيئاً من حر وجهه إلا حرمه الله تعالى على النار . وقال[3] صلى الله عليه وآله وسلم « لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع » وقالت عائشة يا رسول الله يدخل الجنة من أمتك أحد بغير حساب ؟ قال : « نعم من ذكر ذنوبه ثم يكبى » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « مامن[4] قطرة أحب الى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله » وقال[5] صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه « اللهم ارزقني عينين هطالتين[6] يسقيان القلب بذروف[7] الدموع من

---

(١) اخرجه ابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة

(٢) اخرجه ابن ماجة عن ابن مسعود .

(٣) اخرجه احمد والترمذي والنشابي والحاكم في المستدرك عن ابي هريرة .

(٤) اخرج الترمذي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس شيء احب الى الله من قطرتين واثر من قطرة دمع من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله واما الأثران فاثر في سبيل الله واثر في فريضة من فرائض الله عز وجل قال الترمذي حديث حسن .

(٥) اخرجه ابن عساكر عن ابي عمر بلفظه .

(٦) المطل تتابع المطر والدمع وسيلانه انتهى مختار .

(٧) ذرف الدمع سال وبابه ضرب انتهى . مختار .

خشيتك قبل أن تكون الدموع دماً والاضراس جمراً (وقد مدح الله خائفيه واثنى عليهم بما فيه كثرة وجعل خوفه من أوصاف أصفيائه الملائكة المقربين) فقال تعالى : ﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وقال تعالى ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان لله ملكاً ما بين جنبيه خفقان[1] الطير المسرع خمسمائة عام وانه ليتضاءل[2] حتى يصير كالعصفور من خشية الله تعالى» وفي حديث آخر « ان لله ملكاً ما بين شفر عينيه مسيرة مائة عام الخ » فهؤلاء اكرم خلق الله فكيف بك يا مسكين كيف لا تخاف ذنوبك وسوء الخاتمة .

روى هذا في التصفية الامام المؤيد بالله عليه السلام وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرتعد فرقاً من الجبار وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة الحاقة فصعق ورأى صورة جبريل بالابطح فصعق كل ذلك من خوف الله تعالى » (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم « قال قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله[3] عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال له لم

---

(١) خفق البرق ايضاً خفقاً وخفقت الريح خفقاناً اي دوي جريها انتهى مختار .

(٢) ا رجل ضئيل الجسم اذا كان صغير الجسم نحيلاً .

(٣) بالتخفيف والتثقيل أي قضى الله عليه بالعذاب ذكر معناه النووي في شرح مسلم

فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له رواه البخاري ومسلم[1] . قلت وإنما حسن هذا الخوف الشديد لخلو صاحبه عن فعل الحسنات والقربات كما ورد في سياق الحديث ، ولا شك فيمن كانت هذه حاله فالخوف أولى به لكن مع عدم القنوط ولا يعتبر خوفه إلا بعد بلوغ الجهد في التوبة وأما من كان من أهل الطاعات فحسن الظن أولى به كما تقدم) وعن مجاهد بكى داود أربعين يوماً ساجداً حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عارٍ فتكسى فنحب[2] نحبة هاج العود فأحترق من حر جوفه فأنزل الله التوبة والمغفرة فطلب أن تكتب خطيئته في كفه فما يراه إلا أبكته فكان يتناول القدح ثلثاه ماء فما يضعه على شفتيه حتى يفيض من دموعه وكل نبي يروي له من خوف الله تعالى ما يهيل العقول هذا لأن كلا يخاف الله تعالى على قدر معرفته به (وعلى كل حال فلا ينبغي أن يخلو العبد عن الأمرين) يعني الخوف من الله تعالى والرجاء له مع سبب الرجاء . وجملة ما يخاف العبد منه أمور عشرة ذكرها الامام في التصفية ونقلت معناها وكل واحد منها ما سببه غير المعصية الموجبة لغضب الله تعالى : الأول وهو أعظمها عذاب النار فإنه من فكر فيه لم يصف له عيش وثانيها خوف ملابسة المعاصي الموبقة وثالثها خوف الموت وسكراته

---

(١) وهذا لفظ مسلم في صحيحه عن ابي هريرة

(٢) والنحيب رفع الصوت بالبكاء وقد نحب ينحب بالكسر نحيباً والانتحاب مثله انتهى . مختار .

وفجائعه ورابعها الخوف من حرمان التوبة قبل الموت على حدودها كما سيأتي وخامسها الخوف من عدم الوفاء بعهد الله وميثاقه وكل حق له تعالى وسادسها الخوف من قساوة القلوب وتبدله كما قال تعالى ﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾ وسابعها الخوف من الميل عن الاستقامة على الدين كما قال تعالى ﴿ فأستقم كما أمرت﴾ وثامنها الخوف من الاغترار بزخارف الدنيا ولذاتها والافتتان بها وتاسعها الخوف من الغفلة واطلاع الله سبحانه على قبيح في سريرتك يغضبه وعاشرها الخوف من سوء الخاتمة عند الموت وهي أعظم مخوف عند أهل التقوى مع أن الخاتمة تبع للسابقة فإن الأعمال سائقة على حسبها ان خيراً فخير وان شراً فشر والخوف درجات المحمود منه ما حث العبد على ترك المعاصي بحيث لا يفعل شيئاً منها وحثه على فعل الطاعات المرضية لله تعالى بحيث لا يهتم إلا بها فهذا هو الوسط من الخوف النافع في النجاة من المهالك والفوز بكل مرغوب لكل سالك (ومن حكم أمير المؤمنين عليه السلام المأثورة عنه عليكم بخمس كلمات لا يرجونَّ أحدكم إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحي اذا لم يعلم شيئاً أن يتعلمه ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم وعليكم بالصبر فإن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد) فأنظر أيها العاقل الى هذا الكلام الأعظم ما أحقه بالقبول وأولاه بعدم الفضول لموافقته المعقول والمنقول .

فصـــل

ومما يجب على العبد ويحمد عليه (تقديم الاهم فالأهم) وهو الخلق السادس عشر من الثمانية عشر . اعلم وفقك الله وإياي ان (الأهم أمر الدين) الذي ما خلق الله عباده إلا له قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ (فليقدمه) العبد المكلف (على أمر الدنيا) وجوباً متحتماً (والمقدم من أمر الدين) في أول النشأة عند التمييز (تحقيق صحة العقيدة بتوحيد الله تعالى) والتوحيد ما قاله أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه بقوله التوحيد ان لا تتوهمه يعني تتصوره إذ ليس كمثله شيء فكل ما تصوره العبد فهو على خلافه اذ هو الخالق وكل ما تصوره العبد فهو جسم مخلوق ، فاذا علم العبد ان الله عز وجل خلاف ما يتصوره فذلك هو التوحيد ويدل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام حين أجاب على الملحد اذا عرض لك هذا يعني التصور فهو من الشيطان فصوره في نفسك بأي صورة شئت وشبهه بما شئت ثم انظر في ذلك الشيء تجده مصنوعاً وقد علمت أن الصانع لا يشبه صنعته فيبقى معك العلم وينتفي عنك التشبيه وقوله رضوان الله عليه كل ما خطر ببالك فهو على خلاف ما خطر ببالك وقوله رضوان الله عليه امتنع منها بها واليها يحاكمها أي

امتنع من العقول بالعقول والى العقول يحاكمها فهذا هو التوحيد الموافق لقوله تعالى ﴿ ولا يحيطون به علماً﴾ وقوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء﴾ وقوله ﴿لا تدركه الابصار﴾ الآية وهذه آيات محكمات هن أم الكتاب فيرد المتشابه اليها ولذا ورد النهي عن التفكر في ذات الله والأمر بالتفكر في آلاء الله الدالة على حكمته الباهرة فيها وعلى صفاته الحميدة التي توجب على عبيده توحيده وتمجيده (وتحميده واعتقاد اختصاصه بصفات الكمال وتجرده عن النقائص كلها وتنزيهه عن مشابهة المحدثات وفعل المقبحات والكذب فيما قاله والخلف فيما وعد به أو توعد) . والدلالات عليه تعالى ثلاث : وهي التي ورد بها كتابه واستدلت بها أنبياؤه وأصفياؤه أولها دلالة الآفاق وهي الأرض والسماء وما فيهما من بدائع مخلوقاته . والثانية دلالة الأنفس كما قيل : تفكرك فيك يكفيك ويدل عليهما قوله تعالى ﴿ سنريهم آيتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ وقوله تعالى ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ وقوله تعالى ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين﴾ قال في الكشاف تفسير هذه الآية : انها تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي مدحوه كالبساط لما فوقها كما قال « الذي جعل لكم الأرض مهاداً » وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة[1] وسبخة

(١) قوله وعذاه في الصحاح العذاه الأرض الطيبة التربة انتهى . من حاشية الكشاف .

وهي كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة في الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافق لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم في صحتهم واعتلاهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتتة والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشي والانسي والهوام وغير ذلك وقوله ﴿ للموقنين﴾ أي الموحّدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل الى المعرفة فهم ناظرون بعيون باصرة وافهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فأزدادوا إيماناً مع أيمانهم وايقاناً الى ايقانهم» انتهى وكذلك التفكر في السماء ولونها وما فيها من المصابيح واختلاف الليل والنهار وما يحدث من السحاب والمطر والرعود والبروق ونحو ذلك فإنها من أعظم الآيات الباهرة ويدل على دلالة الأنفس﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين﴾ الآية . فأولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ولحماً ودماً ثم حملاً ومولوداً وتتعاقب عليه الأحوال من صغر وكبر وضعف وقوة وشباب وشيبة وعقل وذكاء وبلادة ومرض وصحة ونفرة وداع وصارف وعسر ويسر وغناء وفقر وغير ذلك وكل هذا من دون اختيار له في شيء ألا يدل هذا كله على العالم القادر المدبر الحكيم أم اذا نظرت الى تركيب الانسان بهرك .

وقال تعالى ﴿ لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ﴾ فأنظر كم جمع الله عز وجل في الأنلمة من الاصابع فضلاً عن غيرها وذلك اربعة وعشرون شيئاً جلداًولحماً وعصباً وشحماً وعروقاً ودماً ومخاً

وعظماً وبلة[1] وظفراً وشعراً وبضعة عشر شيئاً غير ذلك كل واحد يخالف الآخر وهي قدرة وحياة واستواء وارتفاع وانحدار وخشونة ولين وحرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وصلابة ورخاوة وخلق في بعضها الحياة دون بعض كالشعر والظفر والعظم وجعلها مدركة لأمور شتى كالحرارة والبرودة والخشونة واللين والقلة والكثرة والرطوبة واليبوسة . ومن لطيف الحكمة فيها اختلافها في الطول والقصر حتى تستوي عند القبض على الاشياء فتقوى بالاستواء . وهذا من عجيب صنع الله حيث جعل الاختلاف سبباً في الاستواء ولذلك خصت بالذكر في قوله تعالى ﴿ بلى قادرين على ان نسوي بنانه﴾ فتبارك الله احسن الخالقين . هذا في الأنملة من الاصابع وفي الحكمة في طول بعض الأصابع وقصر بعضها لا غير فكيف خلق سائر البدن وكم فيه من عجائب صنع الله تعالى الذي تحار منه العقول ويضطر الناظر في ذلك بعين البصيرة السليمة الى الاقرار بعظم حكمة صانعه جل وعلا . فعليك أيها المطلع بالتفكر فإنه أساس الايمان وأصله . الثالثة دلالة المعجزات فإنها أقوى الدلالات لأنها تأتي بالخارقات الجارية على أيدي صفوة الله وخيرته من خلقة والتفكر فيما ورد في القرآن الكريم كافٍ وافٍ على انه يكفي ذا العقل السليم تفكره في آية واحدة وأعظمها وأجلها القرآن الآية العظمى الدائمة الى يوم القيامة مع أنه واحدة من ألف معجزة لنبينا محمد صلى الله عليه

(١) البلة بالكسر النداوة انتهى . مختار .

وآله وسلم فعليك بتأملها ترشد وهي في سيرته ومما ذكرت في شفاء القاضي عياض وقد جمعت ما قدرت عليه في كتاب الرياض الزاهرة الجزء الأول منه في شمائله ومعجزاته والثاني في غزواته وأما معجزات سائر الأنبياء سلام الله عليهم فإنها في كتاب الله تعالى وتفسيره وهي في كتاب البرهان القاطع في معرفة الصانع للامام الشهير محمد بن ابراهيم الوزير عادت بركاته ومن أحسن ما أشار اليه مما ذكره في كتاب الله قوله عليه السلام :

هو الله من اعطى هداه وصح من ... هواه أراه الخارقات بحكمة
بذاك على الطوفان نوح وقد نجا ... به من نجا من قومه في السفينة
وغاض له ما فاض عند استجابة ... وجَدَّ إلى الجودي بهَا واستقرت
وسار ومتن الريح تحت بساطه ... سليمان بالجيشين فوق البسيطة
وقبل ارتداد الطرف أحض من ... سبأ له عرش بلقيس بغير مشقة
واخمد ابراهيم نار عدوه ... ومن نوره عادت له روض جنة
ولمادعي الاطيار من رأس شاهق ... وقد ذبحت جاءته غير عصية
ومن يده موسى عصاه تلقفت ... من السحر أهوالاً على النفس شقة
ويوسف إذ ألقى البشير قميصه ... على وجه يعقوب عليه بأوبة
رآه بعين قبل مقدمه بكى ... عليه بها شوقاً اليه فكفت
وفي الاسرائيل مائدة من السما ... ءلعيسى انزلت ثم مدت
ومن أكمه أبرأ ومن وضح[1] غدا ... شفاء وعاد الطين طيراً بنفخة
وصح بأخبار التواتر انه ... أمات وأحيا بالدعا رب ميت

(١) والوضح بفتحتين الضوء والبياض وقد يكنى به عن البرص انتهى . مختار .

وابعد من هذا عن السحر أنه رضيع ينادي باللسان الفصيحة
ينزه عن ريب المنون عفيفة مبراة عن كل سوء وريبة
وقال لأهل السبت كونوا المنا قروداً فكانوا عبرة أي عبرة
وصرع أهل الفيل من دون بيته بطير أبابيل صغار ضعيفة
واحرق روض الجنتين عقوبة بكاف ونون عبرة للبرية

هذا وإنما القصد الأشارة ومحل ذلك غير هذا (وان يدين الله بصدق رسوله وعموم رسالته) ويظهر لك ذلك ظهوراً نيراً كالشمس بالنظر الى ما ورد من معجزاته كما ذكرنا أولاً فعليك بتأملها وكذلك غيره من الانبياء لأنه يجب الايمان بجميعهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون وجملتهم مائفة الف نبي وأربعة وعشرون الفاً ويجب أيضاً الايمان بما أنزل عليهم من الكتب وهي مائة من الصحف واربعة كتب رواه ابن حبان والبيهقي من حديث ابي ذر بسندين حسنين ذكر هذا الامام الشهير محمد بن ابراهيم الوزير في الايثار وأعظمها وأجلها القرآن لأنه يتضمن الجميع كما قال تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ وفي حقائق المعرفة للامام احمد بن سليمان في فضائل القرآن ما[1] رواه جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ايها الناس انكم في دار هدنة على ظهر سفر الى أن قال فاذا التبست

(١) اخرجه العسكري عن علي عليه السلام بأبسط منه .

عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن العظيم فإنه شافع مشفع وشاهد مصدق من جعله أمامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه قاده الى النار وهو الدليل على خير سبيل وكتاب تفصيل وبيان وتحصيل والفصل ليس بالهزل لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه فيه مصابيح الهدى ومنارات الحكمة والدليل على المعرفة فمن عرف الطريق فليولج بصره وفيه أيضاً مرفوعاً الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو آخر خبرو وحملة القرآن يدعون في التوراة المخصوصون برحمة الله المتلبسون بنور الله المعلمون كلام الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداتهم فقد عادى الله . يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة » هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكم مدحه خير الخلق بعده علي رضي الله عنه . والامام القاسم بن ابراهيم عليه السلام المديح الكبير والمديح الصغير للقرآن فعليك بتتبع فضائله تعلم قدره (ومعرفة محقي أصحابه وتفضيل أهل بيته ومودتهم وتقديمهم ورعاية حقهم) أما محبة من كان محقاً من الصحابة فإنه مما يجب من الموالاة للمؤمنين وفيهم زيادة أخصية لصحبتهم ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم «خير القرون قرني » وأما أهل البيت رضوان الله عليهم فكفى بقول الله عز من قائل ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ وما أكثر مما ورد فيهم عليهم السلام من الفضائل العظيمة كتاباً وسنة . فأما الكتاب فقد جمع ما ورد فيهم منهُ الحاكم الجشمي في كتابه تنبيه الغافلين . وأما السنة ففي كتاب

تفريج الكروب وأنوار اليقين وغيرهما كثير . وقد جمعت ما ظفرت به منها خصوصاً وعموماً في كتاب الرضوان وكان بحمد الله كثيراً طيباً ولأمر آل محمد أبين من طلوع الشمس وقد استكفيت هنا بإيراد هذه الآية وما ذكره في الكشاف في أثناء تفسيرها . ورواه أيضاً الثعلبي عن جرير مرفوعاً « من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الأطيان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره مات مؤمناً مستكل الاطياث ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد زف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة بالرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا و من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وفي خبر ان الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وأنا سائلكم غدا عنهم » وفيهم أيضاً خبر السفينة وخبر الثقلين ونزول سورة هل أتى فيهم وغير ذلك كثير . فالله المسؤول بحقه أن ينفعنا ببركة محمد وآله صلوات الله وسلامه عليهم وبسر كتابه العزيز آمين (وليبرأ إلى الله من كل دين غير دين الاسلام) ويبرأ أيضاً من (عقيدة) يعتقدها (غير مطابقة) للحق (وبدعة) يرتكبها

(ليست بلائقة) وحقيقة البدعة هي الزيادة في الدين أو النقص منه فكل ما أحدث وليس له أصل من الكتاب أو السنة النبوية فهو بدعة يصدق على من أحدثها قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » كما يصدق على من سن سنة حسنة موافقة لما جاءت به الشريعة قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » الخ أو كما قال (ثم يتعلم من الشريعة ما أمكنه ويتأدب بآدابها ويرجع فيما التبس عليه الى أهل المعرفة نفسه على ذلك والعمل بمقتضاه) اعلم انه لما خلق الله العبد وجعل له العقل الذي يتركب عليه التكليف اوجب عليه اتباع عقله في العقليات وطريقها التفكر ، ثم لما زاد الله تعالى في الحجة على عباده وأكمل لهم النعمة العظمى بإرسال الرسل وانزال الكتب اوجب عليهم معرفة ما جاء به الرسل .

فيتحتم على كل أحد معرفة الواجب ليفعله والمحظور ليتركه والندب والكراهة والاباحة كل بمقتضاه فيجب على من لم يعلم أن يتعلم ويطلب العلم حيث كان ويجب على من يعلم أن يعلم من طلبه منه وأن يأمر بما علمه معروفاً وينهى عن ما علمه منكراً .

وقد ورد في كتاب الله تعالى والسنة النبوية في طلب العلم نحو من خمسين آية ومن الاخبار النبوية قدر ستين خبراً فليطلب ذلك من شاء في مظانه وفي مقدمة الرضوان كثير من ذلك (ولا يغفل عن علم الطريقة فإنها العلم النافع في الحقيقة) وأعظمها تصفية للباطن بالاخلاص والتنزه عن الرياء والكبر والعجب والفخر

والمباهاة والتكاثر واضرها حب الدنيا الوارد فيه « حب الدنيا رأس كل خطيئة » وقد تقدم في كل من هذا ما يغني من كان له قلب أو ألقى السمع[1] وهو شهيد . وليعلم أن جميع العلوم الظاهرة تتوقف على اصلاح الباطن فلذا انه من أهم المهمات في تقديمه على غيره فأولاً معرفة الله كما تقدم ثم الاهم فالأهم كمعرفة الاخلاص واصلاح النية لتوقف الاعمال عليها ثم كذلك (واذا اعترض له واجب ومندوب قدم الواجب) وجوبا عليه تقديمه متحتماً (و) كذا (اذا اعترضت له واجبات متعددة قدم الاهم فالأهم منها كفرض العين) فإنه يجب تقديمه (على فرض الكفاية) مثاله تقديم احدى الصلوات الخمس على صلاة الجنازة لا سيما عند ضيّق وقتها (والمضيق على الموسع) وكذلكما يخشى فوته على غيره كأنقاذ الغريق على الصلاة ونحوها وحق الآدمي على حق الله تعالى كل ذلك مفصل في كتب الفقه (وليعلم أن المقصود هو الدين لا الدنيا) واعلم أن النفس تميل كل الميل الى الدنيا ويعضدها الشيطان والهوى والسعيد كل السعيد من غلبها ووطن نفسه على عدم حب الدنيا (فلينزلها منزلتها) إذ هي بالنسبة الى الآخرة كلا شيء (فإنها دار مجاز وان الآخرة)هي(دار القرار) فلينظر العاقل بعين بصيرته كم الفرق بين الدارين وكم بين الفاني والباقي وبين ما هو للدنيا من الاعمال وما هو للآخرة لأن جميع الأعمال الصالحة الخالصة من

---

(١) السمع الوعظ وهو شهيد حاضر بالقلب انتهى . جلالين .

الآخرة ليست للدنيا وإنما فيها فِعْلَها فقط اذ حقيقة الدنيا المذمومة هي ما يشغل عن الله تعالى على الأصح (فلا يشغل) كل عاقل (قلبه بالدنيا) وان احتاج مثلاً الى مباشرتها ببدنه فليكن قلبه عنها معرضاً الى ما هو للآخرة وعليه بأن يصلح النية في أعماله كلها فإن النية تصير الاعمال كلها طاعة الله تعالى فليكن هذا من شأن المؤمن في كل عمل ولا يشغل قلبه بشيء من الدنيا (إلا ما كان منها للدين فإنه دين) لا محالة لكن (بشرط القصد الصالح) وهي النية الخالصة لله تعالى (واخذ الشيء من وجهه) أي من حله بلا شبهة (ووضعه في وجهه) يعني فيما يجب ويندوب شرعاً (و) عليه بلزوم (الاقلال) منها (و) اعتماد (القناعة) بما يكفي والاقتصاد في كل شيء منها بما لا بد منه (بما أمكن) الاقتصاد عليه (ولا يشتغل بشيء) ادنى من ما يميل الى الدنيا (وهو يحسن أفضل منه و) هذا اذا كان (له غنية عن الفضول) وإلا فلا بأس بما لا بد منه من دون توسع فليحذر كل الحذر عن الفضلات فإنها هي المهلكات لأن من ولع بها شق عليه تركها وقد يدخل فيما يحرم عليه الدخول لتحصيل تلك الفضلات وليكن الانتباه للاحتراز من ذلك في أول النشأة إذ المرء على ما نشأ عليه فإن قد تغير المرء تدارك نفسه وعَلَّم من يجب عليه تعليمه ممن عليه له ولاية (فقد تقدم ما ورد في الدنيا) المذمومة (الترغيب عنها) وفي ذمها كتاباً وسنة (وكفى به زاجراً لأولي النهي) أي أهل العقول الراجحة (وموقظاً لذوي النومة) أي الغفلة للانتهاء) عن التكاثر فيها (ثم ليكن الانسان وصي

نفسه [١]) فكما أنه يوصي الى غيره بأن يخلصه مما عليه من الحقوق التي في ذمته لله ولخلقه فليخرجها في حال حياته وصحته . اذ من المعلوم أن غيره لا يفعل له كما يفعل لنفسه ، وقد يسهل حتى لا يقضي تلك الحقوق عنه فيبقى محاسباً عليها بين يدي ربه . فليحذر العبد غاية الحذر وليدن نفسه في حياته (ان عقل فلا يتغافل عن تخليصها والتفقد لأحوال دينه) في كل حال ولينظر ما ورد في الحث على ذلك كتاباً وسنة . وقد تقدم في الحث على تقصير الأمل في هذا الكتاب شيء مما ورد في ذلك فأرجع اليه تفضلاً (وليلزم الوسط مما يحتمله حاله) فإن الوسط الخيار ولعله مراد الله تعالى في كل أحوال العبد وهو الموافق للشريعة الغراء فلا يعدل عن ذلك فليكن مجانباً (لجانب الافراط) وهو التشديد في الأمور والغلو فيها حتى يخرج عن حد الشريعة فيصير مبتدعاً (والتفريط) وهو التساهل عن القيام بما أمر به وأدائه على أحسن الأحوال بجميع ما يلزمه فيه كما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله خير آل ، فإن ذلك هو الوسط المحمود الموصل الى النعيم الدائم والخلود ، وليكن العبد ذا همة فيما له من الجد في الأعمال الصالحة ، وعليه التخلص من جميع الحقوق (ولا يؤخر شغل يوم الى غده ولا وقت الى ما بعده فمن المستهجن تأخير العمل وإطالة الأمل) وهذا دأب النفس الخبيثة فإنها تميل كل الميل الى التواني والدعة والسكون ونحو ذلك

---

(١) كما قال الشاعر :

اذا ما كنت متخذاً وصياً فكن فيما ملكت وصي نفسك انتهى .

ان لم يكن لها سائق حثيث يسوقها بجد صادق لا يقهقر لخيالاتها وتسويفها ، ولا ينهزم لصولاتها[1] وتهويلها هذا مع أنَ لها أعواناً كالشيطان والدنيا والهوى ، وان كان منها فليس إلا الجد والنظر فيما ورد في الشريعة من ترغيب وترهيب بأذن واعية وقلب حاضر (عن عبد الله بن عمر قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبي وقال : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ») يعني لا يأخذ منها إلا ما يحتاجه في تلك الحال ولا يغتر بها فيستكثر منها فتثقله وتهلكه (وكان ابن عمر يقول اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وأذا أصبحت فلا تنتظر المساء) . يعني أن انتظار الصباح والمساء من طول الأمل . والمرء مأمور بتقصيره حتى يظن أنه لا يصبح ولا يمسي إلا من أهل الآخرة لأنه لا يدري متى يفاجأه الموت (وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك رواه البخاري ورواه الترمذي بلفظه) يعني أن كل حالة معقوبة بضدها . فاذا كان في حال الصحة فليغتنم الأعمال الصالحة ، وليجهد نفسه فيها بجد وعزيمة ، لأنه اذا مال الى ما تهواه نفسه من الانهماك في اللذات والميل الى الراحات فاتته أوقات صحته فلا يستطيع العمل في حال مرضه . وكذلك قوله من حياتك لموتك (وقال لي يا بن عمر اذا أصبحت فلا تحدّث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وخذ من صحتك قبل سقمك ومن حياتك قبل موتك فإنك لا تدري يا عبد الله ما

(١) اي استطالتها انتهى . مختار .

أسمك غداً) ومعنى هذا هو ما تقدم إلا أن قوله قبل سقمك وقبل موتك أولى وان كان المعنى واحداً . وقوله ما أسمك غداً أي حي أو ميت وهذا ايقاظ بليغ لمن وعاه وجعله نصب عينيه دواء لنفسه وغفلتها فإن غرورها وخدعها مهلكة وأي مهلكة (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « هل تدرون ما هذه وهذه ورمي بحصاتين فقالوا الله ورسوله أعلم ، قال هذا الأمل وذلك الأجل » رواه الترمذي) ومعنى هذا الحث على تقصير الأمل واستحضار قرب الأجل ليكون من ذلك الاهتمام بالعمل والتخلص من الدنيا على أحسن حال وقد تقدم في أول هذا الكتاب صورة الانسان وأجله وأمله واعراضه وما ورد في ذلك فخذه من هنالك (ولا يشتغل بأمر العامة إلا بعد اصلاح خاصته فمتى فرغ من أصلاح أمر خاصته وأمكنه السعي في أصلاح أمر من أمور المسلمين قريب أو بعيد فليفعل فإن في ذلك خيراً كبيراً وأجراً كثيراً يطول ذكره) يعني أنه يجب على العبد تقديم اصلاح نفسه ثم قرابته ونحو ذلك فإنه من تقديم الأهم لكن هذا اذا لم يعرض له ما يتحتم عليه ويتضيق من أمر العامة كنهي عن منكر أو أمر بمعروف فإنه يقدم لخشية فوته وتضييق وجوبه فيكون تقديمه أهم ، وأما بعد أصلاح خاصته فليقبل غاية الاقبال على هداية الخلق فإنها آداب الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والأئمة الصالحين وهي مراد الله تعالى والمبلغة في رضاه أعلى الدرجات لكنها تحتاج رياضة وسياسة ونباهة فلا يخشن ان كفى اللين وان يجعل له لكل مقام مقالاً ولكل شخص هداية بحسب

الحال والعمدة الكبرى حسن النية فاذا كانت خالصة لوجه الله تعالى لا يشوبها شائب ولا يكدرها مكدر فليبشر من أراد ذلك بالقبول وتمام المأمول لأن العمدة في الاعانة على مالك القلوب وخالقها ومقلبها في كل الأحوال كما ورد في الدعاء النبوية « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك وكذا في قسمه صلى الله عليه وآله وسلم « لا ومقلب القلوب » وأما ما ورد في الاشتغال بأصلاح العامة فمن ذلك ما قاله عليه السلام (وهو على الجملة معلوم من ضرورة الدين قال صلى الله عليه وآله وسلم « من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » رواه البخاري ومسلم وغيرهما) وفي رواية تمامة « والله في عون المرء ما كان في عون أخيه » قال المنذري رواه مسلم وأبو داود واللفظ له إلا أنه قال ستره الله في الدنيا والآخرة رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة وعن جرير ابن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « لن تؤمنوا حتى تراحموا قالوا يا رسول الله كلنا رحيم قال انه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمته العامة » رواه الطبراني ورواته رواة الصحيح وأجل هداية للخلق ورحمة لهم تعليم العلم وفي كتاب المنذري وروي عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أخبركم عن الأجود الأجود ؟

الله الأجود الأجود وأنا أجود ولد آدم ، وأجودكم من بعدي رجل علم علماً فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه لله تعالى حتى يقتل » رواه أبو يعلي والبيهي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما من رجل ينعش[1] لسانه حقاً يعمل به بعده إلا جرى له أجره الى يوم القيامة ثم وفاه[2] الله ثوابه يوم القيامة رواه أحمد . وعن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر » . رواه الطبراني وغيره وعن علي رضوان الله عليه في قوله تعالى ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ قال علموا أهليكم الخير رواه الحاكم موقوفاً وقال صحيح على شرط الشيخين وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعاه الى ضلال كان عليه من الأثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً » وفي حديث أبي مسعود البدري انه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من دل على خير فله مثل أجر فاعله أو عامله » رواه ابن حبان في صحيحه وفي رواية « الدال على الخير كفاعله » وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره » الخبر وقد

(١) وانتعش العاثر نهض من عثرته ونعشه الله اقامه انتهى مصباح . والمراد اقام لسانه بالحق والله اعلم

(٢) اي اعطاه انتهى . مختار .

تقدم (وليحذر من الدنيا وطلب ما يزيد على الكفاية فيها فإنها أسحر من هاروت وماروت وليجعل الموت نصب عينيه كما ورد ذكره متقدماً) وانما كرره عليه السلام لأن اكثر افتتان الناس بالدنيا والغفلة عن ذكر الموت وقد (قال صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالموت واعظاً وقيل لنوح عليه السلام يا أطول الأنبياء عمراً كيف وجدت الدنيا فقال كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر) ولذا مثلت بالظل في سرعة زوالها وبالنبات حين يصبح هشيماً تذروه الرياح وبالاحلام بالمنام قال في التصفية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الدنيا حُلُم وأهلها مجازون ومعاقبون » ومثلت بالعجوز الغدارة في ظاهرها الزينة وباطنها خلاف ذلك ومثلت بالحية لين لمسها قاتل سمها وفي عدم الركون اليها كالذي يريد أن يمشي على الماء كيف تثبت قدمه عليه وكذا في تعذر الخلاص بعد الدخول فيها كيف لا تبتل قدمه وقد دخل في الماء وغير ذلك من الأمثلة (وعن أبن عباس رضي الله عنه أنه قال ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمثل كتاب كتبه اليَّ أمير المؤمنين يعني علياً عليه السلام قال : أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلت من دنياك فرحاً ولا بما فات ترحاً ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل فكأن قد والسلام) يعني ان الارزاق ونحوها معلومة مقسومة عند الله تعالى لكل عبد مرهونة بأوقاتها ولا يفوت على أحد مما قسم الله له شيء فكيف يفرح بما لم يكن ليفوته وما لم يكن

مقسوماً للعبد فإنه لا يدركه وهو حريص عليه فيسوءه فواته فمن حق العبد أن لا يفرح بما ناله ولا يأسى على ما فاته وهذا هو معنى قول الله تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها أن ذلك على الله يسير لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ الآية وقوله يرجو الآخرة أي نعيمها بغير عمل كما يقوله أهل الضلالة الايمان قول بلا عمل وتأخير التوبة لطول الأمل وهو الذي هلك به كثيرون لأن كلاً[1] مؤمل للتوبة ولا يبادر بها على ما يوافق مراد الله إلا من وفقه الله تعالى قوله فكأن هذا من الاكتفاء وهو فن من البلاغة يعني فكان قد وقع ما يحاذره من الأجل ونحوه فمن حق العبد أن لا يؤخر التوبة وأما من الاخبار النبوية فقد وردت بمعنى هذا في أول الكتاب (وقد اجمع العلماء على اختيار الزهد فيها ووصفها الله تعالى بأنها لعب ولهو) في آيات من كتاب الله الكريم : منها ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال ﴾ الآية وشبهها رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم بالشاة الميتة قال[2] « والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ذكره الامام يحيى في التصفية . وفيها : وقال[3]

---

(١) يعني كل احد فحذف المضاف اليه واتى بالتنوين عوضاً عنه .

(٢) اخرجه ابن ماجة والدارقطني في الأفراد والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد ولفظه اترون هذه الشاة هينة على صاحبها فوالذي نفسي بيده الخبر بطوله .

(٣) اخرجه احمد ومسلم والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني في الكبير

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » وقال[1] صلى الله عليه وآله وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله عز وجل » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « الدنيا مهلكة للدين » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « يا عجباً كل العجب لمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور » وقال[2] صلى الله عليه وآله وسلم « ان الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض اليه من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ويجمعها من لا عقل له وعليها يعادي من لا دين له وعليها يحاسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ليجيء أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقالوا يا رسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » وقال عيسى صلوات الله عليه « لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في إناء » وعلى الجملة فإن الله تعالى وانبياءه وصالحي عباده لا زالوا يذمونها كل الذم مع أن هوانها بالنظر الى الآخرة مدرك عقلاً وقد تقدم من ذمها كثير في هذا الكتاب نسأل الله سبحانه أن يرزقنا العفاف والكفاف وترادف الالطاف آمين (فمن عرفها حق

= والحاكم في المستدرك عن سلمان والبزار عن ابن عمر بلفظه .

(١) اخرجه ابو نعيم في الحلية والأنبياء المقدسي عن جابر بلفظه .

(٢) اخرجه الحاكم في تاريخه عن ابي هريرة .

معرفتها بغضها وسخطها ولم يتعلق قلبه بها ولا بحبها ومن لم يحبها أحب الآخرة وسعى لها سعيها) ومن أهم السعي الى الآخرة ترك الدنيا المذمومة الشاغلة عن الله فإنه لن يتفرغ ويسعى للآخرة إلا من تركها ثم شمر ساق السباق في الأعمال الصالحة بصدق نية وحسن طوية إذ هو يطلب بسعيه ما يحق له بذل المهج وهو الدوام في رضوان الله تعالى فسعيه وان كان جليلاً بالنظر الى ربحه فهو يسير فضلاً عن أن يكون ذلك السعي حقيراً فليس لنا إلا فضل العليم الخبير (ومما رواه الامام الكينعي قدس الله روحه عن الفضيل بن عياض نفع الله ببركته) قال الامام عليه السلام (وأردت بإيراد كلامه هنا التبرك برقم هذا الأثر لفضله وفضل قائله وفضل راويه) قلت فأنظر أيها المطلع أين تبلغ التقوى بمن لزمها وتمسك بها وانقطع بها من هذه الدنيا الى ربه جل وعلا كيف هذا الامام الاعظم على جلال قدره يتبرك بالرجلين الصالحين ، وأنهما في الفضل بمحل أعلى .. فعليك بالجد في طلب التقوى تظفر بما تهوى من قربك الى الله قال عليه السلام (ولمناسبته كثيراً مما تقدم وللمأثور عن أئمة الفضل حسن أثره في القلوب قال قراءة آية من كتاب الله والعمل بها أحب إليَّ من ختم القرآن ألف مرة وأدخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته أحب إليَّ من عبادة العمر كله وترك الدنيا ورفضها أحب الى الله من التعبد بعادة أهل السموات والأرض وترك دانق من حرام أحب الى الله من مائة حجة بمال حلال) فعلم من هذا أن الأعمال الصالحة تتفاوت ، وأن أعظمها ترك الدنيا ، وان ادخال السرور

على المؤمن والسعي في حاجته والاعانة له وتفريج كربته وستر عورته وأعانته ان كان ملهوفاً بالمحل الأعلى عند الله تعالى لأن الله الغني وعباده الفقراء وان العلم مع العمل به وان قل خير من غيره وان كثر لان ثمرة العلم العمل فلا فائدة في شجر بلا ثمر لمن طلبها وثمرة العمل رضوان الله تعالى المطلوب لكل من عقل ، نسأل الله تعالى أن يبلغنا إياه بحقه آمين .

فصـــل

والخلق السابع عشر من الثمانية عشر وهو مما ينبغي للعبد اعتماده وملازمته (ترك ما لا يعني قال[١] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقد قيل ان كثيراً من الأحاديث النبوية مرجعها الى هذا الخبر فهو من الكلمات الجوامع النوافع) وفي شمس الاخبار بأسناده الى ابي[٢] هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : أكثر الناس ذنوباً اكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه » وبأسناده الى انس[٣] عن النبي

(١) اخرجه الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة بلفظه .
(٢) اخرجه ابن بلال وابن النجار عن ابي هريرة والسجزي في الابانة عن عبد الله بن ابي اوفي واحمد في الزهد عن سلمان موقوفاً .
(٣) اخرجه الترمذي عن انس وقال حديث حسّن غريب قال المنذري رواته ثقات .

صلى الله عليه وآله وسلم لما توفي رجل من الصحابة قالوا : ابشر بالجنة . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أو لا تدرون لعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه » وفي التصفية عن محمد بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أول من يدخل هذا الباب رجل من أهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروه بذلك فقالوا له اخبرنا بأوثق عملك في غ نفسك مما ترجو به الخير فقال اني لضعيف العمل وإن أوثق ما أرجو الله به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني وقال أبو ذر : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا أعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان ؟ فقلت نعم . قال : هو الصمت[1] وحسن الخلق وترك ما لا يعنيك » ذكر ذلك الامام المؤيد بالله في التصفية . وقيل للقمان الحكيم عليه السلام ما حكمتك ؟ قال : لا أسأل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني (واعلم ان ما فعله الانسان ويهم به لا يخلو من احد خمسة أنواع) وهي

---

(١) قلت وفي الباب عن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال المسلم من سّلم المسّلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من عجر ما نهى الله عنه رواه الشيخان وعن ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الأعمال افضل قال الصلوة على صفاتها قلت ثم ماذا يا رسول الله قال ان تسلم الناس من لسّانك رواه الطبراني بأسناده صحيح وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة اخرجه النجاري والترمذي وعن ابن عمر ان سول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من صمت نجارى الترمذي وقال حديث غريب والطبراني ورواته ثقات انتهى منذري .

الاحكام الشرعية التي في أصول الفقه الأول (واجب) وحقيقته ما يستحق فاعله الثواب وتاركه العقاب وهو ما أمر به الشارع ولازمه . (و) الثاني (مندوب) وحقيقته ما يستحق فاعله الثواب وليس على تاركه عقاب وهو ما أمر به الشارع ولم يلازمه والمسنون ما لازمه مع الأمر به وبين انه مسنون و(و) الثالث (مباح) وحقيقته ما لا يستحق على فعله وتركه لا ثواب ولا عقاب وهو ما لم يؤثر عن الشارع فيه شيء (و) الرابع (مكروه) وحقيقته ما لتاركه الثواب وليس على فاعله عقاب وهو ما ظهر بقرينة أن النهي عنه ليس للحظر (و) الخامس (محظور) وهو مقابل الواجب ما يستحق فاعله العقاب وتاركه الثواب وهو ما نهى عنه الشارع صلوات الله وسلامه عليه وآله (فالمحظور يجب اجتنابه بكل حال) لأن فعله معصية بعد النهي عنه كشرب الخمر (والمكروه ينبغي اجتنابه ما أمكن) ، ولا يجب وجوباً (نحو الأكل بالشمال والاستنجاء باليمين) ونحو ذلك (وأما المباح فما لم تدع اليه حاجة) وهو المباح (توجب عدم الاشتغال به) إذ لم يكن لفاعله إلا التعب بلا فائدة (وتضييع الوقت بفعله) ومثل هذا لا يفعله إلا الأحمق اذ العاقل من نظر المصالح وعملها وترك المفاسد (و) اما (ما كان منه جلب منفعة أو دفع مضرة) سواء كانت المنفعة أو المضرة صغيرتين أو كبيرتين عاجلتين أو آجلتين (كان فعله مع قصد وجه القربة فيه أولى) اذ هو مندوب لتضمنه القربة (فما من مباح إلا وينقلب قربة عند الحاجة اليه والنية الصالحة) الموافقة لما يريده الله تعالى من عبده

المحتاج اليه في كل حال (حسبما تقدم التنبيه عليه) متناً وشرحاً فالموفق من ألهم لملازمة النية الصالحة في كل أقواله وأفعاله وجميع أحواله (وحينئذٍ يصير مما يعنيه لا مما لا يعنيه) مثاله ان يعزم على دورة الى البر ويقصد بذلك التقوى على طاعة الله تعالى بصحة بدنه بها والتفكر في مخلوقات الله تعالى حين يراها وازالة الضجر الحاصل من السكون ليكون له النشاط على قراءة علم أو تلاوة أو صلاة أو أي شيء من طاعة الله تعالى (وأما الواجب فيتحتم الاتيان به على كل حال) كل شيء بمقتضاه على ما يوافق الشريعة الغراء (وأما المندوب فينبغي الاتيان به حسب الامكان) بلا تحتم (وهو مما يعني الانسان) لطلب الثواب الحاصل له بفعله (وبيد الله التوفيق وهو المستعان) والمسؤول أن يوفقنا الى ما يوافق رضاه آمين .

فصـــل

ومما يجب ويتحتم على العبد (التوبة) وهي تمام الاخلاق الثمانية عشر كما ترى (وهي منزلة شريفة لا يرتفع عنها أحد لارتفاع منزلته عند الله سبحانه كما لا يتضع عنها أحد لكثرة ذنوبه) اعلم أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يستغني عنها أحد البتة قال الله تعالى ﴿ وتوبوا الى الله جميعاً أيها

المؤمنون﴾ فعم ولم يخص والعقل قاض بوجوبها لأن الرجوع الى طاعة المنعم حسن وحقيقتها على المختار هو الندم يدل عليه الخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم « الندم توبة » ذكره الامام يحيى عليه السلام في التصفية والعلم هو المشير للندم والندم سبب لتدارك الماضي والترك في الحال والعزم على أن لا يعود في الاستقبال الى ذنب فهذا معناها وأما أحكامها (فقال الله تعالى ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين﴾ وقال في حق الكفار﴿أفلا يتوبون الى الله﴾ الآية) وقال تعالى في فضلها ﴿ ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ وقال عز وجل﴿ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو اليه المصير﴾ وأما السنة قال صلى الله عليه وآله وسلم « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم﴾ رواه ابن ماجة) وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لله أفرح بتوبة أحدكم » وفي رواية « بتوبة عبد من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة » رواه البخاري . وبمعناه أحاديث أخر ذكرها المنذري . ومنه : وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أحسن فيما بقي غفر له ما مضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما مضى وما بقي » رواه الطبراني بأسناد حسن . وعن أبي ذر أيضاً ومعاذ رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « اتقِ الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم « ان المؤمن اذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صَيْقُلَ منها وان زاد زادت حتى يغلق قلبه فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه ﴿ **كلا بل ران على قلوبهم** ﴾ رواه الترمذي وصححه والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : قال الله عز وجل ﴿**أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إليَّ شبراً تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب إليَّ ذراعاً تقربت اليه باعاً وإذا أقبل إليَّ يمشي أقبلت اليه أهرول** ﴾ رواه مسلم واللفظ له والبخاري بنحوه (ويجيب ملازمة التوبة واستصحابها في بداية أمر العبد ونهايته بلغ عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لأبي ذر « ان حقوق الله اعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين » وعن معاذ رضي الله عنه قال : اخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قليلاً فقال يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الأمانة وترك الخيانة ورحمة اليتيم وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الامام والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلماً أو تصدق كاذباً أو تكذب صادقاً أو تعصي إماماً عادلاً وأن تفسد في الأرض . يا معاذ اذكر الله عند كل شجر وعند كل حجر وأحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية » رواه البيهقي) فأنظر الى هذا الخبر النبوي كم

اشتمل على خصال من معالي الاخلاق التي من اعتمدها فاز ورشد على الاطلاق فما لك رحمك الله تضرب عنه صفحاً وقد وجدت المراد مما يقربك الى رضوان ربك فألزمه وتأمله ولا تضل عنه في حال من الأحوال (وفيه دليل على وجوب الاشعار بالتوبة لمن علم المعصية) قوله والعلانية بالعلانية ولعله لرفع التهمة أنه باقٍ عليها (وللتوبة ركنان : احدهما الندم وهو شيء يعلمه الانسان من نفسه ويجد له حالة ومزية تخالف حاله مع عدم الندم) وهذا مما لا يشكل عند من كان له عقل سليم واذا قد صدق الندم دخل تحته العزم على عدم العود وغير ذلك مما ألحقوه في حقائق التوبة (وهو) أي الندم (من الخصال الحميدة) لأنه من لم يندم على ما فرط منه من الذنوب كيف يكون محموداً وقد يستوجب غاية الذم (قال صلى الله عليه وآله وسلم : « النادم ينتظر من الله الرحمة والمعجب ينتظر المقت واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله) قيل ان قول الله تعالى ﴿ لهم البشرى فيْ الحياة الدنيا﴾ هو ذلك . ومنها الرؤ يا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له (وسوء عمله وإنما الأعمال بخواتمها والليل والنهار مطيتان فأحسنوا السير عليهما الى الآخرة واحذروا التسويف فإن الموت يأتي بغتة ولا يغترن أحدكم بحلم الله عز وجل فإن الجنة والنار أقرب الى أحدكم من شراك نعله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾) ذكره في المنذري وقال رواه الاصبهاني عن ابن عباس وفيه

عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صل الله عليه وآله وسلم يقول « من سعادة المرء ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة » رواه الحاكم . وقال صحيح الاسناد وعن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من سره ان يسبق الدائب المجتهد فليكف عن الذنوب » رواه أبو يعلي . وعن عائشة ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « ما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفره منه » رواه الحاكم . وقال صحيح الاسناد وروي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب » رواه الاصبهاني . وفي شمس الاخبار عن[١] عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « التسويف شعاع الشيطان يلقيه في قلوب المؤمنين » وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « قلت يا رسول الله اوصني قال : اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها . قال : قلت يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قال : هي أفضل الحسنات » رواه احمد (ويجب الندم على ما أتى من القبيح لقبحه وعلى ما أخل به من الواجب لكونه أخلالاً بواجب) والاخلال بالواجب قبيح عقلاً وشرعاً (و) ويلزمه أن (يبالغ في هذا الندم مبالغة شديدة) لأنه يطلب به النجاة من

---

(١) اخرجه الديلمي عن عبد الرحمن بن عوف .

العذاب والفوز بالثواب (حتى يكون أبلغ من الندم على ما أخطأ فيه وقصر من أمور دينـه وأبلغ حسب الامكان) قال جار الله الزمخشري رحمه الله ما يأتي ذكره وما أوردت قوله هنا إلا ليعلم المطلع كيف منزلة الدنيا عنده ومنزلة الآخرة لأن النفس تميل الى الدنيا فليحذر منها وذلك في تفسير قول الله تعالى ﴿ **قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم** ﴾ الآية وهذه آية شديدة لا يرى أشد منها كأنها تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحة فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان من أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيرة .

أراد بهذا الكلام أن العبد يكون شديد الجزع على ما فاته من الدنيا وأن قل قليل المبالاة في أمر الدين وأن جل إلاَّ من وفقه الله تعالى نسأل الله التوفيق الى رضاه آمين . ألا فليحذر العبد من نفسه وشيطانه (ويتوب من كل ذنب بعينه) ولكل ذنب توبة بحسبه وعلى مقتضاه (وإلا فمن جميع ذنوبه جملة مع عدم انحصارها) لأن بعضها يكون بالقلب خاصة كالكفر والنفاق والبدعة واضمار الخدع للناس والكبر والفخر والعجب والتجبر وحب الثناء والسمعة وحب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة .

ومنها الحسد والبغي والحيل والشره والحرص على الشهوات

وبعضها بالعين كالنظر الى العورات والأجنبيات وكل ما لا يجوز النظر اليه . وبعضها بالسمع كسماع الغيبة والنميمة والطرب والغناء . وبعضها على البطن كأكل الأموال الحرامية وشرب المسكرات ، وكل ما يحرم أكله وشربه . وبعضها باللسان كالنطق بكلمة الكفر والفحش والشتم والبهتان والكذب واليمين والفاجرة وشهادة الزور والغيبة والنميمة والتكلم فيما لا يعني وغير ذلك . وبعضها بالفرج كالزنا واللواط وركوب كل محرم وكشف العورات بين الناس . وبعضها على اليدين كالقتل والضرب وأخذ الأموال ظلماً وكتب ما لا يجوز كتبه وكل ما يحرم فعله بهما . وبعضها بالرجلين كالسعي الى المعاصي كلها والى سلاطين الجور لنصرهم عليه . وبعضها بكل البدن كلبس ما لا يجوز لبسه ودخول المنازل المغصوبة واللبث فيها وغير ذلك . وعلى الجملة فإن للذنوب تقسيمات والميل الى الاختصار . فعلى العبد ان يحاسب نفسه ويجعل لكل ذنب توبة (ويقضي ما فرط من حقوق الله تعالى وحقوق المخلوقين على الوجه الخالص شرعاً) فبعضها بتسليم المال وبعضها ببذل النفس بالقصاص في النفس أو الاطراف ، وبعضها بطلب العفو . وأما بينه وبين الله تعالى فبالندم الصادق قال عليه السلام (وثانيهما) أي التوبة (العزم وهو أن يعزم عزماً قوياً أبلغ ما يمكن على أن لا يأتي شيئاً من القبيح ولا يخل بشيء من الواجب وليكسر شهوته) بكل ما تكسر به الشهوات من تقليل الطعام والزهد فيه ومطالعة المواعظ القاطعة والتفكر في المعاد وذكر الموت أعظم موعظة اذا كان بكل

حال لا ينفك ذكره والاقبال على الله تعالى والتوسل اليه بكتابه والتفكر في القرآن وآياته والاخبار النبوية ومنها ما ذكره الامام يحيى عليه السلام في التصفية في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « الطابع معلق بقائمة من قوائم العرش فاذا انتهكت واستحلت المحارم أرسل الله الطابع فطبع على القلوب بما فيها » وفي حديث آخر « القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب ذنباً انقبضت أصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فينسد على القلب فذلك هو الطبع » فلله در القائل[١] :

ان المـواعظ لا تـغـني أسـير هـوى
مـقفـل الـقلب في حـيـد عن الـسـنـن

فنسأل الله سبحانه ان يعيذنا من غضبه ويتغمدنا بواسع رحمته ورضوانه آمين (وليذل نفسه بتحمل شيء من الطاعات الشاقة كالصلاة والصيام ونحوهما) وذلك مع اشتغاله بمطالعة كتب الزهد والمواعظ والنظر في أحوال الأنبياء والسلف الصالح عليهم السلام وما جرى عليهم من المصائب من أجل الذنوب فذلك شديد النفع ظاهر الوقع يحصل منه مع مداومة مطالعته أو سماعه الهداية الربانية واذا حصلت في القلب نشطت الجوارح كما قيل :

واذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

(١) هو الحبيب عبد الله علوي الحداد .

فعلمت أن أساس كل خير الاقبال على العلوم النافعة واصلاح الباطن رأسها . فعليك بها ترشد ان شاء الله (فمتى تم ما ذكر فهي التوبة النصوح المقبولة ان شاء الله تعالى قيل ويلزم ان لا يخلو التائب مع ذلك من الاشفاق والخوف اذ لا يأمن كون توبته غير واقعة على الوجه المرضي المقبول) وقد فسر قول الله تعالى﴿ توبوا الى الله توبة نصوحاً﴾ أي خالية عن الشوائب ومعنى ان لا يخلو التائب من الخوف هو أن لا يأمن فيقطع بعد توبته أنه من أهل الجنة لأن مراد الله تعالى أن يبقى العبد في حياته خائفاً راجياً ولا يرجح أحدهما على الآخر إلا عند مرض الموت فيرجح الرجاء فيحب لقاء الله تعالى كما تقدم ذكره (ويدل عليه) أي على أنه يلزم الاشفاق والخوف قوله وتعالى ﴿ والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة﴾ الآية ، أي خائفة أن لا يقبل منهم ، وذلك بعد قوله تعالى ﴿ والذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ وكذلك يدل عليه (قوله تعالى ﴿ يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ الى قوله تعالى ﴿ ويخافون عذابه﴾) وغير ذلك كتاباً وسنة فعلمنا أن مراد الله أن يكون العبد بين الخوف والرجاء ليحثه ذلك على الجد في الأعمال الصالحة والانزجار عن ضدها وذلك من نعم الله على عبده ولذا ورد الوعد مقروناً بالوعيد في جميع الكتاب والأخبار النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام (وسئل جعفر) الصادق (بن محمد) الباقر (عليهم السلام) وعلى آبائه (عن معنى قوله تعالى ﴿ توبوا الى الله توبة نصوحاً ﴾ قال : يتوب العبد ولا يعود) لأن مع العود تكون

التوبة فاسدة فلا تكون نصوحاً إلا مع عدم العودة (وقيل حقيقة التوبة أن يبغض المعصية) وهذا وما سيأتي يدخل تحت صدق الندم لأنه اذا صدق الندم كان جميع ما ذكروه من حقائق التوبة وعلاماتها ولا يتخلف شيء إلا مع عدم صدق الندم فعلمت أن التوبة الندم كما ورد به الخبر النبوي سابقاً (وقيل في علامات التوبة : وهي أربع) الأولى (ادمان البكاء على ما سلف من الذنوب) كما كان من داود عليه السلام كما قيل حتى خدّ الدموع في وجناته عليه السلام . والعلامة الثانية (الخوف المقلق من الوقوع فيما بعد) في شيء من الذنوب . (و) الثالثة من العلامات (هجران أخدان[1] السوء) لأن الطبع يسرق من الطبع قطعاً ولذا قيل شعراً :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن أشكل

وإن لم يشعر العبد ، ولو احترز على نفسه وجالس فلا بد من التأثير إن خيراً فخير وإن شراً فشر فإن قرناء السوء شياطين الانس أشد من شياطين الجن إذ تطردهم الأذكار ونحوها بخلاف شياطين الانس فما أضر من مخالطتهم على دين المرء ودنياه اذ لا يكون منهم إلا الشر . (و) الرابعة من العلامات (ملازمة أهل الخير) وهم قرناء الخير الصالحون من عباد الله فهم أشبه شيء

---

(١) جمع خدن وهو الصديق في السّر انتهى مصباح .

بالملائكة يهدون الى الخير حيث كان ويأنس بهم في كل سعيد وهذا شيء موجود بالتجربة والعقل إلا أنهم قليلون في هذا الزمان أعني الصالحين الصادقين فنسأل الله تعالى حسن الختام والتوفيق الى رضاه (ويستعان على التوبة بأن يملأ القلب خوفاً وخشية لأن التوبة لا تكاد تتم وان تمت لم تصف ولا تدوم ما لم يصحبها الخوف) وأعظم جالب له التفكر في القرآن ومعانيه بأقبال صادق عليه (وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وانذر به الذين يخافون﴾ الآية) ان يحشروا الى ربهم (ونحوها) والمراد هنا انذار المؤمنين ، وقوله ﴿ يخافون لأيمانهم بالبعث ونحوه﴾ فإن قيل الانذار للمؤمن وغيره فجوابه أن المراد هنا من يؤثر فيه الانذار بخلاف غيرهم فكأنه لم يعتد بأنذارهم وأن أنذروا لعذم التأثير فيهم ؛ ويدل عليه قول الله تعالى ﴿ ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ وقوله «﴿ إنما تنذر من أتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾ وقوله تعالى ﴿ لتنذر من كان حياً﴾ أي مؤمناً ﴿ ويحق القول على الكافرين﴾ فشبههم بالأموات ضد الاحياء (ولا شك ان الخوف للتوبة بمنزلة الاساس للبنيان ومن أبلغ دواعيها وأقوى أسبابها الاستكثار من ذكر الموت والاستشعار لأسباب الفوت والأحوال التي تكون قبل الموت وبعده) وإنما كان الخوف كالاساس لأنه الداعي أولاً الى التوبة فلا تكون الا به ثم الحافظ لها من بعد لئلا تفسد مع الأمان بالعود الى مقارفة المعاصي وإنما قال عليه السلام « الاستكثار من ذكر الموت لأنه لا يؤثر إلا ذلك المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة .

ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم « أكثروا من ذكر هادم اللذات » وكذلك تكرر تذكير القلب بالمواعظ كثيراً لا سيما في هذا الزمن فإنها قد عظمت الغفلة وعدم تأثير الموعظة كما سمعت من شيخي أبقاه الله ان الواعظ في هذا الوقت كالراجم في الماء بالنسبة الى القلوب يؤثر الرجم في الماء فما أسرع ما يعود كما كان فليس إلا التكرير لذكر الموت ومطالعة المواعظ وسماعها وكذا ما بعد الموت (من البلاء في القبر وأحوال ل النشور والبعث وأحوال أهل الجنة والنار) فيتصور كيف بقاءه في القبر الذي لا محيص له عنه وإن كان الآن مغروراً من عند أن يوضع فيه وتتغير فيه محاسنه وأعضاؤه كلها وتأكله هوام الأرض ولا يستطيع دفع صغير ولا كبير ثم تنتثر عظامه وتفرق أوصاله[1] فضلاً عما يلاقيه من سؤال منكر ونكير وعذاب القبر ونحو ذلك فكيف الغفلة عن هذا مع أنه لا شك في وقوعه مع كل فرد لا ينجو منه أحد الى أن يكون النشور والبعث من القبور الى ظلمات القيامة وسوقه الى المحشر فإن كان له عمل صالح فكما قال الله تعالى ﴿ يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ حتى قيل أن بعضهم يكون له نور يسير على أبهام قدمه فيضيء تارة ويطفىء تارة كل على قدر عمله ومن وراء ذلك كل ما يبهر العقول من الخلود في نار تلظى[2] أو جنات تتلألأ وفكر أيها المطلع ان كنت ذا عقل راجح ما معنى الخلود إذ كل ما كان بالنسبة اليه لا شيء لانقضائه فنسأل الله تعالى بحقه

---

(١) والأوصال المفاصل انتهى مختار .

(٢) اي تلهب انتهى مختار .

عليه فلا شيء اعظم منه أن يوفقنا الى رضوانه آمين (ومن أحس من قلبه القساوة وقلة التنبه فليتصور أحواله عند الغرغرة بالموت) بالنسبة الى ما قد رآه من غيره مشاهدة في اخوانه وأخدانه ومن قد جالسه واخا لله وصافاه ومن هو أقوى بدناً وأصبح بنية (و) كيف به حال (النزع) ومن ينقذه منه وأناله الخلاص (وعند مفارقة الروح للجسد) حتى لا يستطيع حراكاً) (ويتصور حاله تلك عند أهله وحالهم عندها) لا يستطيع أحد منهم يدفع عنه (شيئاً) مما ورد عليه (ويذكر ايتامه وبكاهم عليه وندبتهم له وغير ذلك مما هو معلوم بضرورة العادة) فلا ينتفي بشك ولا شبهة فكيف يغفل العبد عن هذا مع اليقين به فعليه تكرير تذكر هذه الأمور مرة بعد مرة حتى يلين قلبه عن القسوة المهلكة ويقصر أمله فأن التسويف أعظم غرور إذ لا يشعر العبد متى يسقط عليه الموت وقد يكون والعياذ بالله فجأة بأي سبب يحدث عليه فإنه لا يثق بنفسه طرفة عين مع أنه في حياته الى عند مماته في كبد كما قال الله تعالى ﴿ لقد خلقنا الانسان في كبد﴾ فما له لا يجعل ذلك الكبد في رضاء ربه اذ لا بد له منه كما يجده كل عاقل من نفسه في هذه دار البلوى واللاوى[1] ليفضي به كَبَدُه في رضاء الله الى جنة المأوى « ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم » (عنه صلى الله عليه وآله وسلم « من أكثر ذكر الموت سلا عن الشهوات ومن سلا عن الشهوات هانت عليه المصيبات ومن هانت عليه المصيبات سارع الى الخيرات » فعلمت أن تكرير ذكر

(١) اللأوى الشدة انتهى مختار .

الموت سبب لكل خير ودفع لكل ضير[1] فمالك لا تلزم قلبك ذكره في كل حال وتنغص به هوى نفسك وطول الآمال فإنها لا تنفعك عند الاهوال وان كنت مغروراً بها في الحال فما أسرع تحولها عنك مع المال وهذا نظير قوله صلى الله عليه وآله وسلم « ان ذكرتموه في ضيق وسعة عليكم فرضيتم به فأجرتم وان ذكرتموه في غنىً بغضه اليكم فتصدقتم به فأثبتم » أو كما قال (ومن أسباب التوبة ودواعيها قراءة القرآن بصوت شجي وأستماع من يقرؤه مرتلاً متوقفاً على آيات الوعد والوعيد متدبراً لها) لا سيما في الليل وأواخره فإنه مشاهد في الغير مجرب في النفس قال الله تعالى ﴿ **ان ناشئة[2] الليل هي أشد وطأ[3] وأقوم[4] قيلاً** ﴾ في ذلك أشارة الى أن قراءة القرآن بالليل تكون أشد تأثيراً في القلب ولذا قال في روح العلوم تفسير القرآن لا يبعد ان الله تعالى يقذف في قلب المؤمن في آخر الليل نوراً ، أو كما قال (وعنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل عن قوله ﴿ **ورتل القرآن ترتيلاً** ﴾ فقال بيّنه تبييناً قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة) وأعلم أن من اعظم نعم الله على عبده كلام الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويسر حفظه لمن تعلمه وأثاب عليه الثواب الذي لا

---

(١) أي ضرراً انتهى جلالين .

(٢) نشأ الرجل اذا قام من الليل انتهى ثعلبي .

(٣) وهو ان يواطيء قلبه لسانه والمواطئة هي الموافقة انتهى ثعلبي .

(٤) أي اصوب .

يكون اعظم منه حتى قيل ان درجات الجنة عدد حروفه ، وكما ورد في الخبر النبوي أنه يقال لحامله أقرأ وأرق فإن لك بكل حرف درجة قال صلى الله عليه وآله وسلم « لا أقول ألم حرف ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف » أو كما قال هذا غايته في الآخرة مع فوايد قبلها لا تحصر ولا تعد في الدنيا والآخرة وقد ذكر في روح العلوم في تفسير قوله تعالى تقشر منه جلود الذين يخشون ربهم كلاماً يبهر العقول وذكر في تفسير تلك الآية من فوائده ستة عشر مقدمة وقال إنها من ألف مقدمة ذكرها في تفسيره ذلك منها قوله فإذا أقبل عليه قلبك أقبل عليك معناه ولفظه وربك فكشفا لك عن علوم تخطف[1] وقطفاً لك من ثماره بعض ما يقطف فاذا أقبلت عليه بأذن واعية انقلبت وقد أفعمت[2] الاوعية فمنها أخباره لك ان كنت أهلاً لذلك عن كل ما استخبرته وان يكسوك في الدارين وما بينهما كسوة تميزك عن غيرك ويعظم جلالك في الصدر وتأديبه لك وتهذيبه واصلاحه ونحو ذلك ومنها أنه خالص سائغ للشاربين ومنها تشابه رياضة وحياضه فتجد فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين أينما سلكت من أوديته ، ومنها تأثيره في قلبك وقالبك تأثيرات لا يحصيها إلا الله تعالى وقد نبه عليها بواحدة لا سوى وهي قوله : تقشعر الآية . ومنها نزول البركة عليك وعلى من حواليك من جماد وحيوان فيعظم انتفاع الخلق بك على عهدك ومن بعدك وتملأ الملكوت أنوارك وتقضي في جميع

---

(١) أي تسّلب .

(٢) أي ملأت

اخبار نبوية وآثار علوية قد تقدم شيء من ذلك وللامام القاسم بن ابراهيم عليه السلام المديح الكبير والمديح الصغير كلاهما في القرآن العظيم وعلى الجملة فإنه النعمة التي تستحق الشكر الاعظم لله تعالى عليها خاصة فضلاً عن غيرها فله الحمد والشكر والثناء (قال القاسم عليه السلام هيجوا قلوبكم بأصوات الاحزان والبكاء أما بأنفسكم وأما بغيركم من القراء) وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال « ما أذن الله بشيء كما اذن لنبي حسن الصوت يتغن بالقرآن يجهر به » رواه البخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والنسائي وابن ماجة « ومعناه ما استمع لشيء من كلام الناس كما استمع له » وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « زينوا القرآن بأصواتكم » رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة ومعناه حسب تفسير كثير من الائمة زينوا أصواتكم بالقرآن وقد ورد هكذا في رواية أخرى عن البراء أو المعنى أشغلوا أصواتكم بالقرآن والهجوا به واتخذوا شعاراً وزينة وروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فأبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا » رواه ابن ماجة . ومعناه تحسين الصوت والخشوع لاعلى الحان المغنين . ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الأحوال أوطارك » انتهى بالمعنى باختصار هذا وكم ورد فيه من

الذي اذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » رواه ابن ماجة أيضاً . ولما سئلت عائشة عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت : لاكَسَر دِكُم هذا لو أراد السامع ان يعد حروفه لعدها وما سمي الترتيل ترتيلاً إلا تشبيهاً بالثغر المرتل المتفرق الأسنان كما في نور الأقحوان .

(تنبيه * اعلم أن كل من أيقن بالبعث والنشور والحساب والجنة والنار يجب لا محالة الفوز بالثواب والنجاة من العقاب وانما يصرفه عن ذلك حب الدنيا والتعظيم لها والاغترار بها ولذلك ورد حب الدنيا رأس كل خطيئة) ومن شأن النفس الميل الى الدنيا قبل تهذيبها . فليس لهذا المعضل[1] إلا الاستعانة بالله تعالى والانهماك على مطعالة وما ورد في ذمها كتاباً وسنة ، وفضائل الزهد وما ورد في الآخرة والتفكر في ذلك وتكرير النظر فيه بأمعان (فاذا عرفت ما تقدم حق معرفته واكتسبت الخوف والخشية والهم والحزن ودمت على ذلك صغرت الدنيا في عينك وخف قدرها في نفسك) وهانت عليك بعد حبك لها ، ولهذا كثر الوارد في ذمها من الله تعالى ورسوله . وضرب الأمثلة المفظعة وتكرير المواعظ المهيلة ، وأكبر واعظ لمن عقل تكرير ذكر الموت بكل حال وما بعده من الأهوال . ولذا ورد عن الصادق صلوات الله وسلامه عليه وآله « كفى بالموت واعظاً » لكن من شرطه كثرة الذكر له وتكريره (وبقدر ذلك تعظم الآخرة في قلبك ويكبر

---

(١) واعضد الأمر بالألف شاتد انتهى مصباح .

حالها عندك فمن هانت الدنيا عليه كبرت الآخرة لديه) ولذا ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام ما زاد في الآخرة نقص من الدنيا ، وما زاد في الدنيا نقص من الآخرة . أو كما قال : وإن الدنيا والآخرة ضرتان اذا أرضيت أحداهما أغضبت الأخرى وغير ذلك . فمن تأمل ذلك وفناء الدنيا ودوام الآخرة هانت عليه الدنيا (وسهلت التوبة في حقه وكثرت دواعيه اليها) يعني الى التوبة النصوح ، فحصل من هذا التنبيه تحتم ملازمة النظر في المواعظ لأنه ينجي من الهلاك الأكبر وهو العذاب الدائم ، ويفضي بصاحبه الى الخلود في جنات النعيم نسأل الله الفوز برضوانه آمين .

(تنبيه آخر مفيد جداً * اعلم ان الثبات على التوبة عسير والناكثون عنها الناقضون لها هم الجم الغفير قال بعض الحكماء : الناس في التوبة على ثلاث منازل) الأول منها : (رجل تاب عند نفسه ما لم تعرض له شهوة فاذا عرضت له أضاع المحاسبة وركبها وأكثر الناس على هذا) . والمنزلة الثانية (رجل تاب بقلبه وجوارحه تضطرب عليه فيستقيم طوراً ويعدل عن المحجة أخرى فهو من نفسه في جهد وبحسب اجتهاده يزداد صفواً وكدراً) . والمنزلة الثالثة (رجل تاب بقلبه وجوارحه قد عطف بعضها على بعض فأدمن المحاسبة مخافة أن ينقلب منه شيء ينقض توبته أو يظفر به عدوه) أي الشيطان أو الهوى فيفسد عليه عمله (فهذا الذي استوجب من

الله تعالى العصمة والتثبيت) بسبب النصح منه في توبته . وأما الأول فأن توبته فاسدة لارتكابه الشهوة عند عروضها فأين التوبة منه وأين هو منها . وأما الثاني فإنه في مكابدة وعلى خطر ، والعبرة بالخاتمة والاعمال بخواتيمها ، فالله المسؤول ان يحسن الختام ويرضى علينا بحق محمد سيد الآنام وآله الغر الكرام صلوات الله وسلامه عليه وعليهم آمين (نعم يجب على العبد الصبر على التوبة والتمسك على سبيل الاستمرار بها والتوقي) البالغ (لأن يصرفه الشيطان بتسويل أو دعائه الى الشهوة) فيركبها (أو حب المال) فيميل اليه (أو حب الشرف) والجاه فيغتر به (فكل واحد منها) يعني الشهوة وحب المال وحب الشرف (قاطع للتائب عن التوبة) ومفسد لها (فالشهوات تدعو الى ما يلذ السمع والبصر والشم وفي المطعم والمشرب والمنكح والملبس) فهذه دواعي الشهوة وكل واحد منها يحتاج الى الجهاد الاكبر والاحتراز لئلا يكون غير موافق لمراد الله فيفسد التوبة ويدعو الى الوبال (ومما تدعو اليه) الشهوات الوبية (الكسل لأن أصله حب الراحة) في دار البلوى التي من حقها التشمير الى ما يوجب النجاة والفوز بالمطلوب فليست للراحة ولذا كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول « وأعوذ بك من العجز والكسل » وكان يتعوذ منه كثيراً (وهي) أي الشهوات (أشد دعاء الى الكلال [١] لأن منشأها من النفس الامارة بالسوء ويؤيدها الشيطان اللعين

(١) أي الى المتثاقل انتهى مختار ومثله في المصباح

والدنيا الفتانة (فيجب ان يستعين العبد على دفع الشهوات بمداومة الجوع والعطش) وبهذا ورد الخبر عنه صلى الله عليه وآله وسلم « جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فأن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وأنه ليس عمل أحب الى الله من جوع وعطش » وقال صلى الله عليه وآله وسلم « لا يدخل ملكوت السموات والأرض من ملأ بطنه » أي لا يدخل فكر مَن تفكر في ملكوت السموات والأرض من ملأ بطنه . وقيل يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال : « من قل أكله وضحكه ورضي بما يستر عورته » وقال « أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً » وقال « سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف » وعنه صلى الله عليه وآله وسلم في خبر « وقلة الطعام هي العبادة » وكان صلى الله عليه وآله وسلم يجوع من غير عوز أي مختاراً له . وقد تقدم شيء من ذلك وما يدفعها (ملازمة الخلوة) فإن بها يستقيم المحاسبة للنفس وعدم مشاهدة المائلين الى الشهوات وفراغ الفكر للتفكر الذي هو نصف العبادة ، وكذلك للعبادات والسلامة من شرور العباد (وحب المال يدعو الى الجمع بين الحلال والحرام والشبهات) وهما من اعظم المهلكات (ومن جملة ما يدعو اليه) حب المال (البخل الذي يمنع من إيفاء ما وجب عليه من حقوق الله تعالى وحقوق بني آدم المتعلقة بالمال) وذلك كالزكاة والفطرة وما يجب من الضيافة ان كان من أهل البوادي ونحوها وكذلك المظالم والمكافأة والديون للمخلوقين ، وكل ما أصاب من أموالهم بغير أمر

شرعي فيستعين بالله على التخلص من ذلك فلا مستعان سواه (وحب الشرف يدعو الى الحسد و والكبر والرياسة والغضب ويجمع ذلك كله حب الدنيا ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم « حب الدنيا رأس كل خطيئة ») فعلمت أن هذا الخبر من جوامع الكلم التي أعطاها الله عباده على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولذا قال الفضيل بن عياض : ترك الدنيا ورفضها أحب الى الله من التعبد بعادة أهل السموات والأرض كما تقدم . وورد في ذلك كتاباً وسنة ما لم يرد في غيره (وأشد الدواعي الى نقض التوبة دواعي الشهوات) اذ هي معظم الدنيا المذمومة الشاغلة عن الله تعالى (ولذلك ذمها الله تعالى بقوله ﴿ ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً﴾ ونحوه) وقوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات﴾ الآية وقوله تعالى ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾ وقوله ﴿ لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ وقوله ﴿ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور وكل﴾ وكل ما ورد في ذم الدنيا صادق على ذلك مثل قوله تعالى ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ﴾ وقوله ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ أي حظكم من الطيبات أذهبتموها بأشتغالكم بلذاتكم في الدنيا فلم يبق لكم منها شيء للآخرة﴾ وهذا دليل واضح أن ما زاد في الدنيا نقص من الآخرة والعكس كما قاله أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه

(« قال بعض الحكماء : ليس لعدوك عليك سبيل ما دمت متسلطاً بسيف الصبر على شهواتك فإن تركت الصبر وملت على شهواتك تسلط عليك عدوك ») والمراد بالعدو هنا هو النفس والشيطان والسيف توطين النفس والعزم الصادق على الصبر عن ملابسة الشهوات فاذا عرضت له شهوة قطعها بذلك الصبر وعزم عليه حتى يدفعها فيسلم من شرها فأما اذا لم يكن العزم صادقاً فلابس شهوة تسلط عليه عدوه فأورده كل الشهوات فأهلكه (ولذا تجد كثيراً من أبناء الدنيا المنهمكين فيها إذا تابوا لم يثبتوا على التوبة أما بأن لا ينسلخوا عنها جملة أو بأن يخلوا ببعض أركانها لأن دواعيهم الى الدنيا وصوارفهم عن الطاعات تكون بحالها لم يعالجوها) فمن هذه الجهة أهلكوا نفوسهم بسبب عدم العزم القاطع على الصبر عن الشهوات التي لا ترضي الله ووقوعه عند ورودها حتى لا يتصور ملابسة شيء منها البتة واذا قد وقع الصبر ولو كان مُراً مرةً أو مرتين صارت النفس مأمورة للعقل وسطوته فلا تخالفه أبداً حتى يفضي ذلك الى السعادة في الدارين وأما أذا أهملت النفس بعدم صدق العزم على الصبر ولو كان عزماً مثلاً لكنه غير صادق مفض الى وقوع الصبر فإنه لا ينفع وهو معني قوله عليه السلام (كقاصد غيظه) وهي الموضع من الأرض الذي فيه الاشجار الكثيرة الملتفة (فمحها) أي قطعها كما حكاه في الضياء (وقطع أشجارها وترك عروقها بحالها لم يزلها ولا تعاهد الأرض بالتنقية) بل تركها بعد العمل بلا تعاهد وما طلع فيها

تركه ولم يزله (فإنه عن قريب تنبت أشجارها وتعود غيظه كما كانت) وهذا مثال جيد مدرك بالعقل والتجربة فإنه مثل الشهوات بالأشجار النابتة في الأرض ومثل النفس بالأرض التي هي الغيطة بأشجارها والتوبة بأصلاح الأرض وقطع الأشجار وازالة ما في الأرض من الخمر وهو ما ينبت في الأرض من ويل وغيره فيفسدها حتى لا يكن فيها زرع فاذا لم يكن للتائب صبر صادق رجع الى الشهوات فتكون التوبة منه كلا توبة (هذا ويستعان على دفع حب الشرف بتحقير النفس وتحقير قدرها) وذلك التحقير يحصل منه (بتذكر كثرة ادناسها وضعفها وفقرها وذلها ومسكنتها وكيف لا وهي في الابتداء نطفة) قذرة تخرج من موضع البول الى موضع الحيض أقذر المستقذرات ثم تصير علقة في الرحم ثم مضغة من اللحم ثم يركب الله عظامه وعروقه ثم ينفخ فيه الروح فيمكث ما شاء ثم ييسر الله له السبيل فيخرج الى الأرض دار البلوى ضعيفاً لا يقدر على شيء حتى لا يستطيع تنزيه نفسه عما يخرج من قذره ونجاساته فييسر الله له من يربيه ويحفظه الله ويغذيه ويرادف عليه نعمة الباطنة والظاهرة حتى يصير مميزاً بما أنعم الله عليه من الجوهر النفيس وهو العقل فيكلفه الله تعالى بنعمة التكليف فاذا قبلها وصل بها الى السعادة الأبدية بنعيم دار الخلود وان رد الالطاف بعدم القبول لنعم الله تعالى من التكليف الذي يستطيعه والتيسير لليسرى وتسهيل السبيل الى كل خير بل أطاع نفسه وشيطانه فقد أتى من جهة نفسه وقد يكون له عقوبات في الدنيا وآيات

وعبر وكلها من الله نعم لأنها تذكير عسى أن ينزجر فإن أبى إلا البقاء عليه وعصيانه متعة الله ما شاء في هذه الدنيا ولم ينزع عنه ما أعطاه فيها من نعمة مع أنه في حال عصيانه والله سبحانه منعم عليه حتى يأتيه أجله المضروب (ويصير في الانتهاء جيفة) لا يقبله حبيب ولا قريب بل يوارى ليستراح منه ويصاحبه عمله ليس له سواه إن خيراً ، فخير وإن شراً فشر وأنى له الخلاص فما له في حال مهلته لا يتذكر بأن يقبل الطاف ربه (وبأن يقدر الله حق قدره) بما يستطيعه من معرفة الله بقدر جهده إذ لا يستطيع مكافأة الله تعالى على أصغر نعمة فكيف بجليلها ولا يقدر على تعظيمه الأعظم كما قال الله تعالى ﴿ **ولا يحيطون به علماً**﴾ وقال عز قائلاً ﴿ **وما قدروا الله حق قدره**﴾ فكيف الغفلة عن هذا الرب العظيم من عبده الحقير الذليل المحتاج اليه في كل لحظة وكل طرفة كيف لا يتعبد له ويعرف قدر نعمه عليه ؟ (ويجله ويخشع له) غاية الخشوع والخضوع بكليته ويفعل ما يثير خشوعه (يتذكر عظمته) أي عظمة الله تعالى (واقتداره على ما يشاء) ويدله على ذلك التفكر بما خلق الله له من العقل وأنعم عليه به في مخلوقات الله البديعة الدالة على قدرة الله وحكمته وعلمه وجميع صفاته الحميدة فيتفكر في الأرض وما عليها والسموات وما فيها والانفس وما ركب فيها وفي جميع المشاهدات التي يضطر من نظر فيها بعين الاعتبار الى الاقرار بعظمة صانعها وانه يحق له الخضوع والخشوع اللذان لا غاية لهما وهذا التفكر في المشاهدات وأما فيما

ورد سمعاً فإن ذلك أجل وأعظم من المشاهدات كما قيل ان لله سبعين ألف عالم السموات والأرض وما فيهما عالم واحد وكذلك ما ورد في خلق الملائكة العظام صلوات الله وسلامه عليهم والجنة والنار وغير ذلك ومن وراء ذلك كله قوله تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ فجل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره فنسأله بحقه أن يهب لنا من جوده ورضاه آمين (ويستعين على دفع حب المال بأنه لا سبيل الى نيل النفس غير القوت في المطعم والمشرب والملبس وكذلك العيال قل المال أو كثر ولا سبيل الى غير ذلك من خلود أو غيره) هذا مع أنه مسؤول عما سوى ما لا بد منه كما قال تعالى : ﴿ ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ وفي المنذري عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ما فوق الأزار وظل الحائط وخر الماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسأل عنه » رواه البزار ورواته ثقات وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً(١) وقنعه الله بما آتاه » رواه مسلم والترمذي وعن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « يتبع الميت ثلاث أهله وماله وعمله فيرجع اثنان ويبقى واحد يرجع أهله وماله ويبقى عمله » رواه البخاري ومسلم وفي رواية أخرى لمسلم مرفوعاً يقول ابن آدام مالي مالي وإنما له

---

(١) الكفاف الذي ليس فيه فضل على الكفاف انهى منذري .

من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى وما سواء ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس وفي هذا أحاديث كثيرة قد سبق شيء من ذلك ، (واذا لم يرزق العبد الثبات على التوبة ولا الصبر على ملازمة الطاعة فوقع في المعصية مرة اخرى) اتباعاً لنفسه وشيطانه وزينة الدنيا فاذا كان كذلك والعياذ بالله (فلا يغفل عن معاودة التوبة المرة بعد المرة) فيخلص التوبة بالندم الصادق ويعزم عزماً قاطعاً ألا يعود الى ذنب لأن التوبة مع الاصرار على معاوية الذنب ليست بتوبة اذ لا يكون الندم صادقاً إلا مع القطع بعدم العودة فإن عاد بلا أصرار فلا ييأس (ولا يقنط من رحمة ربه بسبب نقض التوبة فعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « إن عبداً أصاب ذنباً فقال يا رب إني أذنبت ذنباً فأغفر لي فقال له ربه علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ») لتوبته بطلب الغفران الدال على الندم المتضمن ان صدق العزم على عدم العود وهو عدم الاصرار (ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً فقال يا رب أني أذنبت ذنباً آخر فأغفر لي قال له ربه علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له الحديث حتى ذكر مثل هذا المعنى بهذا اللفظ أربع مرات قال في آخرها فقال له ربه غفرت لعبدي فليعمل ما شاء . رواه البخاري ومسلم والمعنى ما دام كلما أذنب ذنباً استغفر وتاب منه ولم يعد اليه هكذا تأوله بعض العلماء) والعمدة على عدم الاصرار بالعزم على عدم العود وهو . يتضمن صدق الندم الذي هو التوبة في التحقيق . وبهذا يندفع

ما أورده بعضهم على هذا الحديث من الاغراء فنسأل الله سبحانه أن يصلح لنا شأننا كله ولا يكلنا الى أنفسنا طرفا عين وأن يدخلنا في واسع رحمته ورضاه آمين بحقه وحق أم الكتاب والاخلاص وآية الكرسي مقروءات .

خاتمــة الكتــاب

هي مشتملة على ثلاثة أقسام : هذه الخاتمة التي وعد بها الامام عليه السلام في أول الكتاب (القسم الأول في ذكر امهات المعاملات وما يتصل بذلك) الامهات التي يرد اليها ما سواها كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ **منه آيات محكمات هن أم الكتاب** ﴾ فيرد اليها المتشابه وهنا لعل المقصود بالأمهات ما يدخل تحتها غيرها (قيل ان أمهات المعاملة) يدخل تحتها كل معاملة لله وخلقه وهي (أربع) الأولى (التوبة و) الثانية (الزهد و) الثالثة (العبودية و) الرابعة (الاستقامة) أما التوبة فتقدمت قريباً قبل خاتمة الكتاب وأنها من أمهات المعاملات المهمة اذ لا يثبت عمل للعبد نافع مقبول إلا بها لقول الله تعالى ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ وأين التقوى ممن لم يتب عن معصية الله وأما الزهد فكذلك أيضاً فإنه قد تقدم مما ورد فيه كثير وحقيقته انصراف الرغبة عن الدنيا عدولاً الى الافضل وهي الآخرة وعن غير الله تعالى عدولاً الى الله تعالى وكفى بقول الله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان أردت أن يحبك الله فأزهد في الدنيا » فعلمت أن الزهد أعلى مقاماً عند الله

تعالى لأنه سبب محبة الله تعالى لعبده وفسر صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: ﴿ **فمن يرد ألله أن يهديه يشرح صدره للاسلام** ﴾ حين سئل عن معنى الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب للموت قبل نزوله وأما العبودية فهي مشتقة من العبادة وهي أعلى نهاية الخضوع والتذلل مخصوص لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع ويدخل تحتها كل عبادة من صلاة وصيام وحج وزكاة وذكر ونحو ذلك وأما الاستقامة فهي التي أراد الله بقوله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **فأستقم كما أمرت ومن تاب معك** ﴾ وهي المحافظة على أداء الواجبات واجتناب المقبحات وجميع ما وردت به الشريعة على حسب ما يريده الله من دون زيادة فيه ولا نقاصن ولزوم الجادة المستقيمة من دون تعد فيها وعن أبن عباس رضي الله عنه : ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية كانت أشد عليه من هذه . ولهذه قال صلى الله عليه وآله وسلم « شيبتني هود والواقعة واخواتها » وفي رواية ما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء أو هلاك الإمم قال لا ولكن قوله تعالى فأستقم كما أمرت ذكر معنى هذا في الكشاف والثمرات (وتمامها) أي تمام أمهات المعاملة الأربع وهي التوبة والزهد والعبودية والاستقامة (بأربعة أقلال الطعام وأقلال النوم وأقلال الكلام والعزلة عن

الناس) وقد تقدم في كل واحدة من هذه الأربع شيء مما ورد فإن شت فأرجع له ترشد ان شاء الله تعالى(وقيل بل هي خمس الأولى معاملة النفس و ذلك بمنعها هواها واذلالها ورد جماحها بالطاعةوكسرها فإنها في الحقيقةأكبر الأعداء) يعني وفي قولٍ أن أمهات المعاملة خمس أولها ما ذكره عليه السلام فإ النفس كما قال تعالى أمارة بالسوء وهذا عام لكل سوء من وسائل الشيطان الى القلب فعلى العبد أن يتيقظ في حاله قبل أن يهلك (وذلك بأن ينظر في القلب فيطهره من الاخلاق المذمومة) كلها ويتفقدها واحداً واحداً فيقلع عنه كل خلق مذموم من أصله بعروقه بحيث لا يبقى شيء منها ثم لا يأمن بل لا يزال يتفقد قلبه في كل حال حتى لا يعود منها شيء كما تقدم والأخلاق المذمومة أربعة عشر (كالرياء) وهو الأول منها فأنه مفسد لكل عمل صالح بل تصير الطاعة به معصية فما ظنك بما كان كذلك وعلاجه ماتقدم في بابه وذلك بأن ينظر العبد في حاجته الى ربه وانعامه عليه في كل لحظة وطرفة فما له لا يخلص العمل له والى غنائه عن الناس واذا توهم أنهم ينفعونه فإنما ذلك من الله تعالى اجراه على أيديهم فقط فليس منهم منفعة بل السلامة من مضراتهم له أكبر غنيمة فكيف يشركهم فيما يجب عليه أن يخلصه لربه وقد تقدم ما ورد فيه كتاباً وسنة (و) الثاني (الحسد) وقد تقدمت حقيقته وما ورد فيه وعلاجه وأنفعه أن يعلم الحاسد يقيناً أنه لا منفعة له به بل مضرة لا محالة عليه من دون أن يضر المحسود إلا ما نفعه (و) الثالث (الكبر) وقد

تقدم . وأنفع ما يعالج به أن يعلم العبد بضعف نفسه بالنظر اليها بعين التحقيق ويعلم عظمة ربه كذلك بالتحقيق والنظر الى ما ورد في ضعف العبد وان كان مدركاً بالضرورة والى ما ورد في عظمة الرب جل وعلا ثم ينسلخ من افعال المتكبرين الى افعال المتواضعين ويكون ذلك بجد من دون توانٍ بل يقسر نفسه على افعال المتواضعين قسراً لأن النفس أولاً تأباها ثم تستلذها بعد التمرن عليها (و) الرابع (العجب) وعلاجه بالنظر في أصل العبد ومآله وما بينهما على التحقيق فإنه لا يكون العجب إلا من أحمق ناقص العقل وقد تقدم شرحه (و) الخامس (البخل) وقد تقدم وأنفع علاجه أن ينظر ما هو فيه الى ما ورد في ذمه كتاباً وسنة والتأمل في أحوال البخلاء ، فإن الطبع ينفر عن ما حكي عنهم لأن العقل يقضي بخلافها بل ينكرها على البديهة وينظر ما ورد في السخاء وأهله وكفى بما رواه في التصفية من قوله صلى الله عليه وآله وسلم « حلف الله بعزته وجلاله وعظمته لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل » وغير ذلك كثير (و) السادس والسابع (الحرص والطمع) وقد تقدم وأنفع أدويته الاقتصاد في المعيشة وقد[1] قال صلى الله عليه وآله وسلم « من اقتصد أغناه الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله أحبه الله » وقوله : « ان[2] الله يحب الرفق في الأمر كله » وعلى

---

(١) اخرجه البزار عن طلحة ولفظه من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله ومن تواضع تواضع لله رفعه الله ومن تجبر قصمه الله

(٢) اخرجه البخاري عن عايشة بلفظه .

العبد أن ينظر ما في القناعة من العز وما في الطمع من الذل والصغار وما في جمع المال من الاخطار المهيلة في الآخرة . (و) الثامن والتاسع (المكر والخديعة) : وكفى بهما ذماً أنهما من أخلاق المنافقين والكفار والشياطين فكيف لا يأباه المؤمن وقد ذمه الله في كتابه الكريم بقوله ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فأنظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين** ﴾ وما ورد في السنة من الأخبار كثير (و) العاشر (الغش) ويرادفه الخيانة وهي قبيحة عقلاً وشرعاً قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون** ﴾ وقال ﴿ **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض** ﴾ الآية . وعن الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من غشنا ليس منا » وغير ذلك (و) الحادي عشر (حب الثناء) وكفى في ذمه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ رضوان الله عليه « إنما هلاك الناس بأتباع الهوى وحب الثناء » وذلك بعد قول الله تعالى ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً** ﴾ الى آخر الآية وينظر على التحقيق كم في الجاه من الآفات ، وكم في الخمول من اللذات ، وقد تقدم شيء من ذلك . (و) الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر (الولوع بالشهوات ومحبة الدنيا والغفلة عن الآخرة) وإنما جمعتها لأن مرجعها حب الدنيا . وقد تقدم وهو مجمع الخصال المذمومة وأصلها ، اذ كلها متفرعة

منه لا يخرج شيء منها عنه . ولذا قال الله تعالى: ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ والهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا . وقال(١) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «حب الدنيا رأس كل خطيئة» فينبغي الجد والاجتهاد في طلب قلع حب الدنيا من القلب بكل قالع نافع ، واذا يسر الله للعبد وأعانه على قلعه فليحافظ على حفظ قلبه عنه ويبشر بالسعادة الأبدية عند ربه في الآخرة الباقية . وعلاج قلع حب الدنيا المذمومة : أولاً بمعرفة ماهيتها ، لأن الدنيا عبارة عن ما كان قبل الموت ، وليس كل ذلك مذموماً ، وإنما المذموم ما لا تبقى ثمرته لك بعد الموت . وأما ما هو لله فمحمود لأن الدنيا مزرعة الآخرة ، وكيف تكون مذمومة وفيها العلوم النافعة والأعمال الصالحة التي توجب رضوان الله تعالى ، وإنما المذموم منها ما شغل عن الله تعالى وهو كل ما لم يكن له ثمرة في الآخرة ولا يوافق رضاء الله تعالى نحو التلذذ بالمعاصي والمباحات والزائدة على قدر الضرورة كالترفه والتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث والغلمان والجواري والدور والقصور ورفيع الثياب ونحو ذلك مما لم يكن في شيء من هذه الأشياء مقصد مرض الله فإنه الدنيا المذمومة التي لعنها الله تعالى ورسوله وورد فيها الذم العظيم في كتاب الله تعالى والاخبار النبوية الكثيرة ،

(١) اخرجه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلاً بلفظه .

وقد تقدم شيء من ذلك . فمن أنفع القوالع بعد معرفة ما ذكر ماهيتها تحقيق النظر فيما ورد في ذمها وتكرير ذلك وتأمله بلا غفول عنه بل يجعله المرء من أهم أشغاله وهذا هو القالع الثاني من قوالع حب الدنيا عن القلب . القالع الثالث تأمل سرعة زوالها ، وتقلب أحوالها مع أن الآتي من العمر مثل الماضي ينقضي في اسرع وقت ، فلا ينتبه العبد إلا عند لقاء الله كما روي عن امير المؤمنين علي رضوان الله عليه : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . ثم ما ينفع الندم بعد ذلك ومستقر المسيء الخلود في النار . فنعوذ بالله تعالى من الغفلة . القالع الرابع التأمل الكامل في دوام الآخرة إما في نعيم مقيم عظيم أو في عذاب أليم . وتحقق ذلك في فكره في جميع أوقاته . القالع الخامس تأمل بلايا الدنيا وكثرتها حتى لا يجد أحداً فيها إلا شاك من بلواها لانها ما خلقت إلا للبلوى ، فكيف الغرور بها وهي كذلك . قال بعض الفضلاء : بنيت الدنيا على الضيق والكدر . والقالع السادس النظر في الأمثلة المضروبة لها في شدة غدرها وغرورها ومكرها وان باطنها خلاف ظاهرها فلا تزال خادعة لأهلها مهما أقبلوا عليها كأمرأة شأنها التزين للخطاب فمن تزوجها ذبحته وألقته في العذاب الدائم ، فما أحقها بغاية الحذر ومثلت بالحية لين لمسها قاتل سمها . القالع السابع تحقيق النظر في عواقب من صحبها وركن اليها كما قال الله تعالى : ﴿ أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها

أكثر مما عمروها﴾ الآية . ومن الاخبار النبوية ورد كثير في ذلك وهي كما قيل شعراً :

ومن يأن الدنيا يكن مثل ممسك
على الماء خانته فروج الأصابع

القالع الثامن التأمل في المواعظ الواردة على لسان الأنبياء والفضلاء والحكماء الذين عرفوا قدرها فعاملوها بما يليق بها وتجنبوها وتركوها لأهلها فنجوا من شرها لعقول وافرة وعزائم صادقة . القالع التاسع رياضة النفس أولاً تدريجاً في التخلص منها اذا كان العبد قد دخل فيها فيقطع علائقها واحداً واحداً مع الاهتمام بذلك وعدم التواني ولا يظن أنه يخوض فيها وفي نعيمها ببدنه وقلبه مظهر من حبها فإنما هذه مكيدة من مكائد الشيطان قد أهلك بها كثيرين لأن من ذاق نعيم الدنيا ولع به حتى يألفه ويحبه وهذا هو حب الدنيا . ولذا قال[١] الرسول صلى الله عليه وآله وسلم « إنما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي على الماء هل يستطيع الماشي في الماء ان لا تبتل قدماه » رواه في التصفية فكذلك ملابسة الدنيا . القالع العاشر العزم الصادق الذي لا تفله تسويفات النفوس وخيالات الشياطين وطول الآمال المهلكة والاستعانة بالله سبحانه فيلجأ اليه العبد في قلع حب الدنيا من قلبه غاية اللجاء . وليحذر العبد (من) جميع (غرائزه) أي

---

(١) اخرجه البيعي في الشعب عن انس ولفظه هل من أحد يمشي على الماء لا تبتل قدماه كذلك صاحب الدنيا لا يسلم من الذنوب

غرائز قلبه (المذمومة ـو) يطهره (بأن يغرس فيه) خمس خصال محمودة : الأولى (الاخلاص) لله في كل أقواله وأفعاله بنية قوية خالصة عن كل ما يشوبها من الرياء وحب الثناء والسمعة والمباهاة وطلب الجاه وكل حظ من حظوظ الدنيا المذمومة بل يكون العمل خالصاً لله تعالى امتثالاً لأمره عز وجل وطلباً لرضاه . (و) الثانية أن يلزم نفسه (التواضع) فإن أبت عليه علم ان قد دخل فيها داء الكبر فليهضمها بجده واجتهاده فيفعل كل ما أبت عنه من أفعال المتواضعين من أمثاله بلا تفريط مخل ولا أفراط حتى يحل فيها التواضع فإنه أعلى الخصال الحميدة . (و) الثالثة (النصيحة) في كل أموره لله عز وجل ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم فيحذر غاية الحذر من كل غش وخيانة ناظراً الى خِسِهِّمَا عقلاً وما ورد فيهما شَرعاً . (و) الرابعة يلزم نفسه (الشفقة) على غيره من اخوانه المؤمنين للأخبار النبوية الواردة في ذلك أن الله تعالى يرحم الرحماء وقوله ﴿ **من لا يرحم لا يرحم**﴾ وقوله ﴿**انصر أخاك ظالماً ومظلوماً**﴾ . فأما المظلوم فبإعانته على أخذ حقه ، وأما الظالم فبإرشاده الى كف ظلمه وليجهد نفسه في طلب الخصلة العليا التي صارت جامعة لكل محمود بريئة عن كل مذموم (و) هي (حسن الخلق) وهي الخصلة الخامسة . اعلم ان هذه الرتبة العظيمة هي صفة سيد الانبياء وأفضل أعمال أهل الصدق من الائمة الأولياء وهي ثمرة مجاهدة أهل التقوى ورياضتهم التي ترفع من لزمها الى فوق مرامه كما ان الاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والدواهي المهلكة والمخازي الفاضحة

لأنها تبعد من جوار رب العالمين ومحاسن الاخلاق توصل صاحبها درجة المقربين الفائزين برضوان الرؤوف الرحيم وحقيقة حسن الخلق : عن أمير المؤمنين رضوان الله عليه انه قال : حسن الخلق في ثلاث : اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال . وقد ذكروا حقائق اخرى تميل الى بيان حكمة لاماهيته قال الامام يحيى رضوان الله عليه في تصفيته : والمختار أنها عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الحميدة بسهولة وتسوي من غير حاجة الى ذكر وروية انتهى . فعلى العبد أن ينظر في نفسه فإن كان كذلك من أصل الطبيعة صدقاً لا غروراً إذ الانسان لا يعلم عيب نفسه فيلزمه امتحانها في كل خلق من الاخلاق الحميدة كلها التي ذكرناها سابقاً فإذا تيقن ثباتها في كل خلق محمود حمد الله واثنى عليه حيث كفاه مشقة الرياضة لتحصيلها في نفسه وقلع أضدادها من الأفعال المذمومة إذ هو الجهاد الاكبر وان لم يتيقن ثباتها في كل خلق محمود وبراءتها عن ضده فعليه الرياضة في اصلاحها حتى يصير حسن الخلق فيه كاملاً وفي الحقيقة أن حسن الخلق صلاح الباطن بأستكمال طهارته من كل رذيلة وثباته في كل حميدة ومما تقدم ذكره كما أن حسن الخلق كمال الصورة الظاهرة وحسنها في كل حال وأمهات حسن الخلق اربع الحكمة والشجاعة والعفة والعدل كما حكاه الامام يحيى عليه السلام لكنه لا يكمل إلا بكل الخصال فاذا كمل في العبد صار سعيداً قريباً من الله بقدر كماله في ذلك ولذا قال الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ﴿ و

أنك لعلى خلق عظيم﴾ قالت عائشة كان خلقه القرآن ومدح الله تعالى حسن الخلق في آيات كثيرة من كتابه الكريم كقوله تعالى : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ وقوله ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين﴾ وقوله حاكياً حكمة لقمان : ﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ فقد أشار الله تعالى في هذه الآيات الى شرائف الخصال من حسن الخلق والقرآن العظيم كله دال الى مكارم الاخلاق ومن الاخبار ما رواه الامام يحيى بن حمزة في تصفيته قول[1] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » وقوله[2] صلى الله عليه وآله وسلم « أثقل ما وضع في الميزان الخلق الحّسن » وجاء[3] رجل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال الخُلُق الحسن . ثم أتاه من قبل يمينه قال ما الذين قال الخلق الحسن . ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين قال حسن الخلق . ثم أتاه من ورائه فقال ما الدين قال حسن الخلق . فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه فقال ألا تفقه هو أن لا تغضب » وقال صلى الله عليه وآله

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك والبيهي في سننه عن ابي هريرة ولفظه بعثت لأتمم صالح الاخلاق .

(٢) اخرجه ابن حبان عن أبي الدرداء ولفظه اثقل شيء في الميزان الخلق الحسّن .

(٣) اخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلوة عن الغلاء بن الشخير مرسلاً قاله المنذري .

وسلم «ما حَسَّن الله خُلُق أمرىءٍ وخَلْقه فتطعمه النار»[1] وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «أي الأعمال افضل قال حسن الخلق» وعن أمير المؤمنين كرم الله وجهه «حسن الخلق هو خلق الله الأعظم» وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي المؤمنين أفضل إيماناً فقال «أسحنهم خلقاً» وقال[2] صلى الله عليه وآله وسلم «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسلَ» وعن أسامة قال شهدت الاعراب يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون ما خير ما أعطي المرء قال: «خُلُق حسّن» وعنه[3] صلى الله عليه وآله وسلم «ثلاث من لم تكنَّ فيه أو واحدة منهن فلا تعتدُّون بشيءٍ من عمله تقوى تحجره عن معاصي الله أو حِلم يكف به السفيه أو خُلُق يعيش به في الناس» وقال[4] صلى الله عليه وآله وسلم «ألا أخبركم بأحبكم الى الله وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطئون اكنافاً الذين يألفون ويُؤْلَفون» وقال[5] صلى الله عليه وآله وسلم «ان حسن الخلق ليذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد[6]» وفي ذلك اخبار وآثار كثيرة وعلى الجملة فمن سعد بكمال حسن

(١) اخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة.

(٢) اخرجه الحارث في سننه والحاكم في الكنى عن ابي عمر بلفظه.

(٣) اخرج البزار عن انس ثلاث من كن فيه استوجب الثواب واستكمل الايمان خلق يعيش به في الناس وورع يحجزه عن محارم الله وحلم يرده عن جهل الجاهل.

(٤) اخرجه الترمذي عن جابر وقال حديث حسن

(٥) اخرجه الخرايطي في مكارم الأخلاق عن انس بلفظه.

(٦) الجليد هو الماء الجامد من البرد انتهى نهاية.

الخلق فاز في دنياه وآخرته برضوان ربه الذي هو الغاية القصوى فوق كل مطلوب والناس متفاوتون فيه فأقربهم عند الله أكثرهم حظاً من حسن الخلق هذا حسب حقيقته المتقدمة وهي طهارة القلب من كل سوء وثباته على كل محمود وبعض الناس يطلق حسن الخلق على ما كان بين العبد وبين الناس وعليه يحمل قوله[1] صلى الله عليه وآله وسلم « انكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم فَسَعُوهم ببسط الوجه وحسن الخلق »و وقوله « وخالق الناس بخلق حسن » ومعلوم انه نوع منه لكن لا يختص به فنسأل الله سبحانه بحقه العظيم واسمه العظيم الذي يستجيب به الدعاء أن يرزقنا من حسن الاخلاق ما يبلغنا به رضاه آمين بحرمة أم الكتاب والاخلاص وآية الكرسي مقروات ثم قال عليه السلام (والتهاون بالذم) فعلى العبد ألا يتهاون بالذم له من غيره لأنه لا يضره بل يرفعه عند ربه ان كان على الحق وذلك هو النفع المعتد به (واعتماد الشكر والسخاء ومحبة الآخرة والاعراض عن الدنيا وشهواتها الحرام بكل حال والحلال ما أمكنه الى غير ذلك من الخلائق المحمودة) هذه الخصال قد تقدم شرحها سابقاً وهي راجعة كلها الى حسن الخلق فأعرفها مما تقدم ترشد ان شاء الله تعالى (ثم يطهر لسانه من الكذب والغيبة والنميمة وسائر فضلات الألسنة) كالبهت والفحش وشهادة الزور والقذف والكلمات المستشنعة التي يخشى منها الكفر نعوذ

(١) اخرجه أبو يعلي والبزار عن ابي هريرة .

بالله من ذلك كله وينظر الى ما ورد في كل من ذلك كما تقدم فكم كَبَّت حصائدُ الألسن وجوهاً في الجحيم ولذا ورد ما ورد في الصمت وترك ما لا يعني ونجو ذلك (ثم) يطهر (يده وفرجه وبطنه وسمعه وبصره وسائر جوارحه) فينظر في آفات كل عضو ويسعى في قلعها وإزالتها بالرياضة الكاملة كل شيء بمقتضاه حتى يعلم طهارة جوارحه عن كل رذيلة وليعلم أن ما خلقه الله سبحانه إلا لعبادته وان عمله هذا هو مراد الله فلا يستثقل شيئاً منه أو يمله بل يدأب ويجاهد نفسه بجده وجهده فنعم المكابدة مع حسن النية الموصلة له رضي ربه واذا ترك هذا فلا بد له من كبد كما قال الله تعالى ﴿ **لقد خلقنا الانسان في كبد**﴾ ومن لم يشتغل بالحق يشتغل بالباطل وجهاد النفس هو أهم من كل حق (وينظر في حِل مطعمه وملبسه وسائر تصرفه ولا يطيع نفسه في شيء من هواها) إذ حِل المطعم والملبس أساس عظيم لقبول الدعاء والتوفيق للأعمال الصالحة وصفاء القلب الذي هو العمدة في التصفية قال صلى الله عليه وآله وسلم « كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به » وقال(١) صلى الله عليه وآله وسلم « من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته ما دام عليه » وعن ابن عباس رضي الله عنه « لا يقبل الله صلاة الرجل وفي جوفه حرام » وقال بعض الحكماء « من أكل من الشبهة أربعين يوماً أظلم قلبه » وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ **كلا بل ران**

---

(١) أخرجه احمد عن أبن عمر بلفظه .

على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وقال بعض الزهاد : « من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى ومن كانت طعمته حلالاً أطاعت جوارحه ووفقت للخيرات » وأما بيان مداخل الحلال والحرام وان كان محله كتب الفقه وهو قسمان : الأول ما يحرم لصفة في عينه كالخمر والخنزير والكلب وكل ما يضر أكله وكل ما يزيل العقل وكل نجس وكل ذي ناب من السبع ومخلب من الطير والخيل والبغال والحمير الاهلية وكل ميتة إلا الجراد والسمك وكل ما لا يذكى إلا الصيد فدكاته صيده . القسم الثاني ما يحرم لخلل عرض فيه الأول ما أخذ كرهاً من مالكه أو على وجه الحياء ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيبة من نفسه » الثاني المال المأخوذ من وجه محظور كالربا وأجرة البغي وحلوان[1] الكاهن وأجرة المغني والاجرة على واجب وأما الحلال فكلما أخذ على قانون الشريعة كالمعادن واحياء الأرض المباحة والاحتطاب ونحوه كالاحتشاش من المباح وما أخذ قهراً على من لا حرمة له كالغنائم والفيء بعد اخراج الخمس والقسمة وكلما اخذ برضاء أربابه على جهة معاوضة أو هبة أو صدقة أو وصية ، وكذا المواريث اذا اخذها المؤ رث من حلها وأماالشبهات فيجب اجتنابها إلا ما ظهر حله وعلى الجملة فإن الله سبحانه قد خلق العقل وأوضح في كتابه وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وآله ما يكفي فيجب عليك طلب ما يرشدك الى ما يوجب لك رضاه وينجيك من سخطه وهو

(١) وهو ما يعطا على الكهانة. انتهى مختار .

المسؤول بالاعانة والتوفيق وعلى العبد أن يجاهد نفسه عن هواها المردي (اللهم ألا أن يخشى منها النفور الكلي فإنه يرفه عليها بشيء من المباحات) التي لا شبهة فيها كالسعي في البر والنظر الى الخضرة والمياه الطيبة وكالنظر في القصص والاشعار التي لم تكن محظورة وأما ما كان فيه حكمة أو موعظة فإنه مما يثاب عليه وقد يكون المباح طاعة (مع استحضار النية الحسنة و) الأولى (الاقلال) من المباحات كلها (مهما أمكن ويعين نفسه على الاتيان بالطاعة) ويحرص على كل لحظة من أوقات عمره أن تصير في طاعة ربه (واجتناب المعصية له ما أمكن) لأن رضا الله سبحانه مخبوء في طاعته وهو طلبة كل سعيد وسخط الله تعالى مخبوء في معصيته فما بال العبد لا يحذر سخط ربه ويجد في طلب رضاه نسأل الله سبحانه ان يبلغنا من رضوانه الغاية آمين (الثانية معاملة الله سبحانه وهي بالالتجاء اليه) الالتجاء الصادق (ورؤية أن لا سواه) إذ هو المجري عليه نعمة في كل لحظة وطرفة بحيث لا يستغني العبد عن ربه طرفة عين فكيف لا يلتجيء اليه في كل احواله (وأن لا يكون) خالص (العمل) الصالح (إلا له) وحده لا شريك له لينال رضاه في دنياه وأخراه (وبه) الوثوق والاستقامة (على ما تقدم) بيانه وعلى كل حال (لا طريق) للعبد المفتقر الى ربه في كل لحظة تمر به في مستقبله أو ماضيه (سوف الاعتراف بالعجز) المفرط (عن بلوغ أداء ما يستحقه) مالكه ومولاه جل وعلا (وليحذر) كل الحذر (أن يفقده حيث أمره) من فعل ما أوجبه عليه (أو يراه حيث نهاه)

عنه من فعل معاصيه (وليثق به غاية الثقة) حتى (لا) يثق (بغيره) في حال من الاحوال (فمن عامله) بالجد في طاعة واجتناب معصية والتماس رضاه في كل أقوال العبد وأفعاله (ربح) بدوام النعم في رضاه في الدنيا والاخرى أي ربح فوق هذا الربح الاعظم . (وأفلح) ويا له من فلاح (ورشد) بمنّ ربه وإلهامه الى ما يسعد به (وأصلح) وأنجح ففاز ببغيته التي ما وراءها بغية نسأل الله أن يقود بنواصينا اليه آمين . المعاملة (الثالثة معاملة الشيطان) لعنه الله (بأن يبني على انه عدوه) فيحذره غاية الحذر (فلا يطيعه) في شيء من خيالاته ووساوسه المطغية المهلكة (وليستشعر أنه يأتيه من طرق كثيرة) نعوذ بالله منه ومنها وقد مثل القلب بالحصن والشيطان عدو يريد دخوله وله اليه وسائل وهي آفات الباطن كالغضب والشهوة والحسد والحرص وحب الدنيا والعجلة والطمع والبخل وسوء الظن والشبع لأنه يقوي الشهوات وكل خصلة مذمومة فهي وسيلة للشيطان وليس للعبد معين على حفظ قلبه من الشيطان إلا الله تعالى فيجاهد العبد نفسه بالحراسة لقلبه من كل وسيلة للشيطان ويلتجيء الى الله بقلبه ويكثر الدعاء والاذكار مثل قراءة آية الكرسي ، فإنها مشهورة الفضل عن الحسن البصري قال نبئت أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان عفريتاً من الجن يكيدك فاذا أويت الى فراشك فأقرأ آية الكرسي وكذا المعوذتين وكذا ما علم جبريل رسول الله صلى الله عليهوآله وسلم حين كان يأتيه شيطان وبيده شعلة نار فيقوم بين يديه حال صلاته

فقال : قل أعوذ بكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار وطوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن » فطفئت شعلته وخر على وجهه ذكر معنى ذلك الامام يحيى بن حمزة عليه السلام في تصفيته . وبه اخبار غير ذلك في آيات وأذكار وعلى الجملة فكلما أحس العبد في قلبه بشيء منالخصال المذمومة علم أن ذلك من جهة النفس والشيطان فليحترز منه بكل ما أمكنه بجد واجتهاد لينجو من الوبال ويفوز برضى ذي الجلال وعلى كل حال من الاحوال (فإن خطر بقلبه ما لا يعلم أنه منه واجس[1] وهو أم لا عرضه على الشريعة المطهرة) إذ هي معيار لا يحيف عن الحق (ثم تَثَبَّتَ وتأنى واستخار الله سبحانه وتعالى) بالصلاة المشروعة والدعاء ونحو ذلك وصفة صلاة الخيرة عن جابر رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر خير لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجل أمري وآجله فأقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه وان كنت تعلم أنه شر لي في ديني ودنياي ومعاشي

(١) والواجسّ الهاجسّ والهاجسّ الخاطر في الصدر انتهى مختار .

وعاقبة أمري أو عاجل أمري وآجله فأصرفه عني وأصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به وقال ويسمى حاجته رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة (ونعوذ بك من كيد ابليس ومكره وكذلك يعرضه على الصالحين ويتدبر العاقبة فإنه عند ذلك ينكشف له الأمر ان شاء الله تعالى) .
والعرض على الصالحين مشاورة اذ قد شرعها الله لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ مع أنه قد أعطى قوة أربعين نبي في كل شيء فضلاً عن سائر الناس وكان صلى الله عليه وآله وسلم كثير المشاورة لأصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم » وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً ما يشاورون ذكر معنى ذلك في الكشاف . المعاملة (الرابعة معاملة الدنيا والدنيا عبارة عن كل ما ليس بمراد الله تعالى) وإنما هو من هوى النفس والشيطان (أو شغل عن الأفضل وإن كان مراداً له) أي لله تعالى ولكن الاشتغال بالأفضل من باب تقديم الاهم وفيه رضا الله تعالى فهو أحق بالاشتغال به (والضباط أن كل ما لا ينفع في الآخرة فهو دنيوي محض) والله سبحانه لا يعتبر الدنيا إذ القصد بها الآخرة لقوله تعالى ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ (وما نفع) أي في الآخرة (فأخرويّ وان كان من أعمال الدنيا) لأن العبرة بالنية اذ هي تصير الأعمال كلها طاعة والدنيا مزرعة الآخرة (.ومعاملة الدنيا بأن يعرف العبد أنه لا راحة فيها) اذ هي مبنية على الضيق

والكدر حيث هي سجن للمؤمن (فلا يطلبها ولا يعلق قلبه بالنعم والترفه والرياسة فيها) لأن الاستكثار منها وبال فحرامها عقاب وحلالها حساب (وليس له منها إلا كفاية) يرجع اليها فيما لا بد له منه (فليطلب منها ما يطلبه المسافر مما يبلغه منزله) كما وردت بذلك الاخبار النبوية كما تقدم وفي حديث سلمان المشهور حين بكى في مرضه فسئل فقال ليس جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد الينا عهداً قال : « ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب » وحولي هذه الاساود قال وأنما حوله اجانة وجفنة ومطهرة والاساود الامتعة وفي رواية أخرى للطبراني : بيع متاع سلمان فبلغ أربعة عشر درهماً يأتي قدر ريال وربع وأما قدر الكفاية فقد فسره صلى الله عليه وآله وسلم بما سد الجوع وستر العورة (وهذا لا يتم إلا بالبناء على قرب الأجل وسرعة الموت فإنه من أطال الأمل أساء العمل) . المعاملة (الخامسة معاملة الخلق) ومعاشرتهم فإنها من أجل المهمات في معرفتها والعمل بها(ولقد عظمت البلوى بهم فإن لهم حقوقاً) تجب عليك (ومنهم) تجب لك (وبسببهم منشأ اكثر الشرور) ولهذا شرعت العزلة فراراً من شرورهم ففيها السلامة من ذلك (فليقم العبد بحقوقهم) فيوقر الكبير ويرحم الصغير ويسعى في حاجة المحتاج ويسد رمق الجائع وما يجب للضيف ويقوم بما يجب عليه للجار والرفيق والقريب ينفق عليه إن كان معسراً والوالدان يقوم بما يجب عليه لهما وقد تقدم شيء من ذلك واستكملته في كتاب الرضوان مع انها

مذكورة في كتب الفقة فأطلب ما يجب عليك ترشد ان شاء الله تعالى وبعد المعرفة يعجل الواجب عليه ثم المندوب (ويسقط حقه ما أمكنه) اقتداء بنبيه صلى الله عليهوآله وسلمفإنه كان من حسن خلقه لا يغضب لنفسه البتة واذا غضب لله تعالى لا يقاوم ومما ينبغي للعبد التجنب عن الناس بعد كفايته في معرفة ما يجب عليه (وليبعد منهم جهده ان صلحت له العزلة) وقام غيره بما يجب من فروض الكفاية (وان لم تصلح فليجالس من فيه خير فجليس الخير خير من الوحدة) إذ من شأنه اذا نسيت ذكرك واذا ضللت هداك واذا جهدت أعانك واذا ظلمت نصرك واذا ظلمت وعظك وكفك عن ذلك واذا رأى فيك عيباً أبانه لك كي تحذره ويكون لك سبباً للأجر فيما أحسنت اليه أو الى غيره بدلالته فهذا جليس الخير (والوحدة خير من جليس السوء) إذ لا بد لك أن تنال من شره أن سمعت غيبة أو فحشاء أو أي معصية ولم تنكرها ، أثمت أو يكون بينك وبينه شقاق أو تسرق من طبعه فلا بد لك من ذلك وان احترزت فلا تقدر فليس إلا تركه ومجانبته (و) يجب على العبد أن (يجب لهم) أي للمؤمنين (ما يجب لنفسه ويكره لهم ما يكره لها) وقد تقدم (ومحبته في الله وبغضه في الله) وعلى الجملة فيؤثر حق الله تعالى على غيره وما يجب عليه من حقوق العباد فهو لله تعالى مقدم على غيره لأن الله عز وجل اسمح الغرماء (و) ولتكن (موالاته ومعاداته كذلك) أي في الله تعالى (و) يجب على العبد أيضاً أن (يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بقدر طاقته) مع تكامل شروط الأمر والنهي المقررة في

مواضعها من ظنْ التأثير وان لا يؤدي الى ما هو أشد منه ولا يخشن ان كفى اللين وتقديم الأهم فالأهم وتقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة والترجيح بين المصالح ونحو ذلك (ويملك نفسه عند الشهوة والغضب) قال المنذري : عن أبي هريرة ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصني قال « لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب » رواه البخاري وعن ابن عمر أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يباعدني عن غضب الله قال : « لا تغضب » رواه احمد . وفي رواية ان رجلاً قال : يا رسول الله قل لي قولاً وأقلل لعلي أعيه وفي رواية ينفعني الله به قال : « لا تغضب » فأعاد عليه مراراً كل ذلك يقول « لا تغضب » رواه احمد ورواته رواة الصحيح وفي رواية أبي الدرداء أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دلني على عمل يدخلني الجنة فقال : « لا تغضب ولك الجنة » رواه الطبراني بأسنادين أحدهما صحيح وفي خبر آخر « الصرعة كل الصُرعَة كررها ثلاثاً الرجل الذي يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهه ويقشعر جلده فيصرع غضبه » الصرعة بضم الصاد وفتح الراء هو الذي يصرع الناس كثيراً بقوله وأما بسكون الراء فهو الضعيف الذي يصرعه الناس حتى لا يكاد يثبت مع أحد (ولا يعجل في شيء من الأمور فيخطىء) فقد ورد في ذلك في الشريعة ما لا يخفى كقوله صلى الله عليه وآله وسلم « الاناة من الله والعجلة من الشيطان » ونحو ذلك « من تأنى أصاب أو كاد » (ولا يتوانى) عند أن يكون له فرصة ترضي الله تعالى يخشى

(فواتها) فيتبطل عمله) بالتأني (ولا يداهن على المعصية) وقد تقدم ما ورد في فصل تحريم المداهنة فأرجع له تفضلاً (ولا يخل بالمداراة الجائزة عند خوف المضرة) فإن السياسة في باب ارشاد العباد انفع من غيرها في بعض الأحوال فلكل مقام مقال (وليحسن الظن بهم ما أمكنه) حسب الحال لأنه أسلم من الأثم لقوله تعالى ﴿ ان بعض الظن أثم﴾ فلا يسيء الظن إلا بعد التحقيق فاذا تحقق فقد قيل انه من الحزم (ولينظر الى من فوقه في الدين فيقتدي به) وتصغر عنده أعمال نفسه فيطلب الزيادة في الأعمال الصالحة بالنظر الى من فوقه فيها فمن شأن الانسان أن يكون كذلك وأما اذا نظر الى من دونه في الدين استكثر عمله فتوانى (وينظر الى من دونه في الدنيا فيأمن) مع ذلك (ازدراء نعمة الله عليه) حيث لم يكن لمن دونه مثله (ويكثر شكره) لله (تعالى على أن فضله على غيره) عن أبي ذر رضي الله عنه قال أوصاني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم بخصال من الخير أوصاني أن لا أنظر الى من هو فوقي وانظر الى من هو دوني وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم وأوصاني أن اصل رحمي وأن أدبرت الحديث » رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه رواه المنذري في الترغيب في الفقر (وعلى الجملة) فإن العبد ينظر بعقله وبما ورد في الشريعة (فما عرف رشده) وتيقنه فيما يجب فيه اليقين أو ظنه فيما لا يمكن إلا بالظن (اتبعه) وعمل به في جميع أموره (وما عرف قبحه) عقلاً أو شرعاً (اجتنبه) ويجب عليه طلب معرفة ما يجب عليه وما يحرم وجوباً متحتماً (وما التبس عليه توقف يفي

الحكم فيه واجتهد في طلب معرفته) في الشريعة الغراء المحمدية (ثم يعمل بمقتضاها) من دون زيادة ولا نقصان ولا غلو ولا تفريط لأنها تولد من ذلك البدعة وهي الداهية العظمى وهي في الدين الزيادة فيه أو النقص منه (وما تعارض فيه مرجح للفعل ومرجح للترك) كالمباحات المحضة حيث لم يكن فيه نية لقربة لأن النية الصالحة تصيرها طاعة فإن لم يكن نية صالحة فيها (فليكن ميله الى الترك) أولى من الفعل إذ هو أسلم لدين العبد (كالكلام والصمت) اذا تعارضا فإن الصمت أولى (إلا أن يكون) وثمة (مرجح الفعل أقوى) قوة ظاهرة فلا بأس بالفعل وليحرر النية فيا لها من مطية للفلاح بالغية من رضوان الله تعالى (وللأمور قرائن ودواع ومرجحات من وجوه لا تنحصر) تختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والأوقات ونحو ذلك ومرجعها الى العقل والشرع (وكثير منها لا يحصل إلا بإلهام من الله تعالى بعد ذكره واستخارته ولذلك شرعت الاستخارة وورد فيها الخبر من سعادة المرء واستخارة الله ومن شقاوة المرء تركه استخارة الله » أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (و) مما يشرع (التأني والرجوع الى الشرع وأهله) كما تقدمت الاشارة اليه من الاستشارة ونحو ذلك (وأعلم أن كثيراً من التكاليف قد تختلف في الوجوب والافضلية بحسب الاشخاص) فتجد هذا الشخص يجب عليه الامر بقدرته على فعله وتمكنه منه بلا مانع ولا يجب على غيره لعدم ما ذكرناه من القدرة والتمكن (والازمان) في كل ماله تعلق بالزمان والتمكن فيه وعدم التمكن

(والاحوال) وهي أكثر ما تختلف من غناء وفقر وصحة ومرض ومانع وعدمه وتقديم ما هو أهم في تلك الحال ونحو ذلك (ولهذا قيل أن طلب الثواب بالتكسب الحلال أفضل من انتظار ما في أيدي الناس) وهذا أمر بين في حسنه عقلاً وشرعاً . في كتاب المنذري عن المقدام بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ما أكل أحداً طعاماً قط خيراً له من أن يأكل من عمل يده و أن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري وغيره وابن ماجة ولفظه قال : « ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده وما انفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة » . وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه » ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن سعيد ابن عمير عن عمه وهو البراء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الكسب أطيب قال : « عمل الرجل بيده وكل كسب مبرور » رواه فيه وقال صحيح الاسناد وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال « ان الله يحب المؤمن المحترف » رواه الطبراني في الكبير وفي رواية لعائشة مرفوعاً « من أمسى كاسباً من عمل يده أمسى مغفوراً له » رواه الطبراني في الأوسط وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « طلب الحلال واجب على كل مسلم » . رواه الطبراني في الاوسط وعلى الجملة فإن الطلب تدخله الاحكام الخمسة كما يأتي وهو محمود (إلا

لأربعة) الأول (العالم) الذي يشتغل بتعليم العلم ونشره وتأليفه لينفع به الناس في دينهم وكالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم (و) الثاني (المتعلم) الذي صدق عزمه في طلب العلم النافع لما أوجب الله عليه من معرفته أو ندب اليه (و) الثالث (المجاهد) في سبيل الله بصدق نية لتكون كلمة الله هي العليا (و) الرابع من الأربعة (العابد بالعبادات القلبية) كالتفكر وتصفية الباطن من جميع الرذائل السابق ذكرها وأعظمها ترك الدنيا المذمومة والخروج منها الى اعمال الآخرة (لا) العبادات (البدنية) فإن من قام بها فهو كسائر الناس . وأما الأربعة فقال عليه السلام (فهؤلاء يأخذون من أموال الله تعالى) المعدة للمصالح والأوقاف التي عليهم ويلحق بهم القاضي ومن تكفل بمصالح المسلمين وقام بها كالامام والمحتسب فيكفون مما ذكرناه (ويقبلون على ما هم فيه) من أعمالهم النافعة للاسلام والمسلمين وانها عند الله تعالى بمحل أعلى وأجرهم في الآخرة مضاعف لعموم نفع اعمالهم مع صلاح النيات اذ هي العمدة (وقد يجب الطلب وذلك) لما يدفع به مضرة نفسه (عند الضرورة) وكذلك من يجب عليه نفقته من أقاربه وزوجته ومماليكه ودوابه (وقد يكون محظوراً اذا كان على وجه قبيح أو لمعصية) فالقبيح كالمفاخرة والمباهاة وطلب السمعة والرياء والذكر في الانفاق كما قال الله تعالى ﴿ **بطراً ورئاء الناس**﴾ والمعصية كأن يطلبه لينفقه في المعاصي (وقد يندب) كأن يطلبه لينفقه في القرب المقربة الى الله تعالى على أصنافها (ويكره)

كطلب التكاثر والثروة (ويباح حسب ما يقترن به) ولعل صورة المباح تلحق بالمكروه اذ لم تبق له صورة فإن التكاثر مذموم لأنه يشغل عن أعمال الآخرة كما قال تعالى ﴿ **ألهاكم التكاثر**﴾ الخ (وأنما ـدنا الطلب بالكسب لا بالسؤال فهو منهي عنه ومتوعد عليه والله أعلم) وقد تقدم ما ورد فيه والله المسؤول بحقه أن يكفينا من فضله ويوفقنا لما يرضيه آمين (القسم الثاني) من الخاتمة (في الوظايف) أي توظيف الأوقات وترتيبها كل وقت لما يليق به من أعمال العبد لتصير أوقاته كلها مشغولة بطاعة ربه كما هو مراد الله تعالى (واعلم أن من أسباب المداومة والملازمة للصفات الحميدةوالأفعال السديدة) لأنه قد ورد عنه[1] صلى الله عليه وآله وسلم « أحب الأعمال الى الله أدومها وان قل » وفي ذلك أخبار نبوية ولا يستقيم للعبد ذلك إلا (أن يوظف الانسان لنفسه وظائف معلومة محدودة) بالأوقات أو بغيرها من الاعمال التي يمكن حدها كأن يتلو من القرآن أجزاء معلومة أو من الأذكار عدداً معلوماً أو من النسخ أوراقاً معلومة (والمراد أنه يوزع أوقاته ويقسمها) كل منها (ما يليق بها من عباداته وقربه) كلها (كصلاة وتلاوة وادعية وأذكار) كأن يجعل الثلث الاخير مثلاً للصلاة النافلة والتوسل الى الله تعالى بالدعاء لأنه من أوقات الاجابة وتلاوة كتاب الله عز وجل والتدبر لمعانيه في ذلك الوقت يكون له تأثير ظاهر لما تقدم من أن الله سبحانه لا يبعد أن يقذف في ذلك الوقت نوراً في قلب المؤمن ولقوله تعالى ﴿ **ان ناشئة الليل**

(١) اخرجه الشيخان عن عايشة بلفظه .

هي أشد وطأ وأقوم قيلاً﴾ ثم بعد طلوع الفجر الأذكار المأثورة في ذلك الوقت وبعد صلاة الفجر الاذكار المذكورة في مواضعها مروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ثم دعا الصباح المتقدم ذكره ثم ما شاء الله تعالى من تلاوة كتابه ليستفتح يومه بما يوافق رضاء الله تعالى . ثم أن الأحوال تختلف بأختلافها والاشخاص فمن كان من أهل الزهد سلك بعد ذلك في قراءة العلم وتعليمه ونحو ذلك (ومن أشتغاله بأمر معاشه وبما يتعلق به من أمر العامة وأعمال ما يتولاه أن كان ذا ولاية) قد تعينت عليه لا يتمكن من التحول عنها (خاصة) به ومن يمون (أو عامة) في أصلاح أمور المسلمين ومصالحهم (ويبني نفسه على أن لا يترك شيئاً من ذلك ولا يؤخره) عن وقته الذي وقته له (وله سبيل الى الاتيان به) فيه (فإن تعذر عليه في وقته لعذر لا طاقة له بدفعه أتى به فيما بعد) من عقيب تعذره (لئلا يعتاد الترك بالكلية ويتساهل به) لأنه اذا علم أن لا بد يقضيه ان فاته اهتم به في وقته الذي وضعه له (مثاله أن يكون له حزب من قيام الليل لصلاة أو قراءة قرآن في وقت معلوم منه فيغلبه النوم ولا ينتبه كجاري عادته فإنه يأتي به في النهار كاملاً ومن كانت له عادة في النهار من دراسة علم أو كتابة أو نحو ذلك فعرض له عارض أو أي مانع فإنه يأتي به في الليل وعلى هذا فقس) وقد روى المنذري عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل » رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن

ماجة وابن خزيمة في صحيحه . قلت ويقاس على هذا من كان عليه درس في وقت معلوم أوجبه على نفسه أو لغيره فليأت به عند ذكره قياساً على هذا وأيضاً قياساً على قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من نام عن صلاته أو سها عنها فوقتها حين يذكرها » (ولا ينبغي أن يوظف) الانسان (لنفسه مما ذكر) في الوظائف (ألا ما يغلب في ظنه أنه يحسن المداومة عليه ويمكنه وأن قل) لئلا يمله بعد فيتركه أو يتخلف عنه في بعض الأوقات (من قراءة القرآن والصلاة بالليل والنهار وأدعية الصباح والمساء والنوم واليقظة والأذكار المأثورة المباركة) وقد استوفي هذه الاذكار في عدة الحصن الحصين وتقدم في هذا الكتاب أدعية الصباح والمساء (والصيام في أيام معلومات كالأيام البيض) ونحوها كالاثنين والخميس وكل ما شرع فيه الصيام (و) كذلك (الاعتكاف في رمضان أو غيره ومدارسة العلم) وهي أفضل الاعمال وأجلها (وغير ذلك) من الأعمال المرضية (فمن أعتاد شيئاً ولازمه سهل عليه وداوم على فعله) ووافق الطريقة المرضية بالمداومة عليه على أحسن حال وأمن من تركه (ومن بني على أن يفعل الممكن وان كثر في وقت وقلل في آخر فهو الى الترك والتبطيل عن قريب) لأنه يثقل على فاعله حتى يمله ويتركه حيث خالف ما ورد في الشريعة المرضية اذ هي مبنية على الحكمة (قال صلى الله عليه وآله وسلم « يا أيها الناس خذوا من الاعمال ما تطيقون فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا وأن أحب الاعمال الى الله ما دام وان قل » . رواه البخاري ومسلم في رواية عن الترمذي « كان أحب الأعمال

الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ديم عليه ») وهو في كتاب المنذري قال وفي رواية وكان آل محمد اذا عملوا عملاً أثبتوه وفي رواية « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أي الاعمال أحب الى الله قال أدومه وأن قل » رواه البخاري ومسلم ولمالك والبخاري ايضاً « أحب الاعمال الى الله الذي يدوم عليه صاحبه » ولمسلم كان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل » وفي ذلك روايات أخر منها حديث أم سلمة : ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله سلم حتى كان أكثر صلاته وهو جالس وكان أحب العمل اليه ما داوم عليه العبد وان كان شيئاً يسيراً رواه ابن حبان في صحيحه (فائدة * قال بعض علمائنا الزاهدين رحمهم الله تعالى الوظائف ثلاث منها ما يرجع الى الاوقات فالليل للعبادة) لما ورد في فضلها فيه ولخلوه وهدوئه وذلك مما يجلب الخشوع وخلو الفكر يكون فيه يقظة القلب للتفكر في آيات كتاب الله تعالى للامان فيه من الرياء واذا كان العبد خالياً فليلازم العبد على ذلك ويكلف نفسه (قدر الامكان) ويداوم عليه لما تقدم (والنهار للصوم) لأنه لا صوم إلا في النهار ويكلف العبد منه نفسه (قدر الامكان) والوظيفة الثانية (من صلاة الفجر الى طلوع الفجر الشمس للذكر) ومنه التلاوة لما تقدم ولئلا يكون ممن ورد فيه الخبر النبوي من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء الحديث رواه الطبراني وفي رواية أنس مرفوعاً « من أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه رواه الطبراني أيضاً وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من كانت الآخرة همه جعل

الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له » رواه الترمذي وفي رواية البزار مرفوعاً من كانت نيته الآخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله ونزع الفقر من بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة فلا يصبح إلا غنياً . ومن كانت الدنيا » الخبر روى هذه الاحاديث المنذري في كتابه (وبعده) أي بعد طلوع الشمس لقراءة (العلم الى وقت الضحى) وهذه هي الوظيفة الثالثة (وبَعْدُه لحوائج الدنيا ولأخوانه) أي لمقاضي حوائجه وحوائج اخوانه المؤمنين لأنها من أفضل الأعمال عن أبن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « من مشى في حاجة أخيه كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين » رواه الطبراني في الأوساط . وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان لله عند أقوام نعماً أقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم فاذا ملوهم نقلها الى غيرهم » رواه الطبراني . وعنه أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان لله خلقاً خلقهم لحوائج الناس يفزع الناس اليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله » وهذه الاخبار النبوية في كتاب المنذري وغيرها في ذلك (وبعده) أي وبعد الضحى (للقيلولة الى وقت الصلاة) أي الظهر لأن نوم القيلولة معين على قيام الليل كما ورد **« استعينوا بنوم القيلولة على قيام**

الليل﴾ أو كما قال (وبعده) أي وبعد صلاة الظهر (للعلم) يعني لقراءة العلم أيضاً فكأن لها وقتين لفضل طلب العلم (الى العصر) أي الى وقت صلاة العصر (وبعد العصر للذكر) أيضاً اذ هو من أفضل الأوقات (أو العلم) أي لقراءته ، وهذا الوقت الثالث له . فالسعيد من تفرغ لطلب العلم حتى فاز بالحظ الأوفر منه الموصل له الى غاية رضوان ربه (أو) يقتضي الحال ان يكون ذلك الوقت (لحاجة له دنيوية أو لغيره من) اخوانه (المسلمين) ناوياً ما تقدم من السعي في حاجتهم للفوز بما وعد الله من الأجر الوافر (قلت وهذه الوظائف) المقتدم ذكرها (امور اضافية تليق بالأضافة الى بعض الاشخاص وتصلح في حقه) فليس القصد إلا التنبيه بأن العبد يجعل لكل عمل وقتاً مخصوصاً ليحتث على العمل الذي يعين له ذلك الوقت ليكون له المصلحة بالقيام بأمور دينه ودنياه على أحسن حال (وقد يكون الأليق في حق بعض الاشخاص غير هذا ويكون التوظيف في حقه على غير هذه الكيفية) بحسب حاله ، لأن الأحوال تختلف بأختلاف الاشخاص والأوقات (كمن له اشتغال بعائلة واسعة تستغرق النظر في أمر معاشه) ومن يمون (اكثر أوقاته بأن يكتسب بمهنة) أي تكون له حرفة من صناعة أو زراعة أو تجارة أو غير ذلك من الحرف (مستغرقة لأكثر النهار أو كله غير فرائضه) يعني لا محيص له عن ذلك لما يتعلق به من وجوب النفقة على نفسه ومن يلزمه انفاقه فعليه مستطاعه واذا امكنه أن لا يخلي ذكر الله تعالى من لسانه في كل أوقاته وان كان في عمله فنعماً هي من خصلة

شريفة ان يعود لسانه ذكر الله تعالى على كل حال حتى تصير له مألوفاً لا يفتر عنه بحال (وكمن له ولاية عامة من أمامة أو قضاء أو خاصة كأوقات ومساجد يستغرق النظر في علاجها كثيراً من أوقاته) فيرتب أوقاته بحسب حاله فيجعل لكل عمل ما يسعه ويُصلح له (وبالجملة فوظائف كل على قدر ما يليق بحاله ويحتمله مع حسن القصد والاخلاص والانقطاع الى الله تعالى) اذ الاعمال كلها مبنية على النية كماتقدم فهي الاساس والعمدة وتقديم الاهم فالأهم (والاشتغال بالافضل في حقه حسب الامكان والله المستعان) يعني ان كلاً من العباد يقدم الأفضل من أعماله على غيره فلا يشتغل بغيره قبله (قال ومنها ما يرجع الى الأحوال) فكل بحسبه فالزاهد له حالة (وهي أن لا يتعلق بشيء من رياضة الدنيا وأن يكون اللباس وشبهه ما كان) لأنه أقرب الى التواضع والخضوع الذي هو مراد الله تعالى من عبده (والأكل أي شيء كان) بل يكون من أخشن الطعام واللباس لأن الشهي منه تتولد منه الشهوات والقصد التباعد عنها (قلت وهذا في حق من تخلى للعبادة ومجاهدة النفس وانقطع عن الدنيا بالكلية) ، وما أحق كل عبد من العباد أن يكون هكذا لأنه في الحقيقة مراد الله تعالى. لعلم ذلك عقلاً وشرعاً لمن تتبع أدولة الكتاب والسنة والآثار عن السلف الصالح (ولعمري انها الدرجة الرفيعة والوظيفة الشريفة (الموصلة الى البغية المطلوبة التي هي الغاية القصوى عند كل طالب عاقل وهي رضوان الله تعالى لا غيره فما سواها دونها . لقوله تعالى ﴿ **ورضوان من الله**

أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (ومن لم يبلغ به الترقي الى هذه الدرجة العالية) بل كان ذا همة ساقطة عاقة عن هذه الدرجة نفسه وشيطانه ، ولم يتمكن في الحال من دفعهما وإلا دفعهما وصار الى هذه الدرجة وقبل تمكنه من ذلك (كانت وظيفته في احواله حسبما يحتمله في أكله ولباسه) وغير ذلك من الاحوال وعليه مستطاعة من الاجتهاد بالتقرب الى تلك الدرجة الرفيعة فلتكن همته متعلقة بها عسى أن يظفر بها قبل موته فيسعد بالرضوان (وقد يحسن التجمل باللباس اذا كان في التبذل سقوط رتبَة) عالية (وانتقاص قدره ودرجة تخل بأمر ديني كفى حق الامام ومن له رتبة دينية يكون ذلك وهنا فيها) حسب الحال مشروطاً إصلاح النية ومجاهدة النفس عن الفخر والتبختر في غير موضعه وهو حال قتال الكفار والبغاة لا غير وأن يكون ذلك خالصاً لوجه الله سبحانه وان لم يخش سقوط المرتبة فالترك أولى للسلامة من خطر الجهاد للنفس كما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوصي رضوان الله عليه والهادي يحي بن الحسين وأمثالهم . وعلى الجملة فكل حالة تعامل بمقتضاها والعبرة بالنية والقصد دون الظاهر (وقد يكون الأكل مما يلذ ويستطاب في حق من لا يصبر عنه) أو يضره تركه لتعوده في أول النشأة على ذلك فيقتصد بجهده (ويستدعي منه خالص الشكر) وقد (يخل به تركه في عبادته ووظايف دينه) فكل ينظر في حاله (فلا يغفل عن مثل هذه الاعتبارات) مع خلوص النية وترجيح المصلحة الموصلة الى رضا الله تعالى (قال ومنها ما يرجع الى الاشخاص فالواقفون) على

(هذا حكمهم) ما تقدم من أول الوظائف (والزائر يكرم) بكل ما أمكن اكرامه على حسب ما يليق بحاله ويوافق الشريعة الغراء (والمريد للوقوف) لدى أمام أو نحوه للاعانة (يختبر حاله) حتى يعلم أن سعيه موافق لمراد الله تعالى وانه ممن يحسن لما يليق به من الاعانة (ثم يعلم) ما جهله مما يليق به ويجب عليه (ثم يدخل في الجملة) يعني في جملة الاعوان والاخوان ثم لا يسمع فيه قول أشكاله إلا بعد امتحان واختبار وتأن (وضابط الجميع أن لا يشتغل) العبد (بشيء وهو يقدر على أفضل منه) إذ الاشتغال بالادنى مع القدرة على ما هو أفضلمن ترك الاشتغال بالاهم وهو مناقض للصواب عقلاً وشرعاً (ولا يقارف شيئاً من الدُّنيا الدنية وهو يمكنه الصبّر عنه) يعني فلا يشتغل بشيء من الدنيا إلا مالا بد له منه لأن ما زاد عليه فالاشتغال به مذموم لانتقاصه من أعمال الآخرة التي هي الأهم وشغلته بما لعنه الله ورسوله من الدُّنيا المذمومة الخبيثة الشاغلة عن الله تعالى لأن العبد ما خلق إلا لعبادة ربه جل وعلا إلا ما لا بد لهُ منه . نسأل الله تعالى أن يبلغنا من رضاه آمين .

(القسم الثالث) من أقسام الخاتمة (من الاخبار المأثورة والاحاديث المشهورة) في الاخلاص الذي هو أساس الدين وعمدة المتقين وصلاح كل عمل (ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم « الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون ، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ،

والمخلصون على خطر عظيم ») ألا فانظر أيها المطلع الى هذا الخبر وقد ذكره الامام المهدي عليه السلام في تكملة الاحكام وغيرها ومن نظر فيه وجده مؤيداً بآيات كتاب الله تعالى وبالاخبار الواردة في قبح الجهل ووجوب طلب العلم ومعرفة ما يجب ثم وجوب العمل بعد المعرفة ووجوب الاخلاص للعمل بأن يكون خالصاً لوجه الله تعالى سالماً عن الرياء فعلمنا أن من ترك تعلم ما يجب كان هالكاً ثم من علم وترك العمل كان كذلك هالكاً وكذا من عمل بلا أخلاص فنسأل الله تعالى أن يجعل أعمالنا خالصة له آمين (وهذا حديث فاجع وخبر رائع) اي مفزع (جدير) أي حقيق (لمثله) يعني له من باب الاولى ولمثله لعظم موقعه (ان تحترق به الافئدة بنار الوجد الموقدة) وهذا من المجاز والمبالغة كأن عند سماع هذا الخبر وتأمله يحصل في القلب وجد وهو ما يجده السامع في قلبه من الخوف والوجل والقلق الشديد فلعظم ما يجد كأنها تتولد منه نار مجازاً حتى يحترق الفؤاد بها والقصد تعظيم شأن هذا الخبر (وان تصرف الاذهان الى معرفة وجه الاخلاص ويرجع البصر هل بعد هذا الخبر من مناص) المناص الملجأ وقوله ويرجع البصر يعني البصيرة ومراده تكرير النظروالتأمل الى معنى الخبر وكيف المخرج منه والمخلص وأعلم أن الاخلاص معرفته أهم المهمات وأول ما يجب على العبد من الواجبات اذ عليه بناء الدين الباطن والظاهر فأي شيء أهم من ذلك وقد ذكروا له حقائق كثيرة أحقها بالذكر ما حققه رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم حين سئل عن الاخلاص فقال أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت فأولاً احراز التوحيد اذ هو أصل الدين والاخلاص ثم الاستقامة وهي الأصل في اخلاص العمل عن كل ما يشوبه فهذه غاية الاخلاص وأما شوائبه فهي درجات أربع منها جلي ومنها خفي : الأولى الرياء وهو أجلى شوائبه وقد تقدم تحقيقه الثانية أخفى منه وهي أن يأتي الشيطان من قد حذر من الرياء فيقول له انك مما يقتدى بك فأحسن صلاتك عند الناس الثالثة وهي أدق مما قبلها وحاصلها أن يحسن صلاته في الخلاء لأجل أن يحسنها في الملأ وهي من المكايد الخفية للشيطان الدرجة الرابعة وهي أخفاها وحاصلها أن يكون قد فطن لما تقدَّم فيعجز الشيطان من كيده به فيأتيه الشيطان في حال صلاته في الملأ فيقول له تفكر في عظمة الله وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستح من أن ينظر الله اليك وأنت غافل فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن أن ذلك عين الاخلاص وهو عين المكر من الشيطان والخداع فإن خشوعه لو كان خالصاً لله للازمه في الخلوة أكثر واجل وعلى الجملة فلا يخرج من الرياء إلا من استوى عنده حال حضوره في الملأ وحال خلوته لأن الرياء أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء فلا يسلم منه إلا من وفقه الله وسعد بعصمة ربه لأن الشيطان مشمر في أغواء العبد في كل حركة من حركاته فنعوذ بالله تعالى منه ونستعين بالله على ما يبلغنا رضاه واما فضيلة الاخلاص فقد قال الله

تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ وقال ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ وقال ﴿ واخلصوا دينهم لله﴾ وقال ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه احداً﴾ وقال صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى ﴿ الاخلاص سرٌ من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي﴾ وقال[1] لمعاذ بن جبل رضي الله عنه « أخلص العمل يجزك منه القليل » ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم « ما من عبد أخلص لله أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه » وقال أمير[2] المؤمنين كرم الله وجهه : لا تهتموا لقلة العمل وأهتموا للقبول . ذكر معنى ذلك الامام يحيى بن حمزة في تصفيته وفي كتاب المنذري عن أنس « من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راضٍ » ، رواه ابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وفي رواية انه « سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الايمان قال الاخلاص » وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تتجلى بهم كل فتنة ظلماء » رواه البيهقي وفي حديث أبي سعيد مرفوعاً « ثلاث لا يغل عليهن قلب أمرىء مؤمن : اخلاص العمل لله والمناصحة لائمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعاءه يحبط من وراءهم » رواه البزار باسناد حسن وابن حبان في صحيحه وإنما قوله في

---

(١) اخرجه ابن ابي الدنيا في الاخلاص والحاكم في المستدرك عن معاذ .

(٢) اخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي أيوب

الحديث والمخلصون على خطر عظيم . قال عليه السلام (وقد تكلم بعض علمائنا رحمهم الله تعالى في هذا الشأن فأجاد وأحسن البيان وحاصل ما يمكن ذكره في هذا المعنى أن الخطر الذي يخافه العبد بعد العلم والعمل والاخلاص هو لعدم الأمن من الوقوع فيما يحبط سعيه ويبطل عمله إذ لا تكليف عليه بعد جمعه للعلم والعمل والاخلاص لله عز وجل إلا حفظ ذلك والاحتراز عليه مما يحبطه من المآثم الدقيقة) وإنها لكثيرة ولذا سماه أمير المؤمنين رضوان الله عليه الجهاد الاكبر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « الاتقاء على العمل أشد من العمل وان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفاً فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ويمحى تضعيف أجره كله ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية ويحب أن يذكر به ويحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء فأتقى الله امرؤ صان دينه وان الرياء شرك » رواه البيهقي حكاه المنذري عن أبي الدرداء ومن المآثم الدقيقة (التي تذهل القلب عن التنبه لها وشدة خطرها وعظم موقعها فيتهاون بها ويتسامح بفعلها) ما يأتي ذكره للامام عليه السلام بقوله (. الخطر من وجهين) دقيقين على من لم يتيقظ لهما (احدهما أن يغره الشيطان فيحسن في عينه القبيح بنوع من حيلة حتى يخيله إليه حسناً فيرتكبه) فيحبط العمل (فإن الشيطان من أهل الدهاء والمكر) والخديعة لا يفتر عن الاغواء للعبد في كل حال وبكل

حيلة ومكيدة (وليس يعالج) الشيطان اللعين (العالم العامل المخلص بتحسين القبائح الضرورية الظاهرة) لعلمه بمجاهدة العبد نفسه في جميعها لعلمه وعمله وإخلاصه فصار ممتنعاً منه فيها فيأتيه بالمكائد الخفية مثل دقائق الرياء المتقدمة ، والعجب فإنه أشد لأنه يلازم العبد في الخلوة بخلاف الرياء وقد تقدم تفصيله في أول الكتاب (وربما يكون السبب في عدم التنبه للقبيح الا خلال) من العبد (بالنظر الصحيح) في ذلك الشيء الذي يرتكبه وهو قبيح (و) عدم (التأمل النافع فيرى) بسبب الاخلال بالنظر وعدم التأمل (ذلك القبيح حسناً) فيرتكبه فيحبط عمله وهو لا يشعر (وقد أشار) الله سبحانه و (تعالى الى هذا الوجه بقوله ﴿ **ان تحبط اعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾) والمعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحفظ أعمالكم (وقوله تعالى: ﴿ **وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾) وغير ذلك مما يدل على هذا المعنى وقوله تعالى ﴿ **أفمن زين له سوء عمله** ﴾ وغيرها (و) اما الاخبار النبوية (فقد حذر صلى الله عليه وآله وسلم عن الذنب الذي لا تمحوه التوبة قيل له وأي ذنب كذلك فقال ما معناه : « هو الذي يعده الانسان من الاحسان وهو عند الرحمن من العصيان ») وهذا دأب أهل البدع لأنهم يظنونها من الاحسان ولو كان كما يزعمون لكانت في الشريعة الغراء لأنها مبنية على الحكمة ألا فليحذر العبد كل الحذر من كل بدعة فإنها هي الداهية العظمى والمكيدة الكبرى للشيطان على العبيد فكم أهلك بها

من الفرق الضالة فإن أردت النجاة علمت حقيقة البدعة لتحذرها وهي الزيادة في الدين أو النقص منه فليتفقد كل مؤمن نفسه هل هو مرتكب للزيادة في دينه أو منقص فإنه مرتكب بدعة فلا نجاة له إلا بتركها (وثانيهما أن يفعل ذنباً ما يعتقده حقيراً في جنب طاعاته وأعماله الصالحة وتسول له نفسه) وشياطينه وهواه (ان الله سبحانه لا يعتد بذلك في جنب عمله واخلاصه) وهذا قد ارتكب أمرين قبيحين الأول استعظام عمله وهو لا شيء بالنظر الى نعمة من نعم الله تعالى فضلاً عن كلها فضلاً عما يستحقه ربه عليه من التعبد والخضوع . الثاني استحقار معصية الله تعالى وكيف لا يخشى أن يكون فيها مخبوءاً سخط الله نعوذ بالله منه فهو خير مستعاذ كما أن رضاه مخبوء في طاعته (وقد نبه صلى الله عليه وآله وسلم على الحذر من ذلك فقال : « إياكم ومحقرات الذنوب فإن لهامن الله طالباً ») وهو في شمس الأخبار وغيره . وفي رواية أخرى فيه أيضاً مرفوعاً : « إياكم[1] ومحقرات الذنوب فإنهن يجمعن على الرجل حتى يهلكنه » وأنه[2] صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) اخرجه احمد والطبراني في الكبير عن أبن مسعود بلفظه مع زيادة في آخر وهي كرجل كان بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا من ذلك سواد واججوا ناراً فنضجوا ما فيها .

(٢) اخرجه احمد والطبراني في الكبير والبيهقي في الشعب والضياء في المختارة عن سهل بن سعد ولفظه أياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم بزلوا بطن واد فجاء وذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما انضجوا به خيرهم وان محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه .

ضرب لهن مثلاً كرجل كان بأرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل يجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا من ذلك سواداً وأججوا ناراً فأنضجوا ما فيها » (ومما يدل على صحة ما قررناه من كون الخطر المخوف مع حصول العلم والعمل والاخلاص هو ما ذكرناه) يعني حفظ العمل والاحتراز عليه مما يحبطه من المآثم كما تقدم سابقاً (قوله صلى الله عليه وآله وسلم « حراسة العمل أشد من العمل) وقد تقدم نحوه ما في كتاب المنذري (وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا [1] وصمتم حتى تكونوا كالأوتار وتوفيتم بين الركن والمقام ما نفعكم ذلك إلا بالورع ألا وأن الدين الورع ») وقد ورد هذا الحديث بألفاظ غير هذا والعبرة بالمعنى إذ هو المراد . وللورع أربع درجات حكاه الامام يحيى بن حمزة في التصفية : الأولى ورع العدالة وهو ما بتركه تسقط العدالةأو يؤدي الى الفسق والثانية ورع الصالحين وهو الامتناع عن ما يحتمل التحريم وان رخص المفتي في تناوله . الثالثة ورع المتقين وهو ترك ما لا بأس به حذاراً مما به البأس . الرابعة ورع الصديقين وهوترك ما لم يكن لغير الله ولغير التقوى (وانفع أسباب الورع استشعار الخوف فإنه من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل) الدلجة السير أول الليل والمراد أن مع الخوف يكون الاهتمام بالاستعداد للقاء الله تعالى على أحسن حال فمع ذلك يبلغ العبد مراده من رضاء ربه كما يبلغ المسافر المنزل

(١) هو الشيء المنعطف انتهى مختار .

(فمقتضى الخوف عدم الغفلة عن قصر المهلة وقرب الرحلة) وأن أكثر ما يهلك العباد التسويف وطول الأمل حتى يسقط عليهم الاجل وهم على غير أهبة له (وإنما جعل صلى الله عليه وآله وسلم الخطر عظيماً بقوله « والمخلصون على خطر عظيم » لكثرة الدواعي الى المعاصي وسعة الآمرين بها والداعين إليها من شياطين الانس والجن والشهوات والنفس فإنها الامارة بالسوء بنص القرآن) وهو قوله تعالى ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ (وهي قاهرة للانسان وآخذة بالناصية في منهج العصيان) فهي محتاجة في كل حال الى الجهاد الاكبر بعزم صادق لا تفله صولات الغرور (قال بعض الواعظين يا مقهوراً بغفلة النفس صُل عليها بقوة العزيمة فإنها ان عرفت جدك استأسرت لك وامنعها عن لذيذ المباح لتصطلحا على ترك الحرام الشيطان والدنيا ، عدوان بائنان عنك) أي خارجان عنك ولعمري ان شيطان الانس أشد وأضر على العبد من شيطان الجن اذ هذا يدفع بالاذكار ونحوها وذاك لا يؤثر فيه إلا دفاع الله تعالى نعوذ بالله من كل مغوٍ وحاسد (والنفس عدو مباطن لك) يعني أن النفس في باطن العبد لا تفارقه مع أنها أمارة بالسوء فجهادها أشق وأهم ويحتاج الى قوة وعزم في مخالفتها في جميع ما هوته وأمرت به لتكون النجاة بذلك وقد مثل جهادها بالقتال فقال (ومن آداب القتال) قوله تعالى في قتال الاقرب فالأقرب : ﴿ قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ والنفس أقرب شيء الى العبد مهلك لدينه فجهادها مقدم على

غيره في كل حال كما ان جهاد الكفار شرع لصيانة الدين فكذا هنا (ولله در بعض الحكماء في قوله : لتكن طاعتك لله بقدر حاجتك اليه) فمن المعلوم أن العبد محتاج الى ربه في كل لحظة وطرفة لا ينفك عن حاجته اليه في كل حال البتة فكيف الاخلال بطاعته تعالى (وجراءتك على المعاصي بقدر صبرك على النار) لأنها جزاء العاصي فانظر في الحال هل لك قدرة وصبر على ملامسة النار وبقائها ملاصقة لجسدك وكم بين هذه النار ونار الآخرة من التفاوت والبعد قال الله سبحانه : ﴿ أنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر﴾ . وقال آخر اذا أردت أن تعلم قدر المعصية فأنظر الى عقابها وهو الخلود في النار (اللهم اجرنا منها يا خير مستجار) وهي لنا من رضوانك الغاية في أعلا جوار .

(وقد تم ما أردته من جمع هذا المختصر وفيه كفاية لمن اعتبر وحقق النظر) يعني كرر تأمل ماتقدم وأكثر التفكر فيه بحضور قلب وتفريغ بال حتى يعلم جميع معانيه كما هي ثم يعمل بذلك ويوطن نفسه أن لا ينحرف عن شيء من تلك المسالك فيحرز به سعادة الدارين ورضواناً من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (ولعل من يقف عليه وينظر اليه يقول لم يعتن مؤلفه بجمعه ويصرف عنايته الى وضعه إلا وهو من رجال هذا الشأن وفرسان ذلك الميدان) وهذا من المجاز شبه علم الباطن بالميدان والمؤلف فيه بالفارس (فإنه لا يتصدى لوضع كتب المعاملة الصالحة إلا سالك في تلك الطريق الواضحة

وأعوذ بالله من التلبس على عباد الله فإنه لا علم ولا عمل ولا ناقة لي في هذا ولا جمل) هذه المقالة يقولها من يسلك في عمل وليس من أهله وفيها مجاز وترشيح فحيث قد ذكر الطريق ذكر ما يمر فيها من الناقة والجمل (وإنما رجوت أن يقودني الأخذ من هذا المعنى بنصيب الى توبة قريب ورأي في أمر ديني مصيب وان لم يتداركني الله بلطفه وواسع عطفه هلكت لا بمحالة ولم أنجِ من ورطة الضلالة) . ألا فأنظر أيها المطلع الى كلام هذا الامام الاعظم والطود الشامخ الأفخم وما هضم به نفسه في هذا الكلام مع أنه بالمحل الاعلى والذروة الباسقة في العلا ودرجته لا تنكر ومقامه السامي الاكبر فرضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركته هذا وانما يتحقق ما قاله رضي الله عنه ودونه بل أدون في راقم هذه الاحرف المعلقة على هذا الكتاب الاعظم ويا فضيحتاه من الله ومن الامام عليه السلام وممن اطلع حيث تجاسرت الى هذا مع أني لا شيء يقيناً لا هضماً باطناً وظاهراً إلا أني رجوت بحول الله تعالى أن يكون لي من بركات هذا الامام عليه السلام خير فبركات أهل بيت النبوة غير مجهولة بل مأثورة مشهورة فصلوات الله وسلامه على رسول الله وعليهم آمين (اللهم ان مغفرتك أوسع من ذنبي ورحمتك أرجى لي من عملي فخذ الى الخير بناصيتي وأحسن اللهم عاقبتي وخاتمتي) اللهم وعبدك هذا فأشركه في دعاء هذا الامام وصالح دعاء عبادك الصالحين وأحسن خاتمتي وتقبل الاعمال واجعلها خالصة لك وهب لنا من رضوانك الاعلى ما نروم يا أرحم

الراحين (ومن نظر في هذا المجموع المختصر مسؤول أن يدعو لجامعه) وشارحه (بالتوفيق في حياتهما وبعد مماتهما من عذاب الحريق) اللهم بحق اسمك الاعظم الذي اذا دعيت به أجبت واذا سئلت به أعطيت نسألك أن تصلي وتسلم على محمد وعلى آل محمد وانْ ترضى عن هذا الامام وعنا وعن والدينا وجميع المؤمنين رضاء لا سخط بعده . اللهم وعاف أحياءنا وأشف مرضانا وارحم موتانا وأصلح أولادنا واستعملنا جميعاً فيما يرضيكَ عنا وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا الى نفسأنا طرفا عين واحيا حياة طيبة في الدنيا والآخرة بحرمة كتابك العزيز وأم الكتاب وسورة الاخلاص وآية الكرسي مقروءات والى روح نبينا وآله آمين (والحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات وتعم البركات وصلاته تسلامه على سيدنا محمد رسوله وأمينه وعلى الطيبين من آله وصحبه وحفاظ دينه وسلم تسليماً) قال مؤلفه رضوان الله عليه (وكان الفراغ من تأليف هذا المختصر ضحى يوم الاربعاء لأحدى عشرة ليلة بقيت من ذي العقدة سنة ٨٧٨ ثمان وسبعين وثمانمائة بمنزل مؤلفه تجاه المسجد الجامع المشهور المبارك بأعلى فلله لعز الدين بن الحسن عفا الله عنه وغفر له) هذا لفظه عليه السلام أعاد الله علينا من بركاته وبركات أهل البيت المطهرين .

قال شارحه رضي الله عنه وكان الفراغ بحمد الله من شرحه يوم الجمعة المبارك قبيل الصلاة ثامن شهر شوال سنة

١٣٣٥ في بلد السودة جوار الجامع المقدس بها تحت ظل ولاية مولانا ولي النعمة أمير المؤمنين المتوكل على الله يحيى ابن الامام المنصور بالله محمد بن يحيى بن حميد الدين نفعنا الله تعالى بسرهم وبركتهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

وكان تمام نسخ هذا الكتاب المبارك يوم الجمعة الموافق تسعة وعشرين من شهر شوال أحد شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاث مائة وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وآله وسلم بقلم احقر العباد السيد عبد الوهاب بن محمد بن علي بن هاشم السراجي بعناية الحاج الفاضل محمد بن عبد الله الساير بل الله ثرى والدينا جميعاً بوابل الرحمة وغفر الله لنا من الذنوب ما مضى وتجاوز عما بقي انه جواد كريم رؤوف رحيم .

تم الكتاب ولست احصى شكر من
أولاني التمكين والامهالا
وأمدني بلطائف من فضله
وأعانني سبحانه وتعالى

* * * *

الحمد لله الموفق من شاء لما شاء والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وأصحابه أولي الوفاء وبعد فقد تم بعون الله وحسن توفيقه [illegible] رضا رب العباد شرح كنز الرشاد لوحيد دهره وفريد عصره الورع الزاهد القاضي محمد بن مطهر الغشم وهو كتاب جمع من محاسن الشريعة ما تقر به العيون ويكمد به المبطلون فجزى الله مؤلفه عن المسلمين خيراً وقد عنيت بتصحيحه طبق الاصل لجنة من الازهريين بالمطبعة السلفية * والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

هذا الكتاب من اجل المؤلفات في اصلاح القلوب وانفعها مع صغر حجمه وايجازه اشتمل على ما تحويه المؤلفات الكبار وقد أقر له من عرفه حتى إمام عصرنا المتوكل على الله يحيى بن محمد رضوان الله عليهما وقرظه في الورقة بعد هذه بأبيات حسنة كما تراها نقلت من خطه الشريف على الام فأما متنه فللامام الاعظم الامام الهادي عز الدين بن الحسن رضي الله عنه وشرحه للقاضي العلامة الحجة عز الاسلام محمد بن مطهر الغشم نفع الله به وبعلومه شرحه في حضرة امام الزمان ومشارفته وأمره وجازته وتاريخ شرحه في سنة ١٣٣٥ في بلد السودة بحضرة امام العصر . فليثق به من اطلع عليه وليشد عليه يديه مع أن هذا العلم أهم العلوم وأساس سعادة الدارين فلا يوثق بمن لا يلتفت اليه ويجعله معتمده وأعز ما لديه وقد صحح هذا الكتاب مؤلفه وقرره فليثق به من اطلع عليه بتاريخه

مدرس جامع جبلة	كاتب ناحية جبلة	امام جامع جبلة
محمد بن محمد السادة	السيد عبد الله الغرباني	السيد احمد بن محسن

مدرس بجبلة	حاكم ذي جبلة	عامل ناحية جبلة
عبد الكريم بن احمد	السيد علي بن حسين	السيد اسماعيل بن احمد بن اسحاق

تقريـظ

هذه الأبيات تقريظ لهذا الكتاب وهي لشارحه

يـا طـالـب الـرضـوان من غـفـار
اسمـع هـديت مـعـادن الاسـرار
مـن رام حظ مـشـاقـل الأوزار
فـلـيـلزمـن مـنـاهـج الاخـيـار
وليـدرسن شـرحـاً مفيـداً لـلهـدى
لـيـفـز بـجـنـات عـلى الانهار
ولـيـعـكـفـن عـلى كـتـاب جـامـع
أنـواع فـن الـزهـد لـلأفـكـار
ومـطهـر درن الـقـلوب بـلا مـرا
ومـبـدل الاظـلام بـالأنـوار
كـنـز الـرشـاد فـإنـه لمـريـده
زاد المـعـاد مـبـلغ الأوطـار
قـد فتحـت أبـوابـه بـرضـاء رب
لـلعـبـاد فـهـل لـه مـن قـاري

صلى الإله على الامام مصنف
ما زال نور هداه في الاقطار
فأشدد يديك به وكن متأملاً
لمسالك جليت على الابصار
من راض فيه فكره نال المنى
وسما على الأقطار والابرار
هو للقلوب من الذنوب مطهر
ومزحزح لك من عذاب النار
هل بعد هذا من مفاز يا فتى
تنجو به من خلد دار بوار
وقرارك خالداً في جنة
صينة عن الاقذار والاكدار
ورضاء ربي فوق هذا كله
أدبي وحسن الختم من أوطاري
فأسلك هديت الرشد في منهاجه
يبلغك رتبة سادة اطهار
صلى الإله مع السلام على النبي
والآل ارجوهم لحسن جوار

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد فهذه ترجمة شارح الكنز . اخذتها عن شيخي العلامة عبد الملك بن محمد بن مطهر الغشم قال رحمه الله تعالى وهو العلامة محمد بن مطهر بن علي بن احمد بن حسن بن علي بن محمد الغشم رحمه الله مولده ثاني عشر جمادي الآخرة سنة ١٣٨٠ في آنش محل القارة جبل الشرق ونشأ فيه النشأة الطاهرة تخرج عن شيخه

العلامة يحيى بن محسن بن سعيد بن حسن بن سعيد بن عبد الله بن محمد بن أحمد العنسي رحمه الله فاخذ عنه في علم الفروع شرح الأزهار والبحر والبيان والفتح والبستان وفي علم الأله البحرق والفاكهي وحاشية السيد والخبيصي والمغني والايساغوجي والتهذيب والمناهل وشرح الكافل لابن لقمان والمنهاج والفصول اللؤلؤية وفي علم السنة الشفا واصول الاحكام وامالي احمد بن عيسى عليه السلام وفي علم الكلام شرح الثلاثين المسألة لابن حابس وشرح الاساس وغيرهما وفي علم التفسير الكشاف والثمرات والخمس المائة وفي علم اصلاح الباطن اللآلىء المضية شرح الاربعين السيلقية وارشاد العنسي وشمس الاخبار والترغيب والترهيب للمنذري وكان مدة طلبه فيها خمسة وعشرين سنة ثم هاجر مدينة السودة الى المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين سنة ١٣١٨ وبقي فيها وقرأ على شيخه شيخ الاسلام علي بن علي اليماني اليدوي رحمه الله في السوده بعض

مقروءات وابتدأ بالتأليف فيها فمما الف فيها الرضوان سلك فيه مسلك ابن حابس في المقصد الحسن وفيها الف هذا الشرح رضا رب العباد والرياض الزاهرة ورضا رب البرية شرح العلوية وكتاب في الخطب ثم انتقل سنة ١٣٣٦ الى جبلة للتدريس في جامع جبلة بأمر أمام العصر يحيى بن محمد رحمه الله تعالى وفيها حفظ القرآن عن ظهر قلب والف التفسير الصغير رضوان الله الاكبر وله رسائل جمة وفوائد مهمة فمن رسائله النصيحة التامة لأهل الولاية العامة ومن مؤلفاته التفسير الكبير ومنها الطريقة المرضية وتصفية الباطن والطيب المنتشر الحسان في شمائل ولد عدنان ورضاء الله الغفار في آداب التجار وتربية الاولاد الصغار وديوان في الخطب الفه باليمن ونسخ في جبلة عشرة مصاحف بعضها بالتفسير وبعضها مجردة عنه وكان دأبه قيام الثلث الأخير وتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً ونشر العلم تدريساً وإفتاءاً وتخرج عنه عدة من العلماء منهم في السودة السيد العلامة عبد الله بن احمد حجر والسيد العلامة احمد بن محمد شرف الدين والسيد العلامة حسن المختار وحاكم حجة والسيد العلامة عبد الله بن محسن الجلال وشيخي وشيخي ولده العلامة عبد الملك بن محمد بن مطهر الغشم وغيرهم وتخرج عنه بجبلة عدة منهم مصنف اللباب السيد العلامة محسن بن قاسم باعلوي والسيد العلامة محمد بن عبد الرحمن النوعة من ذي السفال والسيد العلامة زيد المحاقري وغيرهم وبالجملة فقد شهد له بالفضل والعلم والتحقيق شيخه العلامة يحيى بن محسن العنسي في اجازته له قال فيها ما هذا لفظه فما طلبتم فليس المسؤول ما علم من السائل فهو عافاه الله البالغ رتبة أهل بيته وهو طويل الدعايم سلسلة

من قادم فعالم سالف وعالم خالف على اني خليق بان اكون الطالب فليس لي إلا اللقب المقتصي للباحث العجب وقال فيه ايضاً شعراً منه قوله

قد بذا اقراناً وشياخاً ومن
قد فاز اهل العصر بالارشاد
لا زلتم في نعمة محفوفة
بالعز والاقبال والامداد

واجازه اجازة عامة على ما اشتمل عليه اتحاف الاكابر وفي جميع مسموعاته ومستجازاته في المعقول والمنقول ولصاحب الترجمة ديوان من القصايد سماه السفينة فمن قصيدة في مدح امير المؤمنين عليه عليه السلام مستهلها :

يا صاح ان امير المؤمنين علي
مديحه يشفي من علل
ما مثل قط بعد المصطفى بشراً
وقدوة لجميع المؤمنين - ولي

وحج وله من العمر خمسة وعشرين سنة هذا وقد قرض هذا الشرح المبارك الامام المتوكل على الله يحيى بن محمد رضوان الله عليه فقال ما هذا لفظه .

ها هنا علم شريف باذخ
يذهب الاوزار عن قلب السميع
فيه نصف العلم قدرا انما
فيه كل العلم للبر المطيع
يا له ذخر لمن كان له
همَّة سامية الشأو المنيع
فليعفي المرء هنا بالنواجذ فيه
فهو ترياق اللسيع
حبذا العلم لايضاح التي
من كبر الذنوب الشنيع

وكانت وفاته رحمه الله تعالى وقت الظهر يوم ١٨ جمادي الآخرة سنة ١٣٥٥ وقبره فوق جبلة تحت المنصورة مقبرة السادة آل المتوكل اوصى بأن يقبر فيها بعد ان اخذ الاذن من السادة جميعاً ومن امرأة مسنة منهم هذا ما تلقيته من شيخي العالم العلامة التقي عبد الملك بن محمد بن مطهر الغشم رحمه الله تعالى رحمة الابرار امين هذا وقد قمت بإصلاح هذا الشرح المبارك من مصادره وعلقت عليه من التخاريج من الترغيب والترهيب للمنذري ومن كنز العمال والفتح الكبير وتفسير الالفاظ التي تحتاج الى بيان من المختار والمصباح والنهاية والمقباس والقاموس واسأل الله سبحانه ان يجعله عملاً مبروراً وسعياً مشكوراً آمين وأنا الحقير خادم العلم الشريف .

محمد بن حسين بن عبد الله الجلال

فهرس

رضا رب العباد شرح كنز الرشاد

صحيفة

٥ خطبة المؤلف

٩ قول المصنف وبعد فاني نظرت في غفلتي الخ

٢١ مقدمة الكتاب في ذكر سبب الغفلة

٣٣ فصل. في الحث على قصر الأمل

٣١ صورة أمل الأنسان وأجله

٣٨ فصل. ولا ينبغي لمؤمن أن يكره الموت

٤٦ فصل. إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي الخ.

٤٨ فصل. في أركان الصلاة الفعلية

٥٥ فصل. فضيلة الوضوء الخ

٥٦ فصل. كيفية الوضوء وأذكاره

٦٣ فصل. اجابة المؤذن وما يقال بعد الأذان

٧٤ فصل. فروض الصلاة وسنتها وأذكارها ومعاني الفاتحة

٨٩ فصل أول. في تعداد الخلائق المذمومة وما يتعلق بها

٩٥ تنبيه في تعظيم الوالد والأمام والعالم
١٢٢ باب العجب وما يترتب عليه
١٣٩ باب الرياء وما يترتب عليه من ذم الله ورسوله لفاعله
١٤٠ فصل. يشتمل الرياء على درجات
١٤٣ فصل. علاج الرياء وإنما يكون بالعلم والعمل
١٤٦ فصل. ومن مكائد الشيطان القوية التي تميل إليها النفوس الردية ترك الأعمال الصالحة خوفاً من آن يكون مرائياً وذلك غلط
١٤٧ فصل. المباهاة نوع من الرياء
١٥١ فصل. المكاثرة نوع من المباهاة
١٤٦ تنبيه. ومن المباهاة التفيهق في المحافل بتكلف الكلام ونوادر المسائل طلباً للرفعة
١٤٨ فائدة قد يحسن من العالم الخامل ما صورته صورة المباهاة
١٥٢ تنبيه. لو قصد باظهار علمه بعث الناس على مواسه بما يقوم بعائلته الخ
١٥٢ ومن المكاثرة التفاخر بالآباء
١٦٦ فصل. ومن المهلكات التي حرمها الله الحسد
١٧٠ فصل. أسباب الحسد سبعة
١٧٣ فصل. علاج الحسد وازالته
١٧٦ فصل. من المهلكات الغل والحقد
١٧٩ فصل. ظن السوء هو أن تظن بأخيك المؤمن فعلاً محرماً

١٨٢ تنبيه. على المؤمن إن عثر من أخيه المؤمن على زلة أن يسترها
١٨٦ فصل. ذكر موالاة أعداء الله
١٩١ اعلم أن الموالاة والمعاداة قد تكونان دينيتين الخ
٢٠٠ فصل. حقوق الأخوة والصحبة
٢٠٢ فصل. فيمن تختار صحبته
٢٠٣ فصل. الحقوق اللازمة للمسلمين لبعضهم على بعض ثلاثون
٢٠٧ فصل. الحمية قيل حقيقتها العزم على نصرة من له بالعازم
٢١٠ فصل. تحريم المداهنة وحقيقتها
٢٠٥ فصل. درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٠٨ تنبيه. لا بأس باطعام الفاسق وأكل طعامه ونحو ذلك
٢١٥ تنبيه. لو أن الظالم وصل الى الفاضل أو العالم تعظيماً له فلا بأس بالقيام له
٣١٩ فصل في ذم حب الدنيا
٣٣٢ فصل. ومما يجب اجتنابه محبة الجاه
٢٣٨ فصل. حب المدح وكراهة الذم
٢٤٤ فصل. ومن الخلائق المذمومة الجبن
٢٤٩ فصل. ومما يجب مجاهدة النفس
٢٥٨ فصل. والتقتير نوع من البخل
٢٥٦ فصل. ومن المذمومات التي تجب المجاهدة للنفس عنه الفرح

٢٥٧ فائدة اعلم أن الأفعال التي تقترن بالسرور يكون مجموعها فرحاً
٢٦١ فصل. والجزع هو الغم الذي يقترن به فعل كخمش وجه وشق جيب
٢٦٩ الفصل الثاني مما يليق بالعبد ملازمته من الطرائق القويمة وهي ثمانية عشر الأولى منها النية الخ
٢٨١ فصل. ونيوي في غرس الأشجار والزرع ما يوجب له رضاء الله
٢٨٩ فصل. في الجود وهو الثاني من الخلائق الثمانية عشر
٢٩٧ فصل. في الزهد وهو الخلق الثالث من الخلايق الثمانية عشر
٢٩٩ فصل. في علامات الزهد وهي ثلاث الأولى أن لا يفرح الخ
٣٠٨ فصل. في الشكر وهو الخلق الرابع من الثمانية عشر
٣١٢ فصل. إذا ابتليت عبدي بجيبتيه فصبر عوضته الجنة
٣١٠ فصل. في كلمات يقولهن من آلمه شيء في جسده
٣١٥ فصل. في الصبر وهو الخلق الخامس من الثمانية عشرة
٣١٩ فصل. والسادس من الأخلاق الثمانية عشرة قول الامام عليه السلام (الذكر)
٣٢٢ فصل. في آداب الذكر الخ
٣٢٢ فصل. والدعاء من ذكر الله تعالى وعبادته

٣٢١ في آداب الدعاء
٣٢٤ فصل. فيما يقال في الصباح والمساء مروياً عن رسول الله
٣٣٠ فصل. فيما يقال في الليل والنهار
٣٣٥ فصل. وهو السابع من الخلائق الثمانية عشرة قول الامام طهارة الباطن
٣٣٧ فصل. فضيلة لزوم الخلوة وهو الصامن من الخلائق الثمانية
٣٤١ تنبيه. الحث على الخلوة ولزومها انما هو لمن أحر زمن العلم
٣٤٢ فصل. في مجالسة الصالحين
٣٤٥ فضل. في الصمت
٣٤٨ فصل. في الغيبة
٣٥٢ فصل. في من ذب عن عرض أخيه بالغيبة
٣٥٥ فصل. في الاعذار المرخصة للغيبة
٣٥٩ فصل. في النميمة
٣٦٣ فصل في الاقلال من النوم
٣٦٦ فصل في قيام الليل
٣٦٨ فصل في المحافظة على الأمر الوسط في الطعام والشراب
٣٧٢ فصل في أنواع الطعام
٣٧٤ فصل في الورع
٣٧٥ فصل في اللجا الى الله
٣٨٢ فصل في الرجاء الى الله

٣٨٦ فصل في الخوف من الله
٣٩١ فصل في تقديم الأهم فالأهم
٤١١ فصل في ترك ما لا يعني
٤١٤ فصل في التوبة
٤٤١ خاتمة الكتاب
٤٨٩ هذا الكتاب
٤٩٠ تقريظ